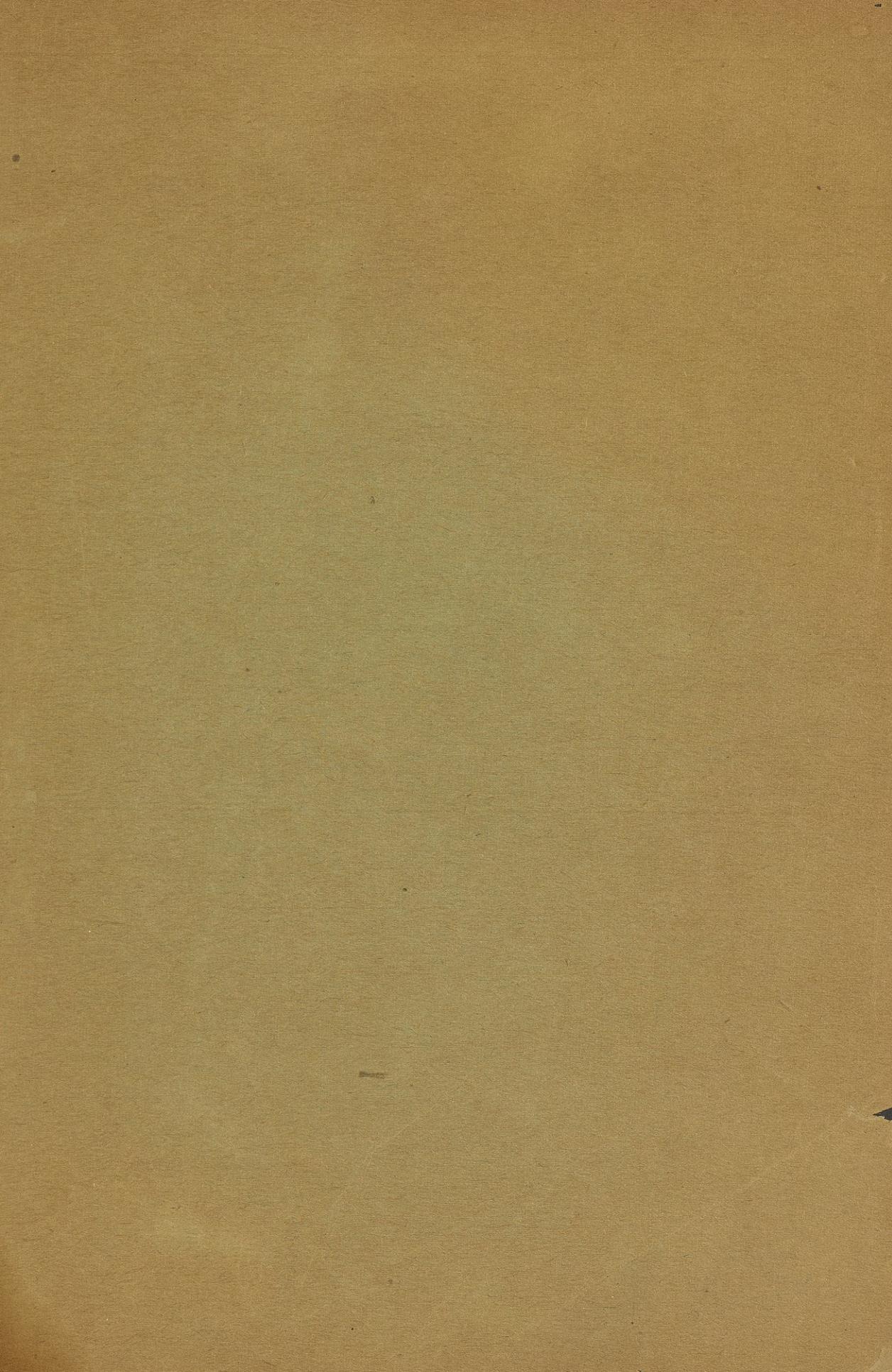






W. Arthur Jeffery

Allen Jeff.



# كِتَابٌ

الايهان

تأليف

شيخ الاسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية  
الحراني المتوفى سنة ٧٢٨ نور الله ضريحه

عن تصحيح محمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين

﴿ الطبعة الأولى ﴾

( سنة ١٣٢٥ هجرية )

( على نفقة أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه بمصر )



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله نستعينه ونستغفره • ولنعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من • يهده الله فلا مضل له ومن يضله فلا هادي له • ونشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له • ونشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً • • اعلم أن الايمان والاسلام يجتمع فيهما الدين كله وقد كثر كلام الناس في حقيقة الايمان والاسلام ونزاعهم واضطرابهم وقد صُنفت في ذلك مجلدات والنزاع في ذلك من حين خرجت الخوارج بين عامة الطوائف ونحن نذكر ما يستفاد من كلام النبي صلى الله عليه وسلم مع كلام الله تعالى في فصل المؤمن الي ذلك من نفس كلام الله ورسوله فان هذا هو المقصود فلا نذكر اختلاف الناس ابتداءً بل نذكر من ذلك في ضمن بيان ما يستفاد من كلام الله ورسوله ما يبين أن رد موارد النزاع الي الله والي الرسول خير وأحسن تأويلاً وأحسن عاقبة في الدنيا والآخرة فنقول قد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل عليه السلام بين مسمى الاسلام ومسمى الايمان ومسمى الاحسان فقال الاسلام أن تشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلاً • وقال الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره والفرق المذكور في حديث عمر الذي انفرد به مسلم وفي حديث أبي هريرة الذي اتفق البخاري ومسلم عليه وكلاهما فيه ان جبرائيل جاءه في صورة انسان اعرابي فسأله وفي حديث عمر أنه جاء في صورة اعرابي وكذلك فسر الاسلام في حديث ابن عمر المشهور قال بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا إله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان وحديث جبريل يبين أن الاسلام المبني على خمس هو الاسلام نفسه ليس المبني غير المبني عليه بل جعل النبي صلى الله عليه وسلم الدين ثلاث درجات أعلاها الاحسان وأوسطها الايمان ويليها الاسلام فكل محسن مؤمن وكل مؤمن مسلم وليس كل مؤمن محسناً ولا كل مسلم مؤمناً كما سيأتي بيانه ان شاء الله في سائر الاحاديث كالحديث الذي رواه حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن رجل من أهل الشام عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال له اسلم تسلم قال وما الاسلام قال أن تسلم قلبك لله وأن يسلم المسلمون من لسانك ويديك قال فأبي الاسلام أفضل قال الايمان قال وما الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله وبالبعث بعد الموت قال فأبي الايمان أفضل قال الهجرة قال وما الهجرة قال أن تهجر السوء قال فأبي الهجرة أفضل قال الجهاد قال وما الجهاد قال أن تجاهد أو تقاتل الكفار اذا لقيتهم ولا تعمل ولا تجبن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عملان هما أفضل الاعمال الامن

عمل بمنلها قاطها ثلاثا حجة مبرورة أو عمرة رواء أحمد ومحمد بن نصر المروزي . . . ولهذا نذكر هذه المراتب الأربعة فنقول المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمنه الناس على دماهم وأموالهم والمهاجر من هجر السيئات والمجاهد من جاهد نفسه لله وهذا مروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث عبد الله بن عمرو وفضالة بن عبيد وغيرهما بإسناد جيد وهو في السنن وبعضه في الصحيحين وقد ثبت عنه من غير وجه المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمنه الناس على دماهم وأموالهم . . . ومعلوم ان من كان مأمونا على الدماء والاموال كان المسلمون يسلمون من لسانه ويده ولولا سلامتهم منه لما ائتمنوه وكذلك في حديث عبيد بن عمير عن عمرو بن عبسة وفي حديث عبد الله بن عبيد بن عمير أيضاً عن أبيه عن جده انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما الاسلام قال اطعام الطعام وطيب الكلام قيل فما الايمان قال السماحة والصبر قيل فمن أفضل المسلمين اسلاما قال من سلم المسلمون من لسانه ويده قيل فمن أفضل المؤمنين ايمانا قال أحسنهم خلقا قيل فما أفضل الهجرة قال من هجر ما حرم الله عليه قال أى الصلاة أفضل قال طول القنوت قال أى الصدقة أفضل قال جهد مقل قال أى الجهاد أفضل قال أن تجاهد بمالك ونفسك فيعقر جوادك ويراق دمك قال أى الساعات أفضل قال جوف الليل الغابر . . . ومعلوم ان هذا كله مراتب بعضها فوق بعض والا فالمهاجر لا بد أن يكون مؤمنا وكذلك المجاهد ولهذا قال الايمان السماحة والصبر وقال في الاسلام اطعام الطعام وطيب الكلام والاول مستانز للمثاني فان من كان خلقه السماحة فعل هذا بخلاف الاول فان الانسان قد يفعل ذلك تخلقا ولا يكون في خلقه ساحة وصبر وكذلك قال أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده وقال أفضل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا . . . ومعلوم ان هذا يتضمن الاول فمن كان حسن الخلق فعل ذلك . . . قيل للحسن البصرى ما حسن الخلق قال بذل الندى وكف الاذى وطلاقة الوجه فكف الاذى جزء من حسن الخلق وستأتي الاحاديث الصحيحة بأنه جعل الاعمال الظاهرة من الايمان كقوله الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله الا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق وقوله لو فد عبد القيس آسرك بالايمان بالله وحده أندرون ما الايمان بالله شهادة أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن تؤدوا خمس ماغنمتم . . . ومعلوم انه لم يرد أن هذه الاعمال تكون ايمانا بالله بدون ايمان القلب لما قد أخبر في غير موضع انه لا بد من ايمان القلب فعلم ان هذه مع ايمان القلب هو الايمان وفي المسند عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاسلام علانية والايمان فى القلب وقال صلى الله عليه وسلم ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسدت لها سائر الجسد ألا وهى القلب فمن صالح قلبه صلح جسده قطعاً بخلاف العكس وقال سفيان بن عيينة كان العلماء فيما مضى يكتب بعضهم الى بعض بهؤلاء الكلمات من أصلح سريره أصلح الله علانيته ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ومن عمل لا آخرته كفاه الله أمر دنياه رواء ابن أبى الدنيا فى كتاب الاخلاص . . . فعلم ان القلب اذا صلح بالايمان صلح الجسد بالاسلام وهو من الايمان يدل على ذلك انه قال فى حديث جبريل هذا

جبريل جاءكم يعلمكم دينكم فجعل الدين هو الاسلام والايان والاحسان فتيين أن ديننا يجمع الثلاثة لكن  
 هو درجات ثلاث مسلم ثم مؤمن ثم محسن كما قال تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا  
 فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) والمقتصد والسابق كلاهما يدخلان الجنة  
 بلا عقوبة بخلاف الظالم لنفسه وهكذا من أتى بالاسلام الظاهر مع تصديق القلب لكن لم يقم بما يجب عليه  
 من الايمان الباطن فانه معرض للوعيد كما سيأتي بيانه ان شاء الله . . . وأما الاحسان فهو أعم من جهة  
 نفسه وأخص من جهة أصحابه من الايمان والايان اعم من جهة نفسه وأخص من جهة أصحابه من  
 الاسلام فالاحسان يدخل فيه الايمان والايان يدخل فيه الاسلام والمحسنون أخص من المؤمنين  
 والمؤمنون أخص من المسلمين وهذا كما يقال في الرسالة والنبوة فالنبوة داخلة في الرسالة والرسالة  
 أعم من جهة نفسها وأخص من جهة أهلها فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا فالانبياء أعم والنبوة  
 نفسها جزء من الرسالة فالرسالة تتناول النبوة وغيرها بخلاف النبوة فانها لا تتناول الرسالة . . . والنبي صلى  
 الله عليه وسلم فسر الاسلام والايان بما أوجب به كما يجاب عن المحدود بالحد اذا قيل ما كذا قيل كذا وكذا  
 كما في الحديث الصحيح لما قيل ما الغيبة قال ذكر كذا أخاك بما يكره وفي الحديث الآخر الكبر بطر الحق  
 وغمط الناس وبطر الحق جحده ودفعه وغمط الناس احتقارهم وازدراؤهم وسند كر ان شاء الله تعالى  
 سبب تنوع أجوبته وانها كلها حق ولكن المقصود ان قوله نبي الاسلام على خمس كقوله الاسلام هو  
 الخمس كما ذكر في حديث جبريل فان الامر مركب من أجزاء تكون الهيئة الاجتماعية فيه مبنية على  
 تلك الاجزاء ومركبة منها فالاسلام مبنى على هذه الاركان وسنين ان شاء الله اختصاص هذه الخمس  
 بكونها هي الاسلام وعليها نبي الاسلام ولم خصت بذلك دون غيرها من الواجبات وقد فسر الايمان في  
 في حديث وفد عبد القيس بما فسر به الاسلام هنالك كما لم يذكر فيه الحج وهو متفق عليه فقال أمركم  
 بالايان بالله وحده هل تدرون ما الايمان بالله وحده قالوا الله ورسوله أعلم قال شهادة أن لا إله الا الله وأن  
 محمدا رسول الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تؤدوا الخمس ما غنمتم أو خمساً من المغمم  
 وقد روى في بعض طرقه الايمان بالله وشهادة أن لا إله الا الله لكن الاول أشهر وفي رواية أبي سعيد  
 أمركم بربيع وأنها كم عن أربع اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وقد فسر في حديث شعب الايمان  
 الايمان بهذا وبغيره فقال الايمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا اله الا الله وأدناها  
 إمطة الاذي عن الطريق والحياة شعبة من الايمان وثبت عنه من وجوه متعددة أنه قال الحياة شعبة  
 من الايمان من حديث ابن عمر وابن مسعود وعمران بن حصين وقال أيضاً لا يؤمن أحدكم حتى أكون  
 أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين وقال لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وقال  
 والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يارسول الله قال الذي لا يأمن جاره بوائفه وقال من  
 رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان وقال  
 ما بعث الله من نبي الا كان في أمته قوم يهتدون بهديه ويستنون بسنته ثم انه يخلف من بعدهم خلف

يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمنون فمن جاهدكم بدينه فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن  
ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل وهذا من افراد مسلم وكذلك في  
افراد مسلم قوله والذي نفسى بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا ادلكم على  
شيء اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم وقال في الحديث المنفق عليه من رواية أبي هريرة ورواه  
البخاري من حديث ابن عباس قال انبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا  
يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يتهب النهبة يرفع  
الناس اليه فيما أبصارهم وهو مؤمن . . . فيقال اسم الايمان تارة يذكر مفردا غير مقرون باسم الاسلام  
ولا باسم العمل الصالح ولا غيرهما وتارة يذكر مقرونا إما بالاسلام كقوله في حديث جبريل ما الاسلام  
وما الايمان وكقوله تعالى ( ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ) وقوله عز وجل ( قالت  
الاعراب آما قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ) وقوله تعالى ( فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما  
وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ) وكذلك ذكر الايمان مع العمل الصالح وذلك في مواضع من القرآن  
كقوله تعالى ( ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ) وإما مقرونا بالذين أوتوا العلم كقوله تعالى ( والذين  
أوتوا العلم والايمان ) وقوله ( يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ) وحيث ذكر الذين  
آمنوا فقد دخل فيهم الذين أوتوا العلم فانهم خيارهم قال تعالى ( والراسخون في العلم يقولون آما به كل  
من عند ربنا ) وقال ( لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك )  
. . . ويذكر أيضاً لفظ المؤمنين مقرونا بالذين هادوا والنصارى والصابئين ثم يقول من آمن منهم بالله  
واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم فالؤمنون في ابتداء الخطاب غير الثلاثة والايمان الآخر  
عندهم كما عهدهم في قوله ( ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ) وسلبسط هذا ان شاء الله . . .  
فالمقصود هنا العموم والخصوص بالنسبة الى ما في الباطن والظاهر من الايمان وأما العموم بالنسبة الى الملك  
فتلك مسألة أخرى فلما ذكر الايمان مع الاسلام جعل الاسلام هو الاعمال الظاهرة الشهادتين والصلاة  
والزكاة والصيام والحج وجعل الايمان ما في القلب من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر  
وهكذا في الحديث الذي رواه أحمد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاسلام علانية والايمان  
في القلب . . . واذا ذكر اسم الايمان مجردا دخل فيه الاسلام والاعمال الصالحة كقوله في حديث الشعب  
الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله الا الله وأدناها إمطة الاذي عن الطريق وكذلك سائر  
الاحاديث التي يجعل فيها أعمال البر من الايمان . . . ثم ان نبي الايمان عند عدمها دل على انها واجبة وان ذكر  
فضل ايمان صاحبها ولم ينف ايمانه دل على انها مستحبة فان الله ورسوله لا ينفين اسم مسمى أمر الله به  
ورسوله الا اذا ترك بعض واجباته كقوله لا صلاة إلا بام القرآن وقوله لا ايمان لمن لأمانة له ولا دين لمن  
لا عهد له ونحو ذلك . . . فأما اذا كان الفعل مستحبا في العبادة لم ينفها لانتفاء المستحب فان هذا لو جاز لجاز  
أن ينفى عن جمهور المؤمنين اسم الايمان والصلاة والزكاة والحج لانه مامن عمل الا وغيره أفضل منه وليس

أحد يفعل أفعال البر مثل ما فعلها النبي صلى الله عليه وسلم بل ولا أبو بكر ولا عمر فلو كان من لم يأت بكاملها المستحب يجوز نفيها عنه لحجاز أن ينفي عن جمهور المسلمين من الأولين والآخريين وهذا لا يقوله عاقل فمن قال ان المنفى هو الكمال فان أراد انه نفي الكمال الذي يذم تاركه ويتعرض للعقوبة فقد صدق وان أراد انه نفي الكمال المستحب فهذا لم يقع قط في كلام الله ورسوله ولا يجوز أن يقع فان من فعل الواجب كما وجب عليه ولم ينتقص من واجبه شيئاً لم يجز أن يقال ما فعلته لاحقيقة ولا مجازاً فاذا قال للاهرابي المسمى في صلته ارجع فصل فانك لم تصل وقال لمن صلى خلف الصف وقد أمره بالاعادة لاصلاة لفنذ خلف الصف كان لترك واجب وكذلك قوله تعالى ( انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ) بين أن الجهاد واجب وترك الارتباب واجب والجهاد وان كان فرضاً على الكفاية فجميع المؤمنين يخاطبون به ابتداء فعليهم كلهم اعتقاد وجوبه والعزم على فعله اذا تعين ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة نفاق رواه مسلم فاخبر انه من لم يهجم به كان على شعبة نفاق . وأيضاً فالجهاد جنس تحته أنواع متعددة ولا بد أن يجب على المؤمن نوع من أنواعه وكذلك قوله ( انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا ) هذا كله واجب فان التوكل على الله واجب من أعظم الواجبات كما أن الاخلاص لله واجب وحب الله ورسوله واجب وقد أمر الله بالتوكل في غير آية أعظم مما أمر بالوضوء والغسل من الجنابة ونهى عن التوكل على غير الله قال تعالى ( فاعبده وتوكل عليه ) وقال تعالى ( الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) وقال تعالى ( ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) وقال تعالى ( وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين ) وأما قوله ( الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً ) فيقال من أحوال القلب وأعماله ما يكون من لوازم الايمان الثابتة فيه بحيث اذا كان الانسان مؤمناً لزم ذلك بغير قصد منه ولا تعمد له واذا لم يوجد دل على أن الايمان الواجب لم يحصل في القلب وهذا كقوله تعالى ( لا تجحد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ) فاخبر انك لا تجدمؤمناً يواد المجادين لله ورسوله فان نفس الايمان ينافي موادته كما ينفي أحد الضدين للآخر فاذا وجد الايمان انتفى ضده وهو موالاته أعداء الله فاذا كان الرجل يوالي أعداء الله بقلبه كان ذلك دليلاً على أن قلبه ليس فيه الايمان الواجب ومثله قوله تعالى في الآية الاخرى ( تري كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون ) فذكر جملة شرطية تقتضي انه اذا وجد الشرط وجد المشروط بحرف لوائى تقتضى مع الشرط انتفاء المشروط فقال ( ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه

ما اتخذوهم أولياء) فدل على أن الايمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده ولا يجتمع الايمان واتخاذهم  
 أولياء في القلب ودل ذلك على أن من اتخذهم أولياء مافعل الايمان الواجب من الايمان بالله والنبي وما أنزل  
 اليه ومثله قوله تعالى (لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فانه منهم) فانه  
 أخبرني تلك الآيات ان متوليتهم لا يكون مؤمنا وأخبر هنا أن متوليتهم هو منهم فالقرآن يصدق بعضه بعضاً  
 قال الله تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) الآية  
 وكذلك قوله (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى  
 يستأذنه) دليل على أن الذهاب المذكور بدون استئذانه لا يجوز وانه يجب أن لا يذهب حتى يستأذن  
 فمن ذهب ولم يستأذن كان قد ترك بعض ما يجب من الايمان فللهذا انفي عنه الايمان فان حرف انما تدل على  
 اثبات المذكور ونفي غيره ومن الاصوليين من يقول إن الإثبات وما للنفي فاذا جمع بينهما دلت على النفي  
 والاثبات وليس كذلك عند أهل العربية ومن يتكلم في ذلك يعلم فان ماهذه هي الكافة التي تدخل على  
 إن وأخواتها فتكشفها عن العمل لانها انما تعمل اذا اختصت بالمثل الاسمية فلما كفت بطل اختصاصها فصار  
 يليها الجمل الفعلية والاسمية فتغير معناها وعملها جميعاً بانضمام ما اليها وكذلك كانما وغيرها وكذلك قوله تعالى  
 (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين واذا دعوا  
 الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مدعين أفي قلوبهم  
 مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون انما كان قول المؤمنين  
 اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) ٥٥ فان قيل اذا  
 كان المؤمن حقاً هو الفاعل للواجبات التارك للمحرمات فقد قال أولئك هم المؤمنون حقاً ولم يذكر الا  
 خمسة أشياء وكذلك قال في الآية الاخرى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا  
 باموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) وكذلك قوله (ان الذين يستأذنونك أولئك الذين  
 يؤمنون بالله ورسوله) قيل عن هذا جوابان أحدهما أن يكون ما ذكر مستلزماً لما ترك فانه ذكر وجل  
 قلوبهم اذا ذكر الله وزيادة ايمانهم اذا تليت آياته مع التوكل عليه وإقام الصلاة على الوجه المأمور به باطننا  
 وظاهرا وكذلك الانفاق من المال والمنافع فكان هذا مستلزماً للباقي فان وجل القلب عند ذكر الله  
 يقتضى خشيته والخوف منه وقد فسروا وجلت بفرقت وفي قراءة ابن مسعود اذا ذكر الله فرقت  
 قلوبهم وهذا صحيح فان وجل في اللغة هو الخوف يقال حمرة الخجل يقال وصفرة الرجل ومنه قوله تعالى  
 (والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون) قالت عائشة يارسول الله هو الرجل  
 يزني ويسرق ويخاف أن يعاقب قال لا يا بنيت الصديق هو الرجل يصل ويصوم ويتصدق ويخاف أن  
 لا يقبل منه وقال السدي في قوله تعالى (اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) هو الرجل يريد أن يظلم أو يهجم  
 بمعصية فينزع عنه وهذا كقوله تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوى فان الجنة هي  
 المأوى) وقوله (ولمن خاف مقام ربه جنتان) قال مجاهد وغيره من المفسرين هو الرجل يهجم بالمعصية

فيذكر مقامه بين يدي الله فيتركها خوفا من الله واذا كان وجل القلب من ذكره يتضمن خشيته وخافته  
 فذلك يدغو صاحبه الى فعل المأمور وترك المحذور قال سهل بن عبد الله ليس بين العبد وبين الله حجاب  
 أغلظ من الدعوي ولا طريق اليه أقرب من الافتقار وأصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله  
 ويدل على ذلك قوله تعالى (ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين  
 هم لربهم يرهبون) فاخبر أن الهدى والرحمة للذين يرهبون الله قال مجاهد وابراهيم هو الرجل يريد  
 أن يذنب الذنب فيذكر مقام الله فيدع الذنب رواه ابن أبي الدنيا عن ابن الجعد عن شعبة عن منصور  
 عنهما في قوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وهؤلاء هم أهل الفلاح المذكورون في قوله تعالى  
 (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) وهم المؤمنون وهم المتقون المذكورون في قوله  
 تعالى (لم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) كما قال في آية البر (أولئك الذين صدقوا وأولئك هم  
 المتقون) وهؤلاء هم المتبعون للكتاب كما في قوله تعالى (فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى) واذا لم يضل  
 فهو متبع مهتد واذا لم يشق فهو مرحوم وهؤلاء هم أهل الصراط المستقيم الذين أنعم الله عليهم من  
 النبيين والصديقين والشهداء والصالحين غير المغضوب عليهم ولا الضالين فان أهل الرحمة ليسوا مغضوبا  
 عليهم وأهل الهدى ليسوا ضالين فتبين أن أهل رهبة الله يكونون متقين لله مستحقين لجنته بلا عذاب  
 وهؤلاء هم الذين أتوا بالايمان الواجب . . . وما يدل على هذا المعنى قوله تعالى (انما يخشى الله من عباده  
 العلماء) والمعنى انه لا يخشاه الا عالم فقد أخبر الله أن كل من خشى الله فهو عالم كما قال في الآية الاخرى  
 (أمن هو قانت آتاء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون  
 والذين لا يعلمون) والخشية أبدا متضمنة للرجاء ولولا ذلك لكانت قنوطا كما أن الرجاء يستلزم الخوف  
 ولولا ذلك لكان أمنا فاهل الخوف لله والرجاء له هم أهل العلم الذين مدحهم الله وقد روي عن أبي حيان  
 التيمي أنه قال العلماء ثلاثة فعالم بالله ليس عالما بأمر الله وعالم بأمر الله ليس عالما بالله وعالم بالله عالم بأمر الله  
 فعالم بالله هو الذي يخافه والعالم بأمر الله هو الذى يعلم أمره ونهيه وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه  
 وسلم أنه قال والله انى لارجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بحدوده واذا كان أهل الخشية هم العلماء  
 الممدوحون في الكتاب والسنة لم يكونوا مستحقين للذم وذلك لا يكون الا مع فعل الواجبات ويدل عليه  
 قوله تعالى (فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف  
 وعيدي) وقوله (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فوعده بنصر الدنيا وبثواب الآخرة لاهل الخوف وذلك  
 انما يكون لانهم أدوا الواجب فدل على أن الخوف يستلزم فعل الواجب ولهذا يقال للفاجر لا يخاف الله  
 ويدل على هذا المعنى قوله تعالى (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب)  
 قال أبو العالية سألت أصحاب محمد عن هذه الآية فقالوا لى كل من عصى الله فهو جاهل وكل من تاب قبل  
 الموت فقد تاب من قريب وكذلك قال سائر المفسرين قال مجاهد كل عاص فهو جاهل حين معصيته وقال  
 الحسن وقتادة وعطاء والسدى وغيرهم انما سموا جهال المعاصيهم لانهم غير مميزين وقال الزجاج ليس معني

الآية أنهم يجهلون انه سوء لان المسلم لو ماتني يجهله كان كمن لم يواقع سوءاً وانما يحتمل أمرين أحدهما انهم عملوه وهم يجهلون المكروه فيه والثاني انهم أقدموا على بصيرة وعلم بان عاقبته مكروهة وآثروا العاجل على الآجل فسموا جهالاً لا يثارهم القليل على الراحة الكثيرة والراحة الدائمة فقد جعل الزجاج الجهل اما عدم العلم بعاقبة الفعل واما فساد الارادة وقد يقال هما متلازمان وهذا مبسوط في الكلام مع الجهمية . . . والمقصود هنا أن كل عاص لله فهو جاهل وكل خائف منه فهو عالم مطيع لله وانما يكون جاهلاً لتقص خوفه من الله اذ لو تم خوفه لم يعبس ومنه قول ابن مسعود رضى الله عنه كفى بخشية الله علماً وكفى بالاغترار بالله جهلاً وذلك لان تصور الخوف يوجب الهرب منه وتصور المحبوب يوجب طلبه فاذا لم يهرب من هذا ولم يطلب هذا دل على انه لم يتصوره تصوراً تاماً ولكن قد يتصور الخبر عنه وتصور الخبر وتصديقه وحفظ حرره وغير تصور الخبر به وكذلك اذا لم يكن المتصور محبوباً له ولا مكروهاً فان الانسان يصدق بما هو مخوف على غيره ومحبوب لغيره ولا يورثه ذلك هرباً ولا طلباً وكذلك اذا أخبر بما هو محبوب له ومكروه ولم يكذب الخبر بل عرف صدقه لكن قلبه مشغول بأمر أخرى عن تصور ما أخبر به فهذا لا يتحرك للهرب ولا للطلب وفي الكلام المعروف عن الحسن البصري ويروي مراسلاً عن النبي صلى الله عليه وسلم العلم علمان فعلم في القلب وعلم على اللسان فعلم القلب هو العلم النافع وعلم اللسان حجة الله على عباده وقد أخرجنا في الصحيحين عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة طعمها طيب ولا ریح لها ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مر ولا ریح لها وهذا المنافق الذي يقرأ القرآن يحفظه ويتصور معانيه وقد يصدق انه كلام الله وأن الرسول حق ولا يكون مؤمناً كما ان اليهود يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وليسوا مؤمنين وكذلك ابليس وفرعون وغيرهما لكن من كان كذلك لم يكن حصل له العلم التام والمعرفة التامة فان ذلك يستلزم العمل بموجبه لا محالة ولهذا صار يقال لمن لم يعمل بعلمه انه جاهل كما تقدم وكذلك لفظ العقل وان كان هو في الأصل مصدر عقل يعقل عقلاً وكثير من النظائر جعله من جلس العلوم فلا بد أن يعتبر مع ذلك انه علم لم يعمل بموجبه فلا يسمى عاقلاً إلا من عرف الخير فطلبه والشر فتركه ولهذا قال أصحاب النار (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) وقال (تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) ومثي فعل ما يعلم انه يضره فثقل هذا ماله عقل فكما أن الخوف من الله يستلزم العلم به فالعلم به يستلزم خشيته وخشيته تستلزم طاعته فالخائف من الله بمنثل لاوامره محتلب لنواحيه وهذا هو الذي قصدنا بيانه أولاً ويدل على ذلك أيضاً قوله تعالى ( فذكر إن نفعنا الذكرى سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى الذي يصلى النار الكبرى ) فأخبر ان من يخشاه يتذكر والتذكر هنا مستلزم لعبادته قال تعالى ( هو الذي يرثكم آياته وينزل لكم من السماء رزقاً وما يتذكر إلا من ينيب ) وقال (تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ) ولهذا قالوا في قوله سيذكر من يخشى

سيتعظ بالقرآن من يخشى الله وفي قوله وما يتذكر إلا من يتيب إنما يتعظ من يرجع الى الطاعة وهذا  
 لان التذكر التام يستلزم العمل بما تذكره فان تذكر محبوباً طلبه وان تذكر مرهوباً هرب منه ومنه  
 قوله تعالى ( سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ) وقال سبحانه ( إنما تر من اتبع الذكر  
 وخشى الرحمن بالغيب ) ففي الانذار عن غير هؤلاء مع قوله ( سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم  
 لا يؤمنون ) فأثبت لهم الانذار من وجه ونفاه عنهم من وجه فان الانذار هو الاعلام بالخوف فالانذار  
 مثل التعليم والتخويف فن علمته فتعلم فقد تم تعليمه وآخر يقول علمته فلم يتعلم وكذلك من خوفه  
 يخاف فهذا هو الذي تم تخويفه وأما من خوَّف فما خاف فلم يتم تخويفه وكذلك من هديته فاهتدى تم  
 هداه ومنه قوله تعالى ( هدى للمتقين ) ومن هديته فلم يهتد كما قال ( وأما نوح فهديناهم فاستجبوا العمى  
 على الهدى ) فلم يتم هداه كما تقول قطعته فاقطع وقطعته فاقطع فالتوثر التام يستلزم أثره فتم لم يحصل  
 أثره لم يكن تاماً والفعل اذا صادف محلاً قابلاً وإلا لم يتم والعلم بالمحجوب يورث طلبه والعلم بالمكروه  
 يورث تركه ولهذا يسمى هذا العلم الداعي ويقال الداعي مع القدرة يستلزم وجود المقدور وهو العلم  
 بالمطلوب المستلزم لارادة المعلوم المراد وهذا كله مع صحة الفطرة وسلامتها وأما مع فساده فقد يحس  
 الانسان بالذيق فلا يجد له لذة بل يؤلمه وكذلك يلتذ بالمؤلم لفساد الفطرة والفساد يتناول القوة العلمية  
 والقوة العمالية جميعاً كالمروور الذي يجد العسل مرّاً فانه فسد نفس احساسه حتى كان يحس به على خلاف  
 ما هو عليه للمرأة التي مزاجته وكذلك من فسد باطنه قال تعالى ( وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون  
 ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ) وقال تعالى ( فلما  
 زاغوا أزاغ الله قلوبهم ) وقال تعالى ( قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم ) وقال في الآية الأخرى  
 ( وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم ) والغلف جمع أغلف وهو ذو الغلاف الذي في غلاف  
 مثل الأقف كأنهم جعلوا المانع خلقة أي خلقت القلوب عليها أغطية فقال تعالى ( بل لعنهم الله بكفرهم  
 وطبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً ) وقال تعالى ( ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا  
 من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم )  
 وكذلك قالوا ( يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول ) قال ( ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ) أي لأفهمهم ما سمعوه  
 ثم قال ( ولو أفهمهم مع هذه الحال التي هم عليها لتولوا وهم معرضون فقد فسدت فطرتهم فلم يفهموا ولو  
 فهموا لم يعملوا ففي عنهم صحة القوة العلمية وصحة القوة العملية وقال ( أم تحسب ان أكثرهم يسمعون  
 أو يعقلون ان هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ) وقال ( ولقد ذرأنا لجنهم كثيراً من الجن والانس لهم  
 قلوب لا يفقهون بها وهم أعين لا يبصرون بها وهم أذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل  
 أولئك هم الغافلون ) وقال ( ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً صمٌّ بكم عمى )  
 فهم لا يعقلون وقال عن المنافقين ( صمٌّ بكم عمى فهم لا يرجعون ) ومن الناس من يقول لما لم ينتفعوا بالسمع  
 والبصر والنطق جعلوا صماً بكم عمياً أو لما تعرضوا عن السمع والبصر صاروا كالصم العمى وليس كذلك

بل نفس قلوبهم عميت وصمت وبكمت كما قال الله تعالى ( فانها لاتعمي الأَبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور ) والقلب هو الملك والأعضاء جنوده واذا صالح صالح سائر الجسد واذا فسد فسد سائر الجسد فيبقى يسمع بالبدن الصوت كما تسمع البهائم والمعنى لا تفقهه وان فقه بعض الفقه لم يفقه فقهاً تاماً فان الفقه التام يستلزم تأثيره في القلب محبة المحبوب وبعض المكروه فحق لم يحصل هذا لم يكن التصور التام حاصلًا فجاز فيه لان ما لم يتم ينفي كقوله للذي أساء في صلاته صلّ فانك لم تصل ونفي الايمان حيث نفي من هذا الباب . . وقد جمع الله بين وصفهم بوجل القلب اذا ذكر وبزيادة الايمان اذا سمعوا آياته قال الضحاك زادتهم يقيناً وقال الربيع بن أنس خشية وعن ابن عباس تصديقاً وهكذا قد ذكر الله هذين الأصلين في مواضع قال تعالى ( ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ) والخشوع يتضمن معنيين أحدهما التواضع والذل والثاني السكون والطمأنينة وذلك مستلزم للين القلب المتنافي للقسوة خشوع القلب يتضمن عبوديته لله وطمأنينته أيضاً ولهذا كان الخشوع في الصلاة يتضمن هذا وهذا التواضع والسكون وعن ابن عباس في قوله ( الذين هم في صلاتهم خاشعون ) قال مخبتون أذلاء وعن الحسن وقتادة خاشعون وعن مقاتل متواضعون وعن عليّ الخشوع في القلب وان يلين للمرء المسلم كنفك ولا تلتفت يمينا ولا شمالا وقال مجاهد غص البصر وخفض الجناح وكان الرجل من العلماء اذا قام الى الصلاة هاب الرحمن أن يشد بصره أو ان يحدث نفسه بشيء من أمر الدنيا وعن عمرو بن دينار ليس الخشوع الركوع والسجود ولكنه السكون وحسن الهيئة في الصلاة وعن ابن سيرين وغيره كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ينظرون بأبصارهم في الصلاة الى السماء وينظرون يمينا وشمالا حتى نزلت هذه ( قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ) الآية فجلسوا بعد ذلك وجوههم حيث يسجدون وما رؤي أحد منهم بعد ذلك ينظر إلا الى الأرض وعن عطاء هو أن لا تعبت بشيء من جسديك وأنت في الصلاة وأبصر النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يعبت بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه ولفظ الخشوع ان شاء الله يبسط في مواضع أخر . . وخبوع الجسد تبع لخشوع القلب اذا لم يكن الرجل مرآيا يظهر ما ليس في قلبه كما روى تعوذوا بالله من خشوع النفاق وهو أن يري الجسد خاشعا والقلب خاليا لاهيا فهو سبحانه استبطن المؤمنين بقوله ( ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ) فدعاهم الى خشوع القلب لذكره وما نزل من كتابه ونهاهم أن يكونوا كالذين طال عليهم الأمد فقست قلوبهم وهؤلاء هم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وكذلك قال في الآية الأخرى ( الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ) والذين يخشون ربهم هم الذين اذا ذكر الله تعالى وجلت قلوبهم . . فان قيل خشوع القلب لذكر الله وما نزل من الحق واجب قيل نعم لكن الناس فيه على قسمين مقتصد وسابق فالسابقون يخلصون بالمستحبات

والمقتصدون الأبرار هم عموم المؤمنين المستحقين للجنة ومن لم يكن من هؤلاء ولا هؤلاء فهو ظالم لنفسه  
وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع  
ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع وقد ذم الله قسوة القلوب المنافية للخشوع في غير موضع فقال تعالى (ثم  
قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) قال الزجاج قست في اللغة غلظت وبست  
وعست قسوة القلب ذهاب اللين والرحمة والخشوع منه والقاسى والعاسى الشديد الصلابة وقال ابن  
قتيبة قست وعست وأي بست وقوة القلب المحمودة غير قسوته المذمومة فانه ينبغي أن يكون قويا  
من غير عنف ولينا من غير ضعف وفي الاثر القلوب آنية الله في أرضه فاحبها الى الله أصلها وأرقها  
وأصفاها وهذا كاليد فانها قوية لينة بخلاف ما يحسو من العقب فانه يابس لالين فيه وان كان فيه قوة وهو  
سبحانه ذكر وجل القلب من ذكره ثم ذكر زياة الايمان عند تلاوة كتابه علما وعملا ثم لا بد من التوكل  
على الله فيما لا يقدر عليه ومن طاعته فيما يقدر عليه وأصل ذلك الصلاة والزكاة فمن قام بهذه الخمس كما  
أمر لزم أن يأتي بسائر الواجبات بل الصلاة نفسها اذا فعلها كما أمر فهي تنهي عن الفحشاء والمنكر كما  
روى عن ابن مسعود وابن عباس ان في الصلاة منهى ومزجرا عن معاصي الله فمن لم تنه صلته عن  
الفحشاء والمنكر لم يزد بصلاته من الله الا بعدا وقوله لم يزد الا بعدا اذا كان مترك من الواجب منها  
أعظم مما فعله أبعد ترك الواجب الأكثر من الله أكثر مما قربه فعل الواجب الأقل وهذا كما في الصحيح  
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق يرقب الشمس  
حتى اذا كانت بين قرني شيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها الا قليلا وقد قال تعالى (ان المنافقين  
يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا)  
وفي السنن عن عمار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان العبد لينصرف من صلاته ولم يكتب له منها  
الا نصفها الا ثلثها حتى قال الا عشرها وعن ابن عباس قال ليس لك من صلاتك الا ما غفلت منها وهذا  
وان لم يؤمر باعادة الصلاة عند أكثر العلماء لكن يؤمر بأن يأتي من التطوعات بما يجبر نقص فرضه  
ومعلوم ان من حافظ على الصلوات بخشوعها الباطن وأعمالها الظاهرة وكان يخشي الله الخشية التي أمره  
بها فانه يأتي بالواجبات ولا يأتي كبيرة ومن أتى الكبائر مثل الزنا أو السرقة أو شرب الخمر وغير ذلك  
فلا بد أن يذهب ما في قلبه من تلك الخشية والخشوع والنور وان بقي أصل التصديق في قلبه وهذا من  
الايمان الذي ينزع منه عند فعل الكبيرة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو  
مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن فان المتقين كما وصفهم الله بقوله (ان الذين اتقوا اذا  
مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) فاذا طاف بقلوبهم طيف من الشيطان تذكروا  
فيبصرون قال سعيد بن جبير هو الرجل يفض الغضبة فيذكر الله فيكظم الغيظ وقال ليث عن مجاهد  
هو الرجل يهمل بالذنوب فيذكر الله فيدعه والشهوة والغضب مبدأ السيئات فاذا أبصر رجوع ثم قال  
(واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون) أي واخوان الشياطين تدمم الشياطين في الغي ثم لا يقصرون

قال ابن عباس لا الايس تقصر عن السيآت ولا الشياطين تمسك عنهم فاذا لم يبصر بقي قلبه في غمر والشيطان يمه من غيه وان كان التصديق في قلبه لم يكذب فذلك النور والابصار وتلك الخشية والخوف يخرج من قلبه وهذا كما ان الانسان يغمض عينيه فلا يري وان لم يكن أعمى فكذلك القلب بما يفشاه من رين الذنوب لا يبصر الحق وان لم يكن أعمى كهمي الكافر وهكذا جاء في الآثار قال أحمد بن حنبل في كتاب الايمان حدثنا يحيى عن أشعث عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ينزع منه الايمان فان تاب أعيد اليه وقال حدثنا يحيى عن عوف قال قال الحسن بجانبه الايمان مادام كذلك فان راجع راجعه الايمان وقال أحمد حدثنا معاوية عن أبي اسحاق عن الازاعي قال وقد قلت للزهري حين ذكر هذا الحديث لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن فانهم يقولون فان لم يكن مؤمنا فمأهو قال فانكر ذلك وكره مسئلتى عنه وقال أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال لعلمانه من أراد منكم الباءة زوجناه لا يزني منكم زان الا نزع الله منه نور الايمان فان شاء أن يردده وان شاء أن يمنعه منعه وقال أبو داود السجستاني حدثنا عبد الوهاب بن نجدة حدثنا بقة بن الوليد حدثنا صفوان بن عمرو عن عبد الله بن ربيعة الحضرمي انه أخبره عن أبي هريرة أنه كان يقول انما الايمان كمنوب أحدكم يلبسه مرة ويقبله أخرى وكذلك رواه باسناده عن عمرو روى عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا وفي حديث عن أبي هريرة مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم اذا زنى الزاني خرج منه الايمان فكان كالظلة فاذا انقطع رجع اليه الايمان وهذا ان شاء الله بيسط في موضع آخر

(فصل) وقد جاءت أحاديث تنازع الناس في صحتها مثل قوله لاصلاة الا بوضوء ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه فاما الاول فهو كقوله لاصلاة الا بطهور وهذا متفق عليه بين المسلمين فان الظهور واجب في الصلاة فاما نفي الصلاة لانتفاء واجب فيها وأما ذكر اسم الله تعالى على الوضوء ففي وجوبه نزاع معروف وأكثر العلماء لا بوجوبه وهو مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وهو احدي الروايتين عن أحمد اختارها الحرقى وأبو محمد وغيرهما والثاني يجب وهو قول طائفة من أهل العلم وهو الرواية الاخرى عن أحمد اختارها أبو بكر عبد العزيز والقاضي أبو يعلى وأصحابه وكذلك قوله لاصلاة لجار المسجد الا في المسجد رواه الدارقطنى فمن الناس من يضعفه مرفوعا ويقول هو من كلام على رضي الله عنه ومنهم من يثبتته كعبد الحق وكذلك قوله لاصيام لمن لم يبيت الصيام من الليل قد رواه أهل السنن وقيل ان رفعه لم يصح وانما يصح موقوفًا على ابن عمر أو حفصة فليس لاحد أن يثبت لفظا عن الرسول مع أنه أريد به نفي الكمال المستحب فان صحت هذه الالفاظ دلت قطعاً على وجوب هذه الامور فان لم تصح فلا ينتقض بها أصل مستقر من الكتاب والسنة وليس لاحد أن يحمل كلام الله ورسوله على وفق مذهبه ان لم يتبين من كلام الله ورسوله ما يدل على مراد الله ورسوله والا فأقوال العلماء تابعة لقول الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ليس قول الله ورسوله تابعاً لأقوالهم فاذا كان في وجوب شيء نزاع

بين العلماء ولفظ الشارع قد اطرده لم يجز أن ينقض الاصل المعروف من كلام الله ورسوله بقول فيه نزاع بين العلماء ولكن من الناس من لا يعرف مذاهب أهل العلم وقد نشأ على قول لا يعرف غيره فيظنه اجماعاً كما يظن أنه اذا ترك الانسان الجماعة وصلى وحده برئت ذمته اجماعاً وليس الامر كذلك بل للعلماء قولان معروفان في أجزاء هذه الصلاة وفي مذهب أحمد فيها قولان فطائفة من قدماء أصحابه حكاه عنهم القاضي أبو يعلى في شرح المذهب ومن متأخريهم كابن عقيل وغيره يقولون من صلى المكتوبة وحده من غير عذر يسوغ له ذلك فهو كمن صلى الظهر يوم الجمعة فان أمكنه أن يؤديها في جماعة بعد ذلك فعليه ذلك والاباء بأئمة كما يبوء تارك الجمعة بأئمة والتوبة معروضة وهذا قول غير واحد من أهل العلم وأكثر الآثار المروية عن السلف من الصحابة والتابعين تدل على هذا . . . وقد احتجوا بما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من سمع النداء ثم لم يجب من غير عذر فلا صلاة له وأجابوا عن حديث الفضيل بأنه في المعذور الذي تباح له الصلاة وحده كما ثبت عنه أنه قال صلاة الرجل قاعدا على النصف من صلاة القائم وصلاة المضطجع على النصف من صلاة القاعد والمراد به المعذور كما في الحديث أنه خرج وقد أصابهم وعك وهم يصلون قعوداً فقال ذلك ولم يجوز أحد من السلف صلاة التطوع مضطجعاً من غير عذر ولا يعرف ان أحداً من السلف فعل ذلك وجوازه وجه في مذهب الشافعي وأحمد لا يعرف لصاحبه سلف صدق مع ان هذه المسألة مما تم به البلوى فلو كان يجوز لكل مسلم أن يصلي التطوع على جنبه وهو صحيح لأمراض به كما يجوز أن يصلي التطوع قاعداً وعلى الراحلة لكان هذا مما قد بينه الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته وكان الصحابة تعلم ذلك ثم مع قوة الداعي الى الخبر لا بد أن يفعل ذلك بعضهم فلما لم يفعله أحد منهم دل على أنه لم يكن مشروعاً عندهم وهذا مبسوط في موضعه . . . والمقصود هنا أنه ينبغي للمسلم أن يقدر قدر كلام الله ورسوله بل ليس لاحد أن يحمل كلام أحد من الناس الا على ما عرف أنه أراد له الا على ما يحمته ذلك اللفظ في كلام كل أحد فان كثيراً من الناس يتأول النصوص الخالفة لقوله يسلك مسلك من يجعل التأويل كأنه ذكر ما يحمته اللفظ وقصده به دفع ذلك المحتج عليه بذلك النص وهذا خطأ بل جميع ما قاله الله ورسوله يجب الايمان به فليس لنا أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض وليس الاعتناء بمراده في أحد النصين دون الآخر بأولى من العكس فاذا كان النص الذي وافقه يمتدده انه اتبع فيه مراد الرسول فكذلك النص الآخر الذي تأوله فيكون أصل مقصوده معرفة ما أراد الرسول بكلامه وهذا هو المقصود بكل ما يجوز من تفسير وتأويل عند من يكون اصطلاحه تغاير معناها وأما من يجعلها بمعنى واحد كما هو الغالب على اصطلاح المفسرين فالتأويل عندهم هو التفسير وأما التأويل في كلام الله ورسوله فله معنى ثالث غير معناه في اصطلاح المفسرين وغيرها في اصطلاح متأخري الفقهاء والاصوليين كما قد بسط في موضعه . . . والمقصود هنا ان كل مانفاه الله ورسوله من مسمى أسماء الامور الواجبة كاسم الايمان والاسلام والدين والصلاة والصيام والطهارة والحج وغير ذلك فانما يكون لتلك واجب في ذلك المسمى ومن هذا قوله تعالى ( فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً

مما قضيت ويسلموا تسليماً) فلما نفي الإيمان حتى توجد هذه الغاية دل على أن هذه الغاية فرض على الناس  
 فن تركها كان من أهل الوعيد لم يكن قد أتى بالإيمان الواجب الذي وعده أهله بدخول الجنة بلا  
 عذاب فان الله انما وعده بذلك من فعل ما أمر به وأما من فعل بعض الواجبات وترك بعضها فهو معرض  
 للوعيد ومعلوم باتفاق المسلمين أنه يجب تحكيم الرسول في كل ما شجر بين الناس في دينهم وديناهم  
 في أصول دينهم وفروعه وعليهم كلهم اذا حكم بشيء أن لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما حكم ويسلموا له تسليماً  
 قال تعالى ( ألم تر الي الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكوا  
 الي الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً واذا قيل لهم تعالوا الي  
 ما أنزل الله والي الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً) وقوله الي ما أنزل الله وقد أنزل الله  
 الكتاب والحكمة وهي السنة قال تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة  
 يعضكم به) وقال تعالى ( وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك  
 عظيماً) والدعاء الي ما أنزل يستلزم الدعاء الي الرسول والدعاء الي الرسول يستلزم الدعاء الي ما أنزله الله  
 وهذا مثل طاعة الله والرسول فانهما متلازمان فن يطع الرسول فقد أطاع الله ومن أطاع الله فقد أطاع  
 الرسول وكذلك قوله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين)  
 فانهما متلازمان فكل من شاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى فقد اتبع غير سبيل المؤمنين وكل من  
 اتبع غير سبيل المؤمنين فقد شاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى فان كان يظن انه متبع سبيل المؤمنين  
 وهو يخطيء فهو بمنزلة من ظن انه متبع للرسول وهو يخطيء . . وهذه الآية تدل على أن اجماع المؤمنين  
 حجة من جهة ان مخالفتهم مستلزمة لمخالفة الرسول وان كل ما أجمعوا عليه فلا بد أن يكون فيه نص عن  
 الرسول فكل مسألة يقطع فيها بالاجماع وبانتفاء المنازع من المؤمنين فانها مما بين الله فيه الهدى ومخالف  
 مثل هذا الاجماع يكفر كما يكفر مخالف النص البين وأما اذا كان يظن الاجماع ولا يقطع به فهنا قد  
 لا يقطع أيضا بانها مما تبين فيه الهدى من جهة الرسول ومخالف مثل هذا الاجماع قد لا يكفر بل قد  
 يكون ظن الاجماع خطأ والصواب في خلاف هذا القول وهذا هو فصل الخطاب فيما يكفر به من  
 مخالفة الاجماع وما لا يكفر . . والاجماع هل هو قطعي الدلالة أو ظني الدلالة فان من الناس من يطلق  
 الاثبات بهذا أو هذا ومنهم من يطلق النفي لهذا ولهذا والصواب التفصيل بين ما يقطع به من الاجماع  
 ويعلم يقينا أنه ليس فيه منازع من المؤمنين أصلاً فهذا يجب القطع بانه حق وهذا لا بد أن يكون مما بين  
 فيه الرسول الهدى كما قد بسط هذا في موضع آخر ومن جهة انه اذا وصف الواجب بصفات متلازمة  
 دل على أن كل صفة من تلك الصفات متى ظهرت وجب اتباعها وهذا مثل الصراط المستقيم الذي أمرنا  
 الله بسؤال هدايته فانه قد وصف بانه الاسلام ووصف بانه اتباع القرآن ووصف بانه طاعة الله ورسوله  
 ووصف بانه طريق العبودية ومعلوم أن كل اسم من هذه الاسماء يجب اتباع مسماه ومسامها كلها واحداً  
 وان تنوعت صفاته فاي صفة ظهرت وجب اتباع مدلولها فانه مدلول الاخرى وكذلك أسماء الله تعالى

وأسماء كتابه وأسماء رسوله هي مثل أسماء دينه وكذلك قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) حبل الله هو دين الإسلام وقيل القرآن وقيل عهده وقيل طاعته وأمره وقيل الجماعة المسلمون وكل هذا حق وكذلك إذا قلنا الكتاب والسنة والاجماع فدلوا الثلاث واحد فان كل ما في الكتاب فالرسول موافق له والامة مجمعة عليه من حيث الجملة فليس في المؤمنين الا من يوجب اتباع الكتاب وكذلك كل ماسنه الرسول صلى الله عليه وسلم فالقرآن يأمر باتباعه فيه والمؤمنون مجمعون على ذلك وكذلك كل ما أجمع عليه المسلمون فإنه لا يكون الا حقاً موافقاً لما في الكتاب والسنة لكن المسلمون يتفقون دينهم كله عن الرسول وأما الرسول فينزل عليه وحى هو القرآن ووحى آخر هو الحكمة كما قال صلى الله عليه وسلم الا أنى أوتيت الكتاب ومثله معه وقال حسان بن عطية كان جبريل ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالسنة فيعلمه اياها كما يعلمه القرآن فليس كل ماجاء به السنة يجب أن يكون مفسراً في القرآن بخلاف ما يقوله أهل الاجماع فإنه لا بد أن يدل عليه الكتاب والسنة فان الرسول هو الواسطة بينهم وبين الله في أمره ونهيه وتحليله وتحريمه والمقصود ذكر الايمان ٥٠ ومن هذا الباب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يبيض الانصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر وقوله آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغض الانصار فان من علم ما قامت به الانصار من نصر الله ورسوله من أول الامر وكان محباً لله ولرسوله أحبهم قطعاً فيكون حبه لهم علامة الايمان الذي في قلبه ومن أبغضهم لم يكن في قلبه الايمان الذي أوجبه الله عليه وكذلك من لم يكن في قلبه بغض ما يبغضه الله ورسوله من المنكر الذي حرمه من الكفر والفسوق والعصيان لم يكن في قلبه الايمان الذي يوجب الله عليه فان من لم يكن مبغضاً لشيء من المحرمات أصلاً لم يكن معه ايمان أصلاً كما سنبينه ان شاء الله تعالى وكذلك من لا يحب لاخته المؤمن ما يحبه لنفسه لم يكن معه ما أوجب الله عليه من الايمان حيث نفي الله الايمان عن شخص فلا يكون الالقص ما يجب عليه من الايمان ويكون من المعرضين للوعيد ليس من المستحقين للوعد المطاق وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا ومن حمل غلينا السلاح فليس منا كله من هذا الباب لا يقوله الا لمن ترك ما أوجب الله عليه أو فعل ما حرمه الله ورسوله فيكون قد ترك من الايمان المفروض عليه ما ينفي عنه الاسم لاجله فلا يكون من المؤمنين المستحقين للوعد السالمين من الوعيد وكذلك قوله تعالى (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أنى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) فهذا حكم اسم الايمان اذا أطلق في كلام الله ورسوله فإنه يتناول فعل الواجبات وترك المحرمات ومن نفي الله ورسوله عنه الايمان فلا بد أن يكون قد ترك واجباً أو فعل محرماً فلا يدخل في الاسم الذي يستحق أهله الوعد دون الوعيد بل يكون من أهل الوعيد وكذلك قوله تعالى (حَبَّبَ اليك الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليك الكفر والفسوق

والعصيان أولئك هم الراشدون . قال محمد بن نصر المروزي لما كانت المعاصي بعضها كفر وبعضها ليس بكفر فرق بينها فجعلها ثلاثة أنواع منها كفر ونوع منها فسوق وليس بكفر ونوع عصيان وليس بكفر ولا فسوق وأخبر انه كرهها كلها الى المؤمنين ولما كانت الطاعات كلها داخلية في الايمان وليس فيها شيء خارج عنهم يفرق بينها فيقول حبيب اليكم الايمان والفرائض وسائر الطاعات بل أجل ذلك فقال حبيب اليكم الايمان فدخل في ذلك جميع الطاعات لانه قد حجب الى المؤمنين الصلاة والزكاة وسائر الطاعات حب تدين لان الله أخبر انه حجب ذلك اليهم وزينه في قلوبهم كقوله ( حجب اليكم الايمان ) ويكرهون جميع المعاصي الكفر منها والفسوق وسائر المعاصي كراهة تدين لان الله أخبر انه كره ذلك اليهم ومن ذلك قول رسول الله رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرته حسنته وساءته سيئته فو مؤمن لان الله حجب الى المؤمنين الحسنات وكره اليهم السيئات . قلت وتكريه جميع المعاصي اليهم يستلزم حب جميع الطاعات لان ترك الطاعات معصية ولانه لا يترك المعاصي كلها ان لم يتلبس بضعها فيكون محبا لضدها وهو الطاعة اذ القلب لا بدله من ارادة فاذا كان يكره الشركه فلا بد أن يريد الخير والمباح بالنية الحسنة يكون خيرا وبالنية السيئة يكون شرا ولا يكون فعل اختياري الا بارادة ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح أحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن وأصدق الاسماء الحارث وهام وأقبحها حرب ومرة فاصدق الاسماء الحارث وهام لان كل انسان همام حارث والحارث الكاسب العامل والهمام الكثير الهام وهو مبدأ الارادة وهو حيوان وكل حيوان حساس متحرك بالارادة فاذا فعل شيئا من المباحات فلا بد له من غاية ينتهي اليها قصده وكل مقصود اما أن يقصد لنفسه واما أن يقصد لغيره فان كان منتهى مقصوده ومراده عبادة الله وحده لا شريك له وهو اله الذي يعبد لا يعبد شيئا سواه وهو أحب اليه من كل ماسواه فان ارادته تنتهي الى ارادته وجه الله فيثاب على مباحاته التي يقصد الاستئانة بها على الطاعة كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نفقة الرجل على أهله يحسبها صدقة وفي الصحيحين عنه انه قال لسعد بن أبي وقاص لما مرض بمكة وعاده قال انك لن تنفق نفقة تبتني بها وجه الله الا ازددت بها درجة ورفعته حتى اللقمة ترفعها الى في امرأتك وقال معاذ بن جبل لابي موسى اني احتسب نومتي كما احتسب قومتي وفي الاثر نوم العالم تسيح وان كان أصل مقصوده عبادة غير الله لم تكن الطيبات مباحة له فان الله انما أباحها للمؤمنين من عبادة بل الكفار وأهل الجرائم والذنوب وأهل الشهوات يحاسبون يوم القيامة على نعم الله التي تنعموا بها فلم يشكروه ولم يعبدوه بها ويقال لهم (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ) وقال تعالى ( ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم ) أي عن شكره والكافر لم يشكر على النعم الذي أنعم الله عليه به فيعاقبه على ذلك والله انما أباحها للمؤمنين وأمرهم معها بالشكر كما قال تعالى ( كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ) وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ليرضى عن العبد أن يأكل الاكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها وفي سنن ابن ماجه وغيره الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وكذلك قال للرسول

(كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً) وقال تعالى (أحلت لكم بهيمة الانعام الا مايتلى عليكم غير محلى الصيد وأتم حرم) وقال الخليل (وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر) قال الله تعالى (ومن كفر فامتعه قليلاً ثم أضطره الى عذاب النار وبئس المصير) فالخليل انما دعا بالطيبات للمؤمنين خاصة والله انما أباح بهيمة الانعام لمن حرم ما حرمه الله من الصيد وهو محرم والمؤمنون أمرهم أن يأكلوا من الطيبات ويشكروه ولهذا ميز سبحانه وتعالى بين خطاب الناس مطلقاً وخطاب المؤمنين فقال (يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون) فانما أذن للناس أن يأكلوا مما في الارض بشرطين أن يكون طيباً وأن يكون حلالاً قال (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله) فاذن للمؤمنين في الاكل من الطيبات ولم يشترط الحل وأخبر انه لم يحرم عليهم الا ما ذكره فما سواه لم يكن محرماً على المؤمنين ومع هذا فلم يكن أحله بخطابه بل كان عفواً كما في الحديث عن سلمان موقوفاً ومرفوعاً للحلال ما أحله الله في كتابه والحرام ما حرمه الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفى عنه وفي حديث أبي ثعلبة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحدوداً فلا تعدوها وحرمات فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها وكذلك قوله تعالى (قل لا أجد فيما أوحى الي محرماً على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة) نفي التحريم عن غير المذكور فيكون الباقي مسكوتاً عن تحريمه عفواً والتحليل انما يكون بخطاب ولهذا قال في سورة المائدة التي أنزلت بعد هذا (يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين إلى قوله اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم) ففي ذلك اليوم أحل لهم الطيبات وقبل هذا لم يكن محرماً عليهم الا ما استثناه وقد حرم النبي صلى الله عليه وسلم كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخالب من الطير ولم يكن هذا نسخاً للكتاب لان الكتاب لم يحل ذلك ولكن سكت عن تحريمه فكان تحريمه ابتداءً شرعاً ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المروي من طرق من حديث أبي رافع وأبي ثعلبة وأبي هريرة وغيرهم لا الفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الامر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول بيننا وبينكم هذا القرآن فما وجدنا فيه من حلال أحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه الا واني أوتيت الكتاب ومثله معه وفي لفظ الا وانه مثل القرآن أو أكثر الا واني حرمت كل ذي ناب من السباع فبين انه أنزل عليه وحى آخر وهو الحكمة غير الكتاب وان الله حرم عليه في هذا الوحي ما أخبر بتحريمه ولم يكن ذلك نسخاً للكتاب فان الكتاب لم يحل هذه قط انما أحل الطيبات وهذه ليست من الطيبات وقال (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) فلم تدخل هذه الآية في العموم لكنته لم يكن حرمها فكانت معفواً عن تحريمها لا مأذونا في أكلها وأما الكفار فلم يأذن الله لهم في كل شيء ولا أحل لهم شيئاً ولا

عفاهم عن شيء يأكلونه بل قال ( يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيباً ) فشرط فيما يأكلونه أن يكون حلالا وهو المأذون فيه من جهة الله ورسوله والله لم يأذن في الاكل الا للمؤمن به فلم يأذن لهم في أكل شيء الا اذا آمنوا ولهذا لم تكن أموالهم مملوكة لهم ملكا شرعياً لان الملك الشرعي هو القدرة على التصرف الذي أباحه الشارع صلى الله عليه وسلم والشارع لم يبيح لهم تصرفا في الاموال الا بشرط الايمان فكانت أموالهم على الاباحة فاذا قهر طائفة منهم طائفة قهراً يستحلونها في دينهم وأخذوها منهم صار هؤلاء فيها كما كان أولئك والمسلمون اذا استولوا عليها فغنموا ملكوها شرعاً لان الله أباح لهم الغنائم ولم يحبسها لغيرهم ويجوز لهم أن يعاملوا الكفار فيما أخذهم بعضهم من بعض بالقهر الذي يستحلونه في دينهم ويجوز أن يشتري من بعضهم ماسباه من غيره لان هذا بمنزلة استيلائه على المباحات ولهذا سمي الله ماعاد من أموالهم الى المسلمين فيثالان الله أفاءه الى مستحقه أي رده الى المؤمنين به الذين يعبدونه ويستعينون برزقه على عبادته فانه انما خلق الخلق ليعبدوه وانما خلق الرزق لهم ليستعينوا به على عبادته ولفظ النبي قد يتناول الغنيمة كقول النبي صلى الله عليه وسلم في غنائم حنين ليس لي مما أفاء الله عليكم الا الخمس والخمس مردود عليكم لكنه لما قال تعالى ( ما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ) صار لفظ النبي اذا أطلق في عرف الفقهاء فهو مأخوذ من مال الكفار بغير ايجاب خيل ولا ركاب والايجاب نوع من التحريك . وأما اذا فعل المؤمن ما يبيح له قاصدا للعدول عن الحرام الى الحلال لحاجته اليه فانه يثاب على ذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وفي بضع أحدكم صدقة قالوا يارسول الله يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال رأيتم ان وضعها في حرام كان عليه فيها وزر فكذلك اذا وضعها في الحلال كان له أجر وهذا كقوله في حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يكره أن تؤتى معصيته ورواه أحمد وابن خزيمة في صحيحه وغيرهما فاخبر أن الله يحب اتيان رخصه كما يكره فعل معصيته وبعض الفقهاء يرويه كما يجب أن تؤتى عزائمه وليس هذا لفظ الحديث وذلك لان الرخص انما أباحها الله لحاجة العباد اليها والمؤمنون يستعينون بها على عبادته فهو يجب الاخذ بها لان الكزيم يجب قبول احسانه كما قال في حديث القصر صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته ولانه بها تم عبادته وطاعته وأما ما لا يحتاج اليه الانسان من قول وعمل بل يفعله عبثاً فهذا عليه لاله كما في الحديث كل كلام ابن آدم عليه لاله الا أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر وذكر الله وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت فامر المؤمن بأحد امرين اما قول الخير أو الصمت ولهذا كان قول الخير خيراً من السكوت عنه والسكوت عن الشر خيراً من قوله ولهذا قال تعالى ( ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ) . وقد اختلف هل يكتب جميع أقواله فقال مجاهد وغيره يكتبان كل شيء حتى أئنه في مرضه وقال عكرمة لا يكتبان الا ما يؤجر عليه أو يوزر والقرآن يدل على أنهما يكتبان الجميع فانه قال ما يلفظ من قول نكرة في الشرط مؤء كدة بحرف من فهذا يعم كل قوله وأيضاً فكونه يؤجر على قول معين أو يوزر يحتاج الى أن يعرف

الكتاب ما أمر به وما نهى عنه فلا بد في اثبات معرفة الكتاب به الى نقله وأيضاً فهو مأمور بما يقوله الخبير  
 واما بالصمت فاذا عدل عما أمر به من الصمت الى فضول القول الذي ليس بخير كان هذا عليه فانه يكون  
 مكروهاً والمكروه ينتقصه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فاذا  
 خاض فيما لا يعنيه نقص من حسن اسلامه فكان هذا عليه اذ ليس من شرط ما هو عليه أن يكون عذاب  
 جهنم وغضب الله بل نقص قدره ودرجته عليه ولهذا قال تعالى ( لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ) فما  
 يعمل أحد الاعليه وله فان كان مما أمر به كان له والا كان عليه ولو أنه ينتقص قدره والنفس طبعها الحركة  
 لا تسكن قط لكن قد عفا الله عما حدث به المؤمنون أنفسهم ما لم يتكلموا به أو يعملوا به فاذا عملوا به  
 دخل في الامر والنهي فاذا كان الله قد كره الى المؤمنين جميع المعاصي وهو قد حجب اليهم الايمان الذي يقتضى  
 جميع الطاعات اذا لم يعارضه ضد باتفاق الناس فان المرجئة لا تنازع في ان الايمان الذى فى القلب يدعو الى  
 فعل الطاعة ويقتضى ذلك والطاعة من ثمراته ونتائجها لكنها تتنازع هل يستلزم الطاعة فانه وان كان يدعو الى  
 الطاعة فله معارض من النفس والشيطان فاذا كان قد كره الى المؤمنين المعارض كان المقتضى للطاعة سالماً عن  
 هذا المعارض وأيضاً فاذا كرهوا جميع السيئات لم يبق الا حسنات أو مباحات والمباحات لم تبح الا لاهل الايمان  
 الذين يستعينون بها على الطاعات والا فالله لم يبيح قط لاحد شيئاً أن يستعين به على كفر ولا فسوق ولا عصيان  
 ولهذا لعن النبي صلى الله عليه وسلم عاصر الخمر ومعتصرها كما لعن شارها والعاصر يعصر عنباً يصير عصيراً  
 يمكن ان ينتفع به في المباح لكن لما علم ان قصد العاصر ان يجعلها خمرأ لم يكن له ان يعينه بما جنسه مباح على  
 معصية الله بل لعنه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك لان الله لم يبيح اعانة العاصي على معصيته ولا أباح له ما  
 يستعين به في المعصية فلا يكون مباحاً لهم الا اذا استعانوا بها على الطاعات فيلزم من انتفاء السيئات انهم لا يفعلون الا  
 الحسنات ولهذا كان من ترك المعاصي كلها فلا بد ان يشتغل بطاعة الله وفي الحديث الصحيح كل الناس يغدو فبائع  
 نفسه فمعتقها أو موبقها فلؤم من لا بد ان يحب الحسنات ولا بد ان يبغض السيئات ولا بد ان يسره فعل الحسنات  
 ويسوئه فعل السيئات ومتى قدر انه في بعض الامور ليس كذلك كان ناقص الايمان والمؤمن قد تصدر منه  
 السيئة فيتوب منها أو يأتي بحسنات تمحوها أو يتبلى ببلاء يكفرها عنه ولكن لا بد أن يكون كارهاً لها فان  
 الله أخبر انه حجب الى المؤمنين الايمان وكره اليهم الكفر والفسوق والعصيان فن لم يكره الثلاثة لم يكن  
 منهم ولكن محمد بن نصر يقول الفاسق يكرها تديناً فيقال ان أريد بذلك أنه يعتقد ان دينه حرمها  
 وهو يجب دينه وهذه من جملة فهو يكرها وان كان يجب دينه جملاً وليس في قلبه كراهة لها كان قد  
 عدم من الايمان بقدر ذلك كما في الحديث الصحيح من رأى منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه  
 فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان وفي الحديث الآخر الذى فى الصحيح أيضاً صحيح مسلم  
 فن جاهدكم بيده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء  
 ذلك من الايمان مثقال حبة خردل . . . فعلم ان القلب اذا لم يكن فيه كراهة ما يكرهه الله لم يكن فيه من الايمان  
 الذى يستحق به الثواب وقوله من الايمان أى من هذا الايمان وهو الايمان المطلق أى ليس وراء هذه

الثلاث ماهو من الايمان ولا قدر حبة خردل والمعنى هذا آخر حدود الايمان ما بقي بعد هذا من الايمان  
شيء ليس مراده انه من لم يفعل ذلك لم يبق معه من الايمان شيء بل لفظ الحديث انما يدل على المعنى الاول  
( فصل ومن هذا الباب ) لفظ الكفر والنفاق فالكفر اذا ذكر مفردا في وعيد الآخرة دخل  
فيه المنافقون كقوله ( ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين ) وقوله ( ومن  
يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخرة فقد ضل ضلالا بعيدا ) وقوله ( لا يصلاها الا الاشقي  
الذي كذب وتولى ) وقوله ( كلما أتى فيها فوج سألم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير  
فكذبنا وقتلنا ما نزل الله من شيء ان أنتم الا في ضلال كبير ) وقوله ( وسيق الذين كفروا الى جهنم  
زمرا حتى اذا جاؤا فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم  
وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم  
خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ) وقوله ( ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما  
جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين ) وقوله ( ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره  
يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم  
تنسى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ) وقوله ( ان الذين  
كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية ) وأمثال هذه النصوص  
كثير في القرآن فانه كلها يدخل فيها المنافقون الذين هم في الباطن كفار ليس معهم من الايمان  
شيء كما يدخل فيها الكفار المظهرون للكفر بل المنافقون في الدرك الاسفل من النار كما أخبر الله بذلك  
في كتابه ثم قد يقرن الكفر بالنفاق في مواضع ففي أول البقرة ذكر أربع آيات في صفة المؤمنين  
وآيتين في صفة الكافرين وبضع عشرة آية في صفة المنافقين فقال تعالى ( ان الله جامع المنافقين  
والكافرين في جهنم جميعا ) وقال ( يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم  
قيل ارجعوا وراكم فالتمسوا نورا ) الى قوله ( فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا وماؤا تم  
النار هي مولاكم وبئس المصير ) وقال ( يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ) في سورتين  
وقال ( ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لآخوانهم الذين كفروا ) الآية وكذلك لفظ المشركين قد يقرن  
بأهل الكتاب فقط وقد يقرن بالملل الخمس كما في قوله تعالى ( ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين  
والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد ) والاول  
كقوله ( لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة ) وقوله ( ان  
الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية ) وقوله تعالى  
( وقل للذين أتوا الكتاب والاميين ءأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ )  
وليس أحد بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم الا من الذين أتوا الكتاب والاميين وكل أمة لم تكن  
من الذين أتوا الكتاب فهم من الاميين كالاميين من العرب ومن الخزر والصقالبة والهند والسودان

وغيرهم من الاعم الذين لا كتاب لهم فهؤلاء كلهم أميون والرسول مبعوث اليهم كما بعث الى الاميين من العرب وقوله وقل للذين أوتوا الكتاب وهو انما يخاطب الموجودين في زمانه بعد النسخ والتبديل فدل على ان من دان بدين اليهود والنصارى فهو من الذين أوتوا الكتاب لا يختص هذا اللفظ بمن كانوا متمسكين به قبل النسخ والتبديل ولا فرق بين أولادهم وأولاد غيرهم فان أولادهم اذا كانوا بعد النسخ والتبديل بمن أوتوا الكتاب فكذلك غيرهم اذا كانوا كلهم كفارا وقد جعلهم الذين أوتوا الكتاب بقوله وقل للذين أوتوا الكتاب وهو لا يخاطب بذلك الا من بلغته رسالته لامن مات فدل ذلك على أن قوله وطعام الذين أوتوا الكتاب يتناول هؤلاء كلهم كما هو مذهب الجمهور من السلف والخلف وهو مذهب مالك وأبي حنيفة وهو المنصوص عن أحمد في عامة أجوبته لم يختلف كلامه الا في نصارى بني تغلب وآخر الروايتين عنه انهم تباح نسأؤهم وذبحهم كما هو قول جمهور الصحابة وقوله في الرواية الاخرى لا تباح متابعة لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه لم يكن لاجل النسب بل لكونهم لم يدخلوا في دين أهل الكتاب الا فيما يشتهونه من شرب الخمر ونحوه ولكن بعض التابعين ظن ان ذلك لاجل النسب كما نقل عن عطاء وقال به الشافى ومن وافقه من أصحاب أحمد وفرعوا على ذلك فروعا كمن كان أحد أبويه كتابياً والآخر ليس بكتابى ونحو ذلك حتى لا يوجد في طائفة من كتب أصحاب أحمد الا هذا القول وهو خطأ على مذهبه مخالف لنصومه لم يعلق الحكم بالنسب في مثل هذا البنية كما قد بسط في موضعه ولفظ المشركين يذكر مفردا في مثل قوله ( ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ) وهل يتناول أهل الكتاب فيه قولان مشهوران للسلف والخلف والذين قالوا بأنها تعم منهم من قال هي محكمة كابن عمر والجمهور الذين يبيحون نكاح الكتابيات كما ذكره الله في آية المائدة وهي متأخرة عن هذه ومنهم من يقول نسخ منها تحريم نكاح الكتابيات ومنهم من يقول بل هو مخصوص لم يرد باللفظ العام وقد أنزل الله تعالى بعد صالح الحديدية قوله ( ولا تمسكوا بعصم الكوافر ) وهذا قد يقال انما نهي عن التمسك بالعصمة من كان متزوجا كافرة ولم يكونوا حينئذ متزوجين الا بمشركة وثنية فلم يدخل في ذلك الكتابيات

❖ فصل ❖ وكذلك لفظ الصالح والشهيد والصديق يذكر مفردا فيتناول النبيين قال تعالى في حق الخليل ( وآتينا أجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين ) وقال ( وآتينا في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين ) وقال الخليل ( رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين ) وقال يوسف ( توفني مسلماً وألحقني بالصالحين ) وقال سليمان ( وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ) وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح المتفق على صحته لما كانوا يقولون في آخر صلاتهم السلام على الله قبل عباده السلام على فلان فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ان الله هو السلام فاذا قمنا أحكم في الصلاة فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فاذا قلها أصابت كل عبد صالح لله في السماء والارض الحديث وقد يذكر الصالح مع غيره كقوله تعالى ( فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ) قال

الزجاج وغيره الصالح القائم بحقوق الله وحقوق عباده ولفظ الصالح خلاف الفاسد فاذا أطلق فهو الذي صلح جميع أمره فلم يكن فيه شيء من الفساد فاستوت سريره وعلايته وأقواله وأعماله على ما يرضى ربه وهذا يتناول النبيين ومن دونهم ولفظ الصديق قد جعل هنا معطوفاً على النبيين وقد وصف به النبيين في مثل قوله (واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقاً نبياً • واذكر في الكتاب إدريس انه كان صديقاً نبياً) وكذلك الشهيد قد جعل هنا قرين الصديق والصالح وقد قال (وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق) ولما قيدت الشهادة على الناس وصفت به الامة كلها في قوله (وكذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) فهذه شهادة مقيدة بالشهادة على الناس كالشهادة المذكورة في قوله (لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء) وقوله (واششهدوا شاهدين من رجالكم) وليست هذه الشهادة المطلقة في الآيتين ذلك كقوله (ويتخذ منكم شهداء)

﴿فصل﴾ وكذلك لفظ المعصية والفسوق والكفر فاذا أطلقت المعصية لله ورسوله دخل فيه الكفر والفسوق كقوله (ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبداً) وقال تعالى (وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسوله واتبعوا أمر كل جبار عنيد) وأطلق معصيته للرسول بانهم عصوا هوداً بمعصية تكذيب لجلس الرسل فكانت المعصية لجلس الرسل كمعصية من قال فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ومعصية من كذب وتولى قال تعالى (لا يصلاها الا الاشقي الذي كذب وتولى) أي كذب بالخبر وتولى عن طاعة الامر وانما على الخلق أن يصدقوا الرسل فيما أخبروا ويطيعوهم فيما أمروا وكذلك قال في فرعون فكذب وعصى وقال عن جنس الكافر (فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى) فالتكذيب للخبر والتولي عن الامر وانما الايمان تصديق الرسل فيما أخبروا وطاعتهم فيما أمروا ومنه قوله (كما أرسلنا الي فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول) ولفظ التولي بمعنى التولي عن الطاعة المذكور في مواضع من القرآن كقوله (ستدعون الي قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فان طيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وان تولوا كما توليت من قبل يعذبكم عذاباً أليماً) وذمه في غير موضع من القرآن من تولى دليل على وجوب طاعة الله ورسوله وان الامر المطلق يقتضى وجوب الطاعة وذم التولي عن الطاعة كما علق الذم بمطلق المعصية في مثل قوله (فعصى فرعون الرسول) وقد قيل ان التأبيد لم يذكر في القرآن الا في وعيد الكفار ولهذا (قال ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً) وقال فيمن يجور في المواثيق (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) فهنا قيد المعصية بتعدي حدوده فلم يذكرها مطلقة وقال (وعصى آدم ربه فغوي) فهي معصية خاصة وقال تعالى (حتى اذا فشتم وتنازعتم في الامر وعصيتهم من بعد ما أراكم ماتحبون) فأخبر عن معصية واقعة معينة وهي معصية الرماة للنبي صلى الله عليه وسلم حيث أمرهم بلزوم نعرهم وان رأوا المسلمين قد انتصروا فعصى من أعصى منهم هذا الامر وجعل أميرهم يأمرهم لما رأوا الكفار منهزمين وأقبل من أقبل منهم على المغنم وكذلك قوله (وكره

اليكم الكفر والفسوق والعصيان) جعل ذلك ثلاث مراتب وقد قال (ولا يعصينك في معروف) فقيده المعصية ولهذا فسرت بالنياحة قال ابن عباس وروي ذلك مرفوعاً وكذلك قال زيد بن أسلم لا تدعن وبلا ولا تخدشن وجهاً ولا تشمرن شعراً ولا تشققن ثوباً وقد قال بعضهم هو جميع ما يأمرهم به الرسول من شرائع الاسلام وأدلته كما قاله أبو سليمان الدمشقي ولفظ الآية عام انهن لا يعصينه في معروف ومعصيته لا تكون الا في معروف فانه لا يأمر بمنكر لكن هذا كما قيل فيه دلالة على أن طاعة ولي الامر انما تلزم في المعروف كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال انما الطاعة في المعروف ونظير هذا قوله (استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحبيكم) وهو لا يدعو الا الى ذلك والتقييد هنا لا مفهوم له فانه لا يقع دعاء لغير ذلك ولا أمر بغير معروف وهذا كقوله تعالى (ولا تكثرها فتياتكم على البغاء ان أردن تحصناً) فانهن اذا لم يردن تحصناً امتنع الاكراه ولكن في هذا بيان الوصف المناسب للحكم ومنه قوله تعالى (ومن يدع مع الله الهاً آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون) وقوله (ويقتلون النبيين بغير الحق) فالتقييد في جميع هذا للبيان والايضاح لا لخراج وصف آخر ولهذا يقول من يقول من النجاة الصفات في المعارف للتوضيح للتخصيص وفي النكرات للتخصيص يعني في المعارف التي لا تحتاج الى تخصيص كقوله (سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوي) وقوله (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدهونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل) وقوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم) والصفات في النكرات اذا تميزت تكون للتوضيح أيضاً ومع هذا فقد عطف المعصية على الكفر والفسوق في قوله (وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) ومعلوم أن الفاسق حاص أيضاً

﴿ فصل ﴾ ومن هذا الباب ظلم النفس فانه اذا اطلق تناول جميع الذنوب فانها ظلم العبد نفسه قال تعالى (ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتيب) وقال تعالى (واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باخذكم العجل فتوبوا الي بارئكم) وقال في قتل النفس (رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي) وقالت بلقيس (رب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) وقال آدم عليه السلام (ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) ثم قد يقرن ببعض الذنوب كقوله تعالى (والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا انفسهم) وقوله (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً) وأما لفظ الظلم المطلق فيدخل فيه الكفر وسائر الذنوب قال تعالى (أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون) قال عمر بن الخطاب ونظراءهم وهذا ثابت عن عمر وروي ذلك عنه مرفوعاً وكذلك قال ابن عباس وأشباهم وكذلك قال قتادة والكلبي كل من عمل بمنزلة عملهم فاهل الجحيم مع أهل الجحيم وأهل الزنا مع أهل الزنا وعن الضحاك ومقاتل قرءاهم من الشياطين كل كافر معه

شيطانه في سلسلة وهذا كقوله (واذا النفوس زوجت) قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الفاجر مع الفاجر والصالح مع الصالح قال ابن عباس وذلك حين يكون الناس أزواجا ثلاثة وقال الحسن وقتادة إلحق كل امرئ بشيعته اليهودي مع اليهود والنصراني مع النصاري وقال الربيع بن خيثم يحشر المرء مع صاحب عمله وهذا كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم لما قيل له الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال المرء مع من أحب وقال الارواح جنود مجنودة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقال المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال وزوج الشيء نظيره وسمى النصف زوجا لتشابه أفراده كقوله (أثبتنا فيها من كل زوج كريم) وقال (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) قال غير واحد من المفسرين صنفين ونوعين مختلفين السماء والارض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والشتاء والصيف والجن والانس والكفر والايمان والسعادة والشقاوة والحق والباطل والذكر والانثى والنور والظلمة والحلو والمر وأشبه ذلك لعلكم تذكرون فتعلمون أن خالق الأزواج واحد وليس المراد أنه يحشر معهم زوجاتهم مطلقاً فان المرأة الصالحة قد يكون زوجها فاجراً بل كافراً كامرأة فرعون وكذلك الرجل الصالح قد تكون امرأته فاجرة بل كافرة كامرأة نوح ولوط لكن ان كانت المرأة على دين زوجها دخلت في عموم الأزواج ولهذا قال الحسن البصرى وأزواجهم المشركات فلا ريب أن هذه الآية تناولت الكفار كما دل عليه سياق الآية وقد تقدم كلام المفسرين انه يدخل فيها الزناة مع الزناة وأهل الخمر مع أهل الخمر وكذلك الأثر المروى اذا كان يوم القيامة قيل أين الظلمة وأعوانهم أو قال أشباههم فيجمعون في توابيت من نار ثم يقذف بهم في النار وقد قال غير واحد من السلف أعوان الظلمة من أعيانهم ولو أنه لاق لهم دواة أو برى لهم قلماً ومنهم من كان يقول بل من يغسل نياهم من أعوانهم وأعوانهم هم من أزواجهم المذكورين في الآية فان المعين على البر والتقوى من أهل ذلك والمعين على الاثم والعدوان من أهل ذلك قال تعالى ( من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها ) والشافع الذي يعين غيره فيصير معه شفعاً بعد ان كان وترأ ولهذا فسرت الشفاعة الحسنة باعانة المؤمنين على الجهاد والشفاعة السيئة باعانة الكفار على قتال المؤمنين كما ذكر ذلك ابن جرير وأبو سليمان وفسرت الشفاعة الحسنة بشفاعة الانسان للانسان ليجتلب له نفعاً أو يخلصه من بلاء كما قال الحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد فالشفاعة الحسنة أعانته على خير يحبه الله ورسوله مع نفع من يستحق النفع ودفع الضر عن من يستحق دفع الضر عنه والشفاعة السيئة إعانته على ما يكرهه الله ورسوله كالشفاعة التي فيها ظلم الانسان أو منع الاحسان الذي يستحقه وفسرت الشفاعة الحسنة بالدعاء للمؤمنين والسيئة بالدعاء عليهم وفسرت الشفاعة الحسنة بالاصلاح بين اثنين وكل هذا صحيح فالشافع زوج المشفوع له اذا المشفوع عنده من الخلق اما أن يعينه على بر وتقوى واما أن يعينه على إثم وعدوان وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أنه طالب حاجة قال لا صحابه اشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان نبيه ما شاء وتام الكلام ببيان أن الآية وان تناولت الظالم الذي ظلم بكفره فهي أيضاً متناولة مادون ذلك وان قيل فيها وما يعبدون فقد ثبت

في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد القطفية  
تعس عبد الحمضة تعس وانكس واذا شيك فلا انتقش وثبت عنه في الصحيح أنه قال ما من صاحب كنز  
الا جعل له كنزه يوم القيامة شجاعا أقرع يأخذ بلهزمته أنا مالك أنا كنزك وفي لفظ الامثل له يوم القيامة  
شجاعا أقرع يفر منه وهو يتبعه حتى يطوقه في عنقه وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية  
(سيطوقون ما جملوا به يوم القيامة) وفي حديث آخر مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع يتبع صاحبه حيث  
ما ذهب وهو يفر منه هذا مالك الذي كنت تجل به فاذا رأى أنه لا بد له منه أدخل يده في فيه فيقضها  
كما يقضم الفحل وفي رواية فلا يزال يتبعه فيلقمه يده فيقضها ثم يلقمه سائر جسده وقد قال تعالى في  
الآية الاخرى (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمي  
عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم  
تكنزون) وقد ثبت في الصحيح وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من صاحب كنز لا يؤدي  
زكاته الا أحمى عليها في نار جهنم فيجعل صفايح فيكوي بها جبينه وجنباه حتى يحكم الله بين عباده في  
يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يري سيبله إما الى الجنة وإما الى النار في حديث أبي ذر  
بشر الكافرين برضف يحمي عليها في نار جهنم فتوضع على حامله ندى أحدهم حتى يخرج من نعص كنفه  
ويوضع على نعص كنفه حتى يخرج من حامله نديه ينزل وتكوي الجباه والجنوب والظهور حتى يلتقي  
الحرق في أجوافهم وهذا كما في القرآن وبدل على أنه بعد دخول النار فيكون هذا لمن دخل النار  
من فعل به ذلك اولا في الموقف فهذا الظالم لما منع الزكوة يحشر مع اشباهه وماله الذي صار عبد الله  
من دون الله فيعذب به وان لم يكن هذا من اهل الشرك الاكبر الذين يدخلون في النار ولهذا قال في  
آخر الحديث ثم يري سيبله اما الى الجنة وإما الى النار فهذا بعد تعذيبه خمسين ألف سنة مما  
تعدون ثم يدخل الجنة . . . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الشرك في هذه الامة اخفى من ديب النمل  
قال ابن عباس واصحابه كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق وكذلك قال اهل السنة كاحمد  
ابن حنبل وغيره كما سنذكره ان شاء الله وقد قال الله تعالى (اتخذوا أحمارهم ورهبانهم اربابا من دون  
الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) وفي حديث  
عدي بن حاتم وهو حديث حسن طويل رواه احمد والترمذي وغيرهما وكان قد قدم على النبي صلى الله  
عليه وسلم وهو نصراني فسمعه يقرأ هذه الآية قال فقلت له انا لسنا لعبدكم قال اليس يحرمون ما احل الله  
فتمحرمونه ويحلون ما حرم الله فتمحلونه قال فقلت بلى قال فتلك عبادتهم وكذلك قال ابو البختري اما  
انهم لم يصلوا لهم ولو امرهم ان يعبدوهم من دون الله ما اطاعوهم ولكن امرهم فجعلا حلال الله  
حرامه وحرامه حلاله فاطاعوهم فكانت تلك الربوبية وقال الربيع بن انس قلت لابي العالية كيف  
كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل قال كانت الربوبية انهم وجدوا في كتاب الله ما امروا به ونهوا عنه  
فقالوا لن نسبق احبارنا بشيء فما امرونا به اتمرنا وما نهونا عنه انتهينا لقولهم فاستنصحووا الرجال ونبدوا

كتاب الله وراء ظهورهم فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ان عبادتهم اياهم كانت في تحليل الحرام وتحريم  
 الحلال لا انهم صلوا لهم وصاموا لهم ودعوهم من دون الله فهذه عبادة الرجال وتلك عبادة للاموال قد  
 بينها النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكر الله تعالى ان ذلك شرك بقوله ( لا اله الا هو سبحانه عما يشركون )  
 فهذا من الظلم الذي يدخل في قوله ( احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله ) فان  
 هؤلاء الذين امرهم بهؤلاء جميعاً معذبون وقال ( انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها  
 واردون ) وانما يخرج من هذا من عبد مع كراهته لأن يعبد ويطاع في معصية الله فهم الذين سبقت لهم  
 الحسنى كالسيح والعزير وغيرهما فالولئك مبعدون . . . واما من رضى بان يعبد ويطاع في معصية الله فهو  
 مستحق للوعيد ولو لم يأمر بذلك فكيف اذا امر وكذلك من امر غيره بان يعبد غير الله وهذا من  
 أزواجهم فان أزواجهم قد يكونون رؤساء لهم وقد يكونون اتباعاً لهم وأزواجاً وأشياء لتشابههم في الدين وسياق  
 الآية يدل على ذلك فانه سبحانه قال ( احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله  
 فاهدوهم الى صراط الجحيم ) قال ابن عباس دلوهم وقال الضحاك مثله وقال ابن كيسان قدموهم والمعنى  
 قودوهم كما يقود الهادي لمن يهديه ولهذا تسمى الاعناق الهوادى لانها تقود سائر البدن ويسمى أوائل  
 الوحش الهوادى (وقفوهم انهم مسئولون ما لكم لاتنصرون) أى كما كنتم تنصرون في الدنيا على الباطل  
 ( بل هم اليوم مستسلمون وأقبل بعضهم على بعض يتسائلون قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قالوا بل لم  
 تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوماً طاغين فحق علينا قول ربنا انا لذائقون  
 فأغوبناكم انا كنا غاوين فانهم يومئذ في العذاب مشتركون انا كذلك نفعل بالجرمين انهم كانوا اذا قيل  
 لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون اءنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون ) وقال تعالى ( قال ادخلوا في أمم قد  
 خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت أمة لعنت أخيها حتى اذا ادركوا فيها جميعاً قالت  
 أخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون  
 وقالت اولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ) وقال تعالى ( واذا  
 يتجاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار  
 قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد ) وقال تعالى ( ولو ترى اذ الظالمون موقوفون  
 عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لو لا أنتم لكننا مؤمنين  
 قال الذين استكبروا للذين استضعفوا نحن صدقناكم عن الهدي بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال  
 الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمرنا ان نكفر بالله ونجعل له أنداداً وأسروا  
 الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون ) وقوله  
 في سياق الآية ( انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ) ولا ريب انها تتناول الشركين الأصغر  
 والاكبر وتتناول أيضاً من استكبر عما أمره الله به من طاعته فان ذلك من تحقيق قول لا اله الا الله فان  
 الاله هو المستحق للعبادة فكل ما يعبد به الله فهو من تمام تأله العباد له فمن استكبر عن بعض عبادته

سامعاً مطيعاً في ذلك لغيره لم يحقق قول لا اله الا الله في هذا المقام وهؤلاء الذين اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أرباباً حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله يكونون على وجهين أحدهما أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله اتباعاً لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر وقد جعله الله ورسوله شركاً وان لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه انه خلاف الدين واعتقد ماقاله ذلك دون ماقاله الله ورسوله مشركاً مثل هؤلاء الثاني أن يكون اعتقادهم وايمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتاً لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد انها معاصي هؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب كما قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إنما الطاعة في المعروف وقال على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصية وقال لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وقال ومن أمركم بمعصية الله فلاطيعوه ثم ذلك المحرم للحلال والمحلل للحرام ان كان مجتهداً قصده اتباع الرسول لكن خفي عليه الحق في نفس الامر وقد اتقى الله ما استطاع فهذا لا يؤاخذ الله بخطئه بل يشيبه على اجتهاده الذي أطاع به ربه ولكن من علم أن هذا خطأ فيما جاء به الرسول ثم اتبعه على خطأ وعدل عن قول الرسول فهذا له نصيب من هذا الشرك الذي ذمه الله لاسيما ان تبع في ذلك هواه ونصره باللسان واليد مع علمه بانه مخالف للرسول فهذا شرك يستحق صاحبه العقوبة عليه ولهذا اتفق العلماء على انه اذا عرف الحق لايجوز تقليد أحد في خلافه وانما تنازعوا في جواز التقليد للقادر على الاستدلال وان كان عاجزاً عن اظهار الحق الذي يعلمه فهذا يكون كمن عرف أن دين الاسلام حق وهو بين التصاري فاذا فعل ما يقدر عليه من الحق لا يؤاخذ بما عجز عنه وهؤلاء كالتجاشي وغيره وقد أنزل الله في هؤلاء آيات من كتابه كقوله تعالي (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم) وقوله (ومن قوم موسى أمة يهدون الى الحق وبه يمدون) وقوله (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) وأما ان كان المتبع للمجتهد عاجزاً عن معرفة الحق على التفصيل وقد فعل ما يقدر عليه مثله من الاجتهاد في التقليد فهذا لا يؤاخذ ان أخطأ كما في القبلة وأما ان قلد شخصاً دون نظيره بمجرد هواه ونصره بيده ولسانه من غير علم أن معه الحق فهذا من أهل الجاهلية وان كان متبوعه مصيباً لم يكن عمله صالحاً وان كان متبوعه مخطئاً كان آثماً كمن قال في القرآن برأيه فان أصاب فقد أخطأ وان أخطأ فليتبوا مقعده من النار وهؤلاء من جنس مانع الزكاة الذي تقدم فيه الوعيد ومن جنس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة فان ذلك لما أحب المال حباً منعه عن عبادة الله وطاعته صار عبداً له وكذلك هؤلاء فيكون فيه شرك أصغر ولهم من الوعيد بحسب ذلك وفي الحديث أن يسير الرياء شرك وهذا مبسوط عند النصوص التي فيها اطلاق الكفر والشرك على كثير من الذنوب . . . والمقصود هنا أن الظلم المطلق يتناول الكفر لايتخص بالكفر بل يتناول مادونه أيضاً وكل بحسبه كلفظ الذنوب والخطيئة والمعصية فان هذا يتناول

الكفر والفسوق والعصيان كما في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم قال أن تجعل لله نداً وهو خلقك قلت ثم أي قال ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قلت ثم أي قال ثم أن تزني بجارية جارك فانزل الله تعالى ( والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أماناً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً الا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب الى الله متاباً ) فهذا الوعيد تمامه على الثلاثة ولكل عمل قسط منه فلو أشرك ولم يقتل ولم يزن كان عذابه دون ذلك ولو زني وقتل ولم يشرك كان له من هذا العذاب نصيب كما في قوله (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً) ولم يذكر أبداً وقد قيل ان لفظ التأييد لم يحىء الا مع الكفر وقال الله تعالى (ويوم بعض الظالم على يديه يقول باليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولاً) فلا ريب أن هذا يتناول الكافر الذي لم يؤمن بالرسول . . . وسبب نزول الآية كان في ذلك فان الظلم المطلق يتناول ذلك ويتناول ما دونه بحسبه فمن خال مخلوقاً في خلاف أمر الله ورسوله كان له من هذا الوعيد نصيب كما قال تعالى ( الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ) وقال تعالى (اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب) قال الفضيل ابن عياض حدثنا الليث عن مجاهد في المودات التي كانت بينهم لغير الله فان الحالة تحاب وتوادد ولهذا قال المرء على دين خليله فان المتحابين يحب أحدهما ما يحب الآخر بحسب الحب فاذا اتبع أحدهما صاحبه على محبته ما يبغضه الله ورسوله نقص من دينهما بحسب ذلك الى أن ينتهي الى الشرك الاكبر قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله) والذين قدموا حبة المال الذي كنزوه والمخلوق الذي اتبعوه على محبة الله ورسوله كان فيهم من الظلم والشرك بحسب ذلك فلهذا ألزمهم محبوتهم كما في الحديث يقول الله تعالى أليس عدلا مني أن أولى كل رجل منكم ما كان يتولاه في الدنيا وقد ثبت في الصحيح يقول ليذهب كل قوم الى ما كانوا يعبدون من كان يعبد الشمس الشمس ومن كان يعبد القمر القمر ومن كان يعبد الطواغيت الطواغيت ويمثل للنصارى المسيح لليهود عنبر فينبع كل قوم ما كانوا يعبدون وتبقى هذه الامة فيها منافقوها كما سيأتي هذا الحديث ان شاء الله فهؤلاء أهل الشرك الاكبر . . . وأما عبيد المال الذي كنزوه وعبيد الرجال الذين أطاعوهم في معاصي الله فأولئك يعذبون عذاباً دون عذاب أولئك المشركين إما في عرصات القيامة وإما في جهنم ومن أحب شيئاً دون الله عذب به وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقنا لكم من قبل أن يأتي يوم لا يبسع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون) فالكفر المطلق هو الظلم المطلق ولهذا لا شفيع لاهله يوم القيامة كما نفى الشفاعة في هذه الآية وفي قوله ( وأنذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين مال للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور) وقال (فككبكبوا فيها هم والغاوون

وجنود ابليس أجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا الا المجرمون قالنا من شافعين ولا صديق حميم فلو أن لنا كرة فسنكون من المؤمنين ( وقوله نسويكم لم يريدوا به انهم جعلوهم مساوين لله من كل وجه فان هذا لم يقفه أحد من بني آدم ولا نقل عن قوم قط من الكفار انهم قالوا ان هذا العالم له خالقان متماثلان حتى المجوس القائلين بالاصلين النور والظلمة متفقون على أن النور خير يستحق أن يعبد ويحمد وأن الظلمة شريرة تستحق أن تذم وتلعن واختلفوا هل الظلمة محدثة أو قديمة على قولين وبكل حال لم يجعلوها مثل النور من كل وجه وكذلك مشركو العرب كانوا متفقين على أن أربابهم لم تشارك الله في خلق السموات والارض بل كانوا مقرين بان الله وحده خلق السموات والارض وما بينهما كما أخبر الله عنهم بذلك في غير آية كقوله تعالى ( ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأني يؤفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شئ عليم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون ) وقال تعالى ( ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهادا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشربناه بلدة ميثا كذلك تخرجون والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والالعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمه بركم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ) وهذه الصفات من كلام الله تعالى ليست من تمام جوابهم وقال تعالى ( قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله ) الآيات وقال تعالى ( قل أرأيتم ان أنا كم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون ) وكذلك قوله ( الله خير أم ما تشركون أم من خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها أهله مع الله بل هم قوم يعدلون أم من جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أهله مع الله ) أي اله مع الله فعل هذا وهذا استفهام انكار وهم مقرون بانه لم يفعل هذا إله آخر مع الله ومن قال من المفسرين ان المراد هل مع الله إله آخر فقد غلط فانهم كانوا يجعلون مع الله آلهة أخرى كما قال تعالى ( قل أنتم كنتم تشهدون ان مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد ) وقال تعالى ( فما أغنت عنهم آلهتهم الذين يدعون من دون الله من شئ ) وقال تعالى عنهم ( أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب ) وكانوا معترفين بان آلهتهم لم تشارك الله في خلق السموات والارض ولا خلق شئ بل كانوا يتخذونهم شفعا ووسائط كما قال تعالى ( ويعبدون من دون الله مالا يضرهم وما لا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ) وقال عن صاحب يس ( ومالي لأعبد الذي فطرني واليه ترجعون أتأخذوا من دونه آلهة إن يردي الرحمن بضر لائعين عني شفاعتهم شيئا ولا يتخذون )

وقال تعالى ( وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع ) وقال تعالى ( الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون ) وقال ( قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له ) فنفى عما سواه كل ما يتعلق به المشركون فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط من الملك أو يكون عوناً لله ولم يبق الا الشفاعة فيبين أنها لا تنفع الا لمن أذن له الرب كما قال تعالى ( من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ) وقال تعالى عن الملائكة ( ولا يشفعون الا لمن ارتضى ) وقال ( وم من ملك في السموات لا تنفي شفاعتهم شيئاً الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ) فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاه القرآن وأما ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم أنه يكون فأخبر أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة أولاً فإذا سجد وحمد ربه يحمده ويفتحها عليه يقال له أي محمد إرفع رأسك وقل تسمع وسل تعط واشفع تشفع فيقول أي رب أمي فيسجد له حدا فيدخلهم الجنة وكذلك في الثانية وكذلك في الثالثة قال أبو هريرة من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال من قال لإله الا الله خالصاً من قلبه فتلك الشفاعة هي لأهل الاخلاص باذن الله ليست لمن أشرك بالله ولا تكون الا باذن الله . . . وحقيقته ان الله هو الذي يتفضل على أهل الاخلاص والتوحيد فيغفر لهم بواسطة دعاء الشافع الذي أذن له أن يشفع ليكرمه بذلك وينال المقام المحمود الذي يغبطه به الاولون والآخرين صلى الله عليه وسلم كما كان في الدنيا يستسقي لهم ويدعو لهم وتلك شفاعة منه لهم فكان الله يجيب دعاءه وشفاعته . . . واذا كان كذلك فالظلم ثلاثة أنواع فالظلم الذي هو شرك لا شفاعة فيه وظلم الناس بعضهم بعضاً لا بد فيه من إعطاء المظلوم حقه لا يسقط حق المظلوم لا بشفاعة ولا غيرها ولكن قد يعطى المظلوم من الظالم كما قد يغفر للظالم نفسه بالشفاعة فالظالم المطلق ماله من شفيع مطاع وأما الموحد فلم يكن ظالماً مطلقاً بل هو موحد مع ظلمه لنفسه وهذا انما نفعه في الحقيقة اخلاصه لله فيه صار من أهل الشفاعة ومقصود القرآن بنفي الشفاعة نفي الشرك وهو ان أحدا لا يعبد الا الله ولا يدعو غيره ولا يسأل غيره ولا يتوكل على غيره لافي شفاعة ولا غيرها فليس له أن يتوكل على أحد في أن يرزقه وان كان الله يأتيه برزقه بأسباب كذلك ليس له أن يتوكل على غير الله في أن يغفر له ويرحمه في الآخرة وان كان الله يغفر له ويرحمه بأسباب من شفاعة وغيرها فالشفاعة التي نفاها القرآن مطلقاً كان فيها شرك وتلك منتفية مطلقاً ولهذا أثبت الشفاعة باذنه في مواضع وتلك قد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أنها لا تكون الا لأهل التوحيد والاخلاص فهي من التوحيد ومستحقها أهل التوحيد . . . وأما الظلم المقيّد فقد يختص بظلم الانسان نفسه وظلم الناس بعضهم بعضاً كقول آدم عليه السلام وحواء ( ربنا ظلمنا أنفسنا ) وقول موسى ( رب اني ظلمت نفسي ) وقوله تعالى ( والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ) لكن قول آدم وموسى اخبار عن واقع لا عموم فيه وذلك قد عرف والله الحمد

انه ليس ككفر أو أما قوله ( والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ) فهو نكرة في سياق الشرط يع  
كل ما فيه ظلم الانسان نفسه وهو اذا أشرك ثم تاب تاب الله عليه وقد تقدم ان ظلم الانسان لنفسه يدخل  
فيه كل ذنب كبير أو صغير مع الاطلاق وقال تعالى ( ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فهم  
ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ) فهذا ظلم لنفسه مقرون بغيره فلا يدخل فيه الشرك  
الاكبر وفي الصحيحين عن ابن مسعود انه لما أنزلت هذه الآية ( الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم )  
شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا أينما لم يظلم نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنما  
هو الشرك ألم تسمعوا الى قول العبد الصالح ان الشرك لظلم عظيم والذين شق ذلك عليهم ظنوا أن الظلم  
المشروط هو ظلم العبد نفسه وأنه لا يكون إلا من والاهتداء الا لمن لم يظلم نفسه فشق ذلك عليهم فبين  
النبي صلى الله عليه وسلم لهم ماد لهم على ان الشرك ظلم في كتاب الله تعالى وحينئذ فلا يحصل الامن  
والاهتداء الا لمن لم يلبس ايمانه بهذا الظلم ومن لم يلبس ايمانه به كان من أهل الامن والاهتداء كما كان  
من أهل الاصفاء في قوله ( ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الى قوله جنات عدن يدخلونها )  
وهذا لا يفتي أن يؤخذ أحدهم بظلم نفسه اذا لم يتب كما قال تعالى ( فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن  
يعمل مثقال ذرة شراً يره ) وقال تعالى ( من يعمل سوءاً يجز به ) وقد سأل أبو بكر النبي صلى الله  
عليه وسلم عن ذلك فقال يا رسول الله وأينما لم يعمل سوءاً فقال يا أبا بكر أأنت تنصب أأنت تحزن أأنت  
تصيبك اللاؤاء فذلك ما تجزون منه فبين ان المؤمن الذي اذا تاب دخل الجنة قد يجزى بسبئاته في  
في الدنيا بالمصائب التي تصيبه كما في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم انه قال مثل المؤمن كمثل الخامة  
من الزرع تفنيها الرياح تقومها تارة وتميلها أخرى ومثل المنافق كمثل شجرة الارز لا تزال نابتة على أصلها  
حتى يكون انجماها مرة واحدة وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما يصيب المؤمن من  
وصب ولا نصب ولا هم ولا حزن ولا غم ولا أذى حتى الشوكة يشاكها الا كفر بها من خطاياها وفي  
حديث سعد بن أبي وقاص قلت يا رسول الله أى الناس أشد بلاء قال الانبياء ثم الصالحون ثم الامثل  
فالمثل يتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلابة زيد في بلاءه وان كان في دينه رقة خفف  
عنه ولا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمسي على الارض وليس عليه خطيئة رواه أحمد والترمذي وغيرها وقال  
المرض حطة يحط الخطايا عن صاحبه كما تحط الشجرة اليابسة ورقها والاحاديث في هذا الباب كثيرة فمن  
سلم من أجناس الظلم الثلاثة كان له الامن التام والاهتداء التام ومن لم يسلم من ظلمه نفسه كان له الامن  
والاهتداء مطلقاً بمعنى انه لا بد أن يدخل الجنة كما وعد بذلك في الآية الأخرى وقد هداها الى الصراط  
المستقيم الذي تكون عاقبته فيه الى الجنة ويحصل له من نقص الامن والاهتداء بحسب ما نقص من ايمانه  
بظلمه نفسه وليس مراد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله إنما هو الشرك أن من لم يشرك الشرك الاكبر  
يكون له الامن التام والاهتداء التام فان أحاديثه الكثيرة مع نصوص القرآن تبين ان أهل الكبار  
معرضون للخوف لم يحصل لهم الامن التام ولا الاهتداء التام الذي يكونون به مهتدين الى الصراط

المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين من غير عذاب يحصل لهم بل معهم أصل الاهتداء الى هذا الصراط ومعهم أصل نعمة الله عليهم ولا بد لهم من دخول الجنة وقول النبي صلى الله عليه وسلم انما هو الشرك ان أراد به الشرك الاكبر فقصوده ان من لم يكن من أهله فهو آمن مما وعد به المشركون من عذاب الدنيا والآخرة وهو مهتد الى ذلك وان كان مراده جنس الشرك فيقال ظلم العبد نفسه كبخله لحب المال ببعض الواجب هو شرك أصغر وحبه ما يبقضه الله حتى يكون يقدم هواه على محبة الله شرك أصغر ونحو ذلك فهذا صاحبه فاته من الايمان والاهتداء بحسبه ولهذا كان السلف يدخلون الذنوب في هذا الظلم بهذا الاعتبار

(فصل ومن هذا الباب) لفظ الصلاح والفساد فاذا أطلق الصلاح تناول جميع الخير وكذلك الفساد يتناول جميع الشر كما تقدم في اسم الصالح وكذلك اسم المصالح والمفسد قال تعالى في قصة موسى (أريد ان تقتلني كما قتلت نفساً بالامس ان تريد الا أن تكون جباراً في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين) وقال موسى لآخيه هارون اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين) وقال تعالى (واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن بصلحون الا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) والضمير عائد على المنافقين في قوله (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) وهذا مطلق يتناول من كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومن سيكون بعدهم ولهذا قال سلمان الفارسي انه عنى بهذه الآية قوم لم يكونوا خلقوا حين نزلها وكذا قال السدي عن أشياخه الفساد الكفر والمعاصي وعن مجاهد ترك امثال الاوامر واجتناب النواهي والقولان معناها واحد وعن ابن عباس الكفر وهذا معنى قول من قال النفاق الذي صافوا به الكفار وأطلعوههم على أسرار المؤمنين وعن أبي العالصة ومقاتل العمل بالمعاصي وهذا أيضاً عام كالاولين وقولهم انما نحن مصلحون فسر بانكار ما قرؤوا به أي إنا انما نفعل ما أمرنا به الرسول وفسر بان الذي فعله صلاح ونقصه به الصلاح وكلا القولين يروي عن ابن عباس وكلاهما حق فأنهم يقولون هذا وهذا يقولون الاول لمن لم يطلع على بواطنهم ويقولون الثاني لانفسهم ولمن اطلع على بواطنهم لكن الثاني يتناول الاول فان من جملة أفعالهم أسرار خلاف ما يظهرون وهم يرون هذا صلاحاً قال مجاهد أرادوا ان مصافة الكفار صلاح لافساد وعن السدي ان فعلنا هنا هو الصلاح وتصديق محمد فساد وقيل أرادوا ان هذا صلاح في الدنيا فان الدولة ان كانت للنبي صلى الله عليه وسلم فقد أمنوا بتابعته وان كانت للكفار فقد آمنوه بمصافتهم ولاجل القولين قيل في قوله (الا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) أي لا يشعرون ان ما فعلوه فساد لاصلاح وقيل لا يشعرون ان الله يطلع نبيه على فسادهم والقول الاول يتناول الثاني فهو المراد كما يدل عليه لفظ الآية وقال تعالى (ان ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) وقال (قال موسى ماجئتم به السححر ان الله سيبدله ان الله لا يصلح عمل المفسدين) وقول يوسف (توفني مسلماً وألحقني بالصالحين) وقد يقرن أحدهما بما هو أخص منه كقوله (واذا تولى سبي في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد)

قيل بالكفر وقيل بالظلم وكلاهما صحيح وقال تعالى ( تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً ) وقد تقدم قوله تعالى ( ان فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحوي نساءهم انه كان من المفسدين ) وقال تعالى ( من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعاً ) وقتل النفس الاوّل من جملة الفساد لكن الحق في القتل لولي المقتول وفي الردة والحاربة والزنا الحق فيها لعموم الناس ولهذا يقال هو حق لله ولهذا لا يعني عن هذا كما يعني عن الاول بأن فساده عام قال تعالى ( انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ) الآية وقيل سبب نزول هذه الآية العرنيون الذين ارتدوا وقتلوا وأخذوا المال وقيل سببه ناس معاهدون نقضوا العهد وحاربوا وقيل المشركون فقد قرن بالمرتدين وناقضى العهد الحاربين وجمهور السلف والخلف على أنها تتناول قطاع الطريق من المسلمين والآية تتناول ذلك كله ولهذا كان من تاب قبل القدرة عليه من جميع هؤلاء فإنه يسقط عنه حد الله تعالى وقرن الصلاح والاصلاح بالايمان في مواضع كثيرة كقوله تعالى ( ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات فن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ) ومعلوم ان الايمان أفضل الاصلاح وأفضل العمل الصالح كما جاء في الحديث الصحيح أنه قيل يا رسول الله أى الاعمال أفضل قال ايمان بالله وقال تعالى ( وأني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ) وقال ( الا من تاب وآمن وعمل صالحاً فاولئك يدخلون الجنة ) وقال ( الا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فاولئك يبذل الله سيئاتهم حسنات ) وقال في القذف ( الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم ) وقال في السارق ( فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه ) وقال ( واللذان يأتيناها منكم فآذوهما فان تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما ) ولهذا شرط الفقهاء في أحد قولهم في قبول شهادة القاذف أن يصلح وقدروا ذلك بسنة كما فعل عمر بصبيغ بن عسل لما أجمه سنة وبذلك أخذ أحمد في توبة الداعي الى البدعة انه يؤجل سنة كما أجمه عمر بصبيغ بن عسل

﴿ فصل ﴾ فان قيل ما ذكر من تنوع دلالة اللفظ بالاطلاق والتقييد في كلام الله ورسوله وكلام كل أحد بين ظاهر لا يمكن دفعه لكن نقول دلالة لفظ الايمان على الاعمال مجاز فقوله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله الا الله وأدناها امانة الاذى عن الطريق مجاز وقوله الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله الى آخره حقيقة وهذا عمدة المرجئة والجممية والكرامية وكل من لم يدخل الاعمال في اسم الايمان .. ونحن نجيب بجوابين أحدهما كلام عام في لفظ الحقيقة والمجاز والثاني ما يختص بهذا الموضوع فبتقدير أن يكون أحدهما مجازاً ما هو الحقيقة من ذلك من المجاز هل الحقيقة هو المطلق أو المقيّد أو كلاهما حقيقة حتى يعرف أن لفظ الايمان اذا أطلق على ماذا يحمل .. فيقال أولاً تقسيم الالفاظ الدالة على معانيها الى حقيقة ومجاز وتقسيم دلالتها أو المعاني المدلول عليها ان استعمل لفظ الحقيقة والمجاز في المدلول أو في الدلالة فان هذا كله قد يقع في كلام المتأخرين

ولكن المشهور أن الحقيقة والمجاز من عوارض الالفاظ وبكل حال فهذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة لم يتكلم به أحد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم كمالك والثوري والاوزاعي وأبي حنيفة والشافعي بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو كخليل وسيبويه وأبي عمرو بن العلاء ونحوهم وأول من عرف أنه تكلم بلفظ المجاز أبو عبيدة معمر ابن المثنى في كتابه ولكن لم يعن بالمجاز ما هو قسم الحقيقة وإنما عني بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية ٥٥ ولهذا قال من قال من الاصوليين كابن الحسن البصري وأمثاله أنه يعرف الحقيقة من المجاز بطرق منها نص أهل اللغة على ذلك بان يقولوا هذا حقيقة وهذا مجاز فقد تكلم بلا علم فانه ظن أن أهل اللغة قالوا هذا ولم يقل ذلك أحد من أهل اللغة ولا من سلف الأمة وعلمائها وإنما هذا اصطلاح حادث والغالب انه كان من جهة المعتزلة ونحوهم من المتكلمين فانه لم يوجد هذا في كلام أحد من أهل الفقه والاصول والتفسير والحديث ونحوهم من السلف وهذا الشافعي هو أول من جرد الكلام في أصول الفقه لم يقسم هذا التقسيم ولا تكلم بلفظ الحقيقة والمجاز وكذلك محمد بن الحسن له في المسائل المبلىة على العربية كلام معروف في الجامع الكبير وغيره ولم يتكلم بلفظ الحقيقة والمجاز وكذلك سائر الأئمة لم يوجد لفظ المجاز في كلام أحد منهم الا في كلام أحمد بن حنبل فانه قال في كتاب الرد على الجهمية في قوله انا ونحن ونحو ذلك في القرآن هذا من مجاز اللغة يقول الرجل انا سنعطيك انا سنفعل فذكر ان هذا من مجاز اللغة وبهذا احتج على مذهبه من أصحابه من قال ان في القرآن مجازاً كلفاض أبي يعلى وابن عقيل وأبي الخطاب وغيرهم وآخرون من أصحابه منعوا أن يكون في القرآن مجاز كأبي الحسن الجزري وأبي عبد الله بن حامد وأبي الفضل التيمي بن أبي الحسن التيمي وكذلك منع أن يكون في القرآن مجاز محمد بن جرير مندر<sup>(١)</sup> وغيره من المالكية ومنع منه داود بن علي وابنه أبو بكر ومنذر بن سعيد البلوطي وصنف فيه مصنفاً وحكي بعض الناس عن أحمد في ذلك روايتين وأما سائر الأئمة فلم يقل أحد منهم ولا من قدماء أصحاب أحمد ان في القرآن مجازاً لامالك ولا الشافعي ولا أبو حنيفة فان تقسيم الالفاظ الى حقيقة ومجاز انما اشتهر في المائة الرابعة وظهرت أوائله في المائة الثالثة وما علمته موجودا في المائة الثانية اللهم الا أن يكون في أواخرها والذين أنكروا أن يكون أحمد أو غيره نطقوا بهذا التقسيم قالوا ان معنى قول أحمد من مجاز اللغة أي مما يجوز في اللغة أي يجوز في اللغة أن يقول الواحد العظيم الذي له أعوان نحن فعلنا كذا ونفعل كذا ونحو ذلك قالوا ولم يرد أحمد بذلك أن اللفظ استعمل في غير ما وضع له ٥٥ وقد أنكروا طائفة أن يكون في اللغة مجاز لافي القرآن ولا غيره كأبي اسحاق الاسفرائيني ٥٥ وقال المنازعون له النزاع معه لفظي فانه اذا سلم في اللغة لفظاً مستعملاً في غير ما وضع له لا يدل على معناه الا بقرينة فهذا هو المجاز وان لم تسمه مجازاً فيقول من ينصره ان الذين قسموا اللفظ الى حقيقة ومجاز قالوا الحقيقة هو اللفظ المستعمل في ما وضع له والمجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له كلفظ الاسد

والحمار اذا أريد به - ما الهيمة أو أريد بهما الشجاع والبليد وهذا التقسيم والتحديد يستلزم أن يكون اللفظ قد وضع أولاً لمعنى ثم بعد ذلك قد يستعمل في موضوعه وقد يستعمل في غير موضوعه ولهذا كان المشهور عند أهل التقسيم أن كل مجاز فلا بد له من حقيقة وليس لكل حقيقة مجاز فاعترض عليهم بعض متأخريهم - وقال اللفظ الموضوع قبل الاستعمال لاحقيقة ولا مجاز فاذا استعمل في غير موضوعه فهو مجاز لاحقيقة له وهذا كله انما يصح ان لو علم ان الالفاظ العربية وضعت أولاً لمعان ثم بعد ذلك استعملت فيها فيكون لها وضع متقدم على الاستعمال وهذا انما صحح على قول من يجعل اللغات اصطلاحية فيدعى ان قوماً من العقلاء اجتمعوا واصطلحوا على أن يسوا هذا بكذا وهذا بكذا ويجعل هذا عاماً في جميع اللغات وهذا القول لانعرف أحداً من المسلمين قاله قبل أبي هاشم بن الجبائي فانه وأبا الحسن الأشعري وكلاهما قرأ على أبي على الجبائي لكن الأشعري رجح عن مذهب المعتزلة وخالفهم في القدر والوعيد وفي الاسماء والاحكام وفي صفات الله تعالى وبين من تناقضهم وفساد قولهم ما هو معروف عنه فتنازع الأشعري وأبو هاشم في مبدأ اللغات فقال أبو هاشم هي اصطلاحية وقال الأشعري هي توقيفية ثم خاض الناس بعدهما في هذه المسئلة فقال آخرون بعضها توقيفية وبعضها اصطلاحية وقال فريق رابع بالوقف . . . والمقصود هنا انه لا يمكن أحداً أن ينقل عن العرب بل ولا عن أمة من الامم انه اجتمع جماعة فوضعوا جميع هذه الاسماء الموجودة في اللغة ثم استعملوها بعد الوضع وانما المعروف المنقول بالتواتر استعمال هذه الالفاظ فيما عنوه بها من المعاني فان ادعى مدع أنه يعلم وضعاً يتقدم ذلك فهو مبطل فان هذا لم ينقله أحد من الناس ولا يقال نحن نعلم ذلك بالدليل فانه ان لم يكن اصطلاح متقدماً لم يمكن الاستعمال . . . قيل ليس الامر كذلك بل نحن نجد ان الله يلمهم الحيوان من الاصوات ما به يعرف بعضها مراد بعض وقد سمي ذلك منطقا وقولا في قول سليمان (علمنا منطلق الطير) وفي قوله (قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) وفي قوله (يا جبال أوبي معه والطير) وكذلك الآدميون فالمولود اذا ظهر منه التمييز سمع أبويه أو من يربيه ينطق باللفظ ويشير الى المعنى فصار يفهم ان ذلك اللفظ يستعمل في ذلك المعنى أي أراد المتكلم به ذلك المعنى ثم هذا يسمع لفظاً بعد لفظ حتى يعرف لغة القوم الذين نشأ بينهم من غير أن يكونوا قد اصطالحوا معه على وضع متقدم بل ولا أوقفوه على معاني الاسماء وان كان أحياناً قد يسأل عن مسمى بعض الاشياء فيوقف عليها كما يترجم للرجل اللغة التي لا يعرفها فيوقف على معاني ألفاظها وان باشر أهلها مدة علم ذلك بلا توقيف من أحدهم نعم قد يضع الناس الاسم لما يحدث مما لم يمكن من قبلهم يعرفه فيسميه اسماً منقولاً واما مرتجلاً وقد يكون المسمى واحداً لم يصطلح مع غيره وقد يستوون فيما يسمونه وكذلك قد يحدث للرجل آلة من صناعة أو يصنف كتاباً أو يبنى مدينة ونحو ذلك فيسميه باسم لانه ليس من الاجناس المعروفة حتى يكون له اسم في اللغة العامة وقد قال الله تعالى (الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان) وقالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) وقال (والذي خلق فسوى والذي قدر فهدى) فهو سبحانه يلمهم الانسان المنطق كما يلمهم غيره وهو سبحانه اذا كان قد علم آدم الاسماء كلها

وعرض المسميات على الملائكة كما أخبر بذلك في كتابه فنحن نعلم أنه لم يعلم آدم جميع اللغات التي يتكلم بها جميع الناس الى يوم القيامة وان تلك اللغات اتصلت الى أولاده فلا يتكلمون الا بها فان دعوى هذا كذب ظاهر فان آدم عليه السلام انما يتقل عنه بنوه وقد أغرق الله عام الطوفان جميع ذريته الا من في السفينة وأهل السفينة انقطعت ذريتهم الا أولاد نوح ولم يكونوا يتكلمون بجميع ما تكلمت به الامم بعدهم فان اللغة الواحدة كالفارسية والعربية والرومية والتركية فيها من الاختلاف والانواع مالا يحصيه الا الله والعرب أنفسهم لكل قوم لغات لا يفهمها غيرهم فكيف يتصور أن يتقل هذا جميعه عن أولئك الذين كانوا في السفينة وأولئك جميعهم لم يكن لهم نسل وانما النسل لنوح وجميع الناس من أولاده وهم ثلاثة سام وحام ويافت كما قال تعالى (وجعلنا ذريته هم الباقين) فلم يجعل باقياً الا ذريته وكما روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم أن أولاده ثلاثة رواه أحمد وغيره ومعلوم أن الثلاثة لا يمكن أن ينطقوا بهذا كله ويمتنع نقل ذلك عنهم فان الذين يعرفون هذه اللغة لا يعرفون هذه واذا كان الناقل ثلاثة فهم قد علموا أولادهم وأولادهم علموا أولادهم ولو كان كذلك لاتصلت ونحن نجد بنى الاب الواحد يتكلم كل قبيلة منهم بلغة لا تعرفها الاخرى والاب الواحد لا يقال انه علم أحد ابنيه لغة وابنه الآخر لغة فان الاب قد لا يكون له الا ابنا واللغات في أولاده أضعاف ذلك والذي أجرى الله عليه عادة بنى آدم انما يعلمون أولادهم لغتهم التي يخاطبونهم بها أو يخاطبهم بها غيرهم فاما لغات لم يخلق الله من يتكلم بها فلا يعلمونها أولادهم وأيضاً فانه يوجد بنو آدم يتكلمون بالفاظ ماسمعوها قط من غيرهم والعلماء من المفسرين وغيرهم لهم في الاسماء التي علمها آدم قولان معروفان عن السلف . أحدهما انه انما علمه أسماء من يعقل واحتجوا بقوله (ثم عرضهم على الملائكة) قالوا وهذا الضمير لا يكون الا لمن يعقل وما لا يعقل يقال فيها علمها ولهذا قال أبو العالية علمه أسماء الملائكة لانه لم يكن حينئذ من يعقل الا الملائكة ولا كان ابليس قد انفصل عن الملائكة ولا كان له ذرية وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم علمه أسماء ذريته وهذا يناسب الحديث الذي رواه الترمذي وصححه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن آدم سأل ربه أن يزيه صور الانبياء من ذريته فرأهم فرأى فيهم من يبص فقال يارب من هذا قال ابنك داود فيكون قد أراه صور ذريته أو بعضهم وأسماءهم وهذه أسماء أعلام لأجناس . والثاني ان الله علمه أسماء كل شيء وهذا قول الاكثرين كابن عباس وأصحابه قال ابن عباس علمه حتى الفسوة والفسية والقصة والقصة أراد أسماء الاعراض والاعيان مكبرها وصغرها والدليل على ذلك ما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في حديث الشفاعة ان الناس يقولون يا آدم أنت أبو البشر خالقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وعلمك أسماء كل شيء وأيضاً قوله الاسماء كلها لفظ عام مؤكدا فلا يجوز تخصيصه بالدعوى وقوله ثم عرضهم على الملائكة لانه اجتمع من يعقل ومن لا يعقل فغلب من يعقل كما قال (فهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع) قال عكرمة علمه أسماء الاجناس دون أنواعها كقولك انسان ورجل وملك وطائر وقال مقاتل وابن السائب وابن قتيبة علمه أسماء ما خلق

في الارض من الدواب والهوام والطيور وما يدل على أن هذه اللغات ليست من تلقاء عن آدم ان أكثر اللغات ناقصة عن اللغة العربية ليس عندهم أسماء خاصة للاولاد والبيوت والاصوات وغير ذلك مما يضاف الى الحيوان بل انما يستعملون في ذلك الاضافة فلو كان آدم عليه السلام علمه الجميع لعلمها متناسبة وأيضاً فكل أمة ليس لها كتاب ليس في لغتها أيام الأسبوع وانما يوجد في لغتها اسم اليوم والشهر والسنة لان ذلك عرف بالحس والعقل فوضعت له الائم الأسماء لان التعبير يتبع التصور وأما الأسبوع فلم يعرف الا بالسمع لم يعرف أن الله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الا بأخبار الأنبياء الذين شرع لهم أن يجتمعوا في الأسبوع يوماً يعبدون الله فيه ويحفظون به الأسبوع الأول الذي بدأ الله فيه خلق هذا العالم ففي لغة العرب والعبرانيين ومن تلتقى عنهم أيام الأسبوع بخلاف الترك ونحوهم فانه ليس في لغتهم أيام الأسبوع لانهم لم يعرفوا ذلك فلم يعبروا عنه فعلم أن الله ألهم النوع الانساني أن يعبر عما يريده ويتصوره بلفظه وأن أول من علم ذلك أبوه آدم وهم علموا كما علم وان اختلفت اللغات وقد أوحى الله الى موسى بالعبرانية والى محمد بالعربية واجمع كلام الله وقد بين الله من ذلك ما أراد من خلقه وأمره وان كانت هذه اللغة ليست الأخرى مع أن العبرانية من أقرب اللغات الى العربية حتى انها أقرب اليها من لغة بعض العجم الى بعض . . فبالجملة نحن ليس غرضنا اقامة الدليل على عدم ذلك بل يكفيننا أن يقال هذا غير معلوم وجوده بل الالهام كاف في النطق باللغات من غير وضاعة متقدمة واذا سمي هذا توقيفاً فليس توقيفاً وحيداً فمن ادعى وضاعاً متقدماً على استعمال جميع الاجناس فقد قال ما لا علم له به وانما المعلوم بلا ريب هو الاستعمال ثم هؤلاء يقولون تميز الحقيقة من المجاز بالاكتفاء باللفظ فاذا دل اللفظ بمجردده فهو حقيقة واذا لم يدل الامع القرينة فهو مجاز وهذا أمر متعلق باستعمال اللفظ في المعنى لا بوضع متقدم . . ثم يقال ثانياً هذا التقسيم لاحقيقة له وليس لمن فرق بينهما حد صحيح يميز به بين هذا وهذا فعلم أن هذا التقسيم باطل وهو تقسيم من لم يتصور ما يقول بل يتكلم بلا علم فهم مبتدعة في الشرع مخالفون للعقل وذلك أنهم قالوا الحقيقة اللفظ المستعمل فيما وضع له والمجاز هو المستعمل في غير ماوضع له احتاجوا الى اثبات الوضع السابق على الاستعمال وهذا يتعذر ثم هم يقسمون الحقيقة الى لغوية وعرفية وأكثرهم يقسمها الى ثلاث لغوية وشرعية وعرفية فالحقيقة العرفية هي ما صار اللفظ دالاً فيها على المعنى بالعرف لا باللغة وذلك المعنى يكون تارة أعم من اللغوي وتارة أخص وتارة يكون مبيناً له . . كمن بينهما علاقة استعمال لاجلها فالأول مثل لفظ الرقبة والرأس ونحوهما كان يستعمل في العضو المخصوص ثم صار يستعمل في جميع البدن والثاني مثل الدابة ونحوها كان يستعمل في كل مادب ثم صار يستعمل في عرف بعض الناس في ذوات الأربع وفي عرف بعض الناس في الفرس وفي عرف بعضهم في الحمار والثالث مثل لفظ الغائط والظعينة والراوية والمزادة فان الغائط في اللغة هو المكان المنخفض من الأرض فلما كانوا ينتابونه لقضاء حوائجهم سموها ما يخرج من الانسان باسم محله والظعينة اسم للدابة ثم سموها المرأة التي تركبها باسمها وظاير ذلك . . والمقصود ان هذه

الحقيقة العرفية لم تصر حقيقة لجماعة تواطوا على نقلها ولكن تكلم بها بعض الناس واراد منها ذلك المعنى العرفي ثم شاع الاستعمال فصارت حقيقة عرفية بهذا الاستعمال ولهذا زاد من زاد منهم في حد الحقيقة في اللغة التي بها التخاطب ثم هم يعلمون ويقولون انه قد يغلب الاستعمال على بعض الالفاظ فيصير المعنى العرفي أشهر فيه ولا يدل عند الاطلاق الا عليه فتصير الحقيقة العرفية ناسخة للحقيقة اللغوية واللفظ مستعمل في هذا الاستعمال الحادث العرفي وهو حقيقة من غير أن يكون لما استعمل فيه ذلك تقدم وضع فعلم أن تفسير الحقيقة بهذا لا يصح وان قالوا نعى بما وضع له ما استعملت فيه أولا فيقال من أين يعلم ان هذه الالفاظ التي كانت العرب تخاطب بها عند نزول القرآن وقبله لم تستعمل قبل ذلك في معنى شئ آخر واذا لم يعلموا هذا النفي فلا يعلم انها حقيقة وهذا خلاف ما اتفقوا عليه وأيضا فيلزم من هذا أن لا يقطع بشئ من الالفاظ انه حقيقة وهذا لا يقوله عاقل ثم هؤلاء الذين يقولون هذا نجد أحدهم يأتي الى الالفاظ لم يعلم أنها استعملت الا مقيدة فينطق بها مجردة عن جميع القيود ثم يدعي ان ذلك هو حقيقة لها من غير أن يعلم أنها نطق بها مجردة ولا وضعت مجردة مثل أن يقول حقيقة العين هو العضو المبصر ثم سميت به عين الشمس والعين التابعة وعين الذهب للمشابهة لكن أكثرهم يقولون ان هذا من باب المشترك لا من باب الحقيقة والمجاز فيمثل بغيره مثل لفظ الرأس يقولون هو حقيقة في رأس الانسان ثم قالوا رأس الدرب لأوله ورأس العين لمنبعا ورأس القوم لسيدهم ورأس الأمر لأوله ورأس الشهر ورأس الحول وأمثال ذلك على طريق المجاز وهم لا يجدون قط أن لفظ الرأس استعمل مجردا بل يجدون انه استعمل بالقيود في رأس الانسان كقوله تعالي (وامسحوا برؤسكم وأرجلكم الى الكعبين) ونحوه وهذا القيد يمنع أن يدخل فيه تلك المعاني فاذا قيل رأس العين ورأس الدرب ورأس الناس ورأس الامر فهذا القيد غير ذلك المقيّد ومجموع اللفظ الدال غير مجموع اللفظ الدال هناك لكن اشتركا في بعض اللفظ كاشتراك كل الاسماء المعرفة في لام التعريف ولو قدر أن الناطق باللغة انطق بلفظ رأس الانسان أولا لان الانسان يتصور رأسه قبل غيره والتعبير أولا هو عما يتصوره أولا فالنطق بهذا المضاف أولا لا يمنع أن ينطق بمضاف اليه غيره ثانياً ولا يكون هذا من المجاز كما في سائر المضافات فاذا قيل ابن آدم أولا لم يكن قولنا ابن الفرس وابن الحمار وكذلك اذا قيل بنت الانسان لم يكن قولنا بنت الفرس مجازاً وكذلك اذا قيل رأس الانسان أولا لم يكن قولنا رأس الفرس مجازاً وكذلك في سائر المضافات اذا قيل يده أو رجله فاذا قيل هو حقيقة فيما أضيف الى الحيوان قيل ليس جعل هذا هو الحقيقة باولي من أن يجعل ما أضيف الى رأس الانسان ثم قد يضاف الى ما يتصوره أكثر الناس من الحيوانات الصغار التي لم تخطر ببال عامة الناطقين باللغة فاذا قيل إنه حقيقة في هذا فلماذا لا يكون حقيقة في رأس الجبل والطريق والعين وكذلك سائر ما يضاف الى الانسان من أعضائه وأولاده ومساكنه يضاف مثله الى غيره وبضاف ذلك الى الجمادات فيقال رأس الجبل ورأس العين وخطم الجبل أي أنفه وقم الوادي وبطن الوادي وظهر الجبل وبطن الارض وظهرها ويستعمل مع الالف وهو لفظ الظاهر والباطن في أمور كثيرة والمعنى في الجميع ان الظاهر لما ظهر فبين

والباطن لما بطن نخفي وسمي ظهر الانسان ظهرا لظهوره وبطن الانسان بطناً لبطونه فاذا قيل ان هذا حقيقة وذلك مجاز لم يكن هذا أولى من العكس وأيضاً من الاسماء ما تكلم به أهل اللغة مفرداً كلفظ الانسان ونحوه ثم قد يستعمل مقيداً بالاضافة كقولهم انسان العين وابرة الذراع ونحو ذلك وبتقدير أن يكون في اللغة حقيقة ومجاز فقد ادعى بعضهم أن هذا من المجاز وهو غلط فان المجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له أولاً وهذا لم يستعمل اللفظ بل ركب مع لفظ آخر فصار وضعاً آخر بالاضافة فلو استعمل مضافاً في معنى ثم استعمل بتلك الضافة في غيره كان مجازاً بل اذا كان بملك وحضرموت ونحوها مما يركب تركيب مزج بعد أن كان الاصل فيه الضافة لا يقال انه مجاز فإلم ينطق به الا مضافاً أولى أن لا يكون مجازاً . . . وأما من فرق بين الحقيقة والمجاز بان الحقيقة ما يفيد المعنى مجرداً عن القرائن والمجاز ما لا يفيد ذلك المعنى الا مع قرينة أو قال الحقيقة ما يفيد اللفظ المطلق والمجاز ما لا يفيد الا مع التقييد أو قال الحقيقة هو المعنى الذي يسبق الي الذهن عند الاطلاق والمجاز ما لا يسبق الي الذهن أو قال المجاز ما صح نفيه والحقيقة ما لم يصح نفيها . . . فانه يقال ما تعني بالتجريد عن القرائن والاقتران بالقرائن ان عنى بذلك القرائن اللفظية مثل كون الاسم يستعمل مقروناً بالاضافة أو لام التعريف ويقتد بكونه فاعلاً ومفعولاً ومبتدأً وخبراً فلا يوجد قط في الكلام المؤلف اسم الا مقيداً وكذلك الفعل ان عنى بتقييده انه لا بد له من فاعل وقد يقتد بالمفعول به وظرف في الزمان والمكان والمفعول له ومعه والحال فالفعل لا يستعمل قط إلا مقيداً وأما الحرف فابنغ فان الحرف أي به معنى في غيره ففي الجملة لا يوجد قط في كلام تام اسم ولا فعل ولا حرف الا مقيداً بقيود تزيل عنه الاطلاق فان كانت القرينة ما يمنع الاطلاق عن كل قيد فليس في الكلام الذي يتكلم به جميع الناس لفظ مطلق عن كل قيد سواء كانت الجملة اسمية أو فعلية ولهذا كان لفظ الكلام والكلمة في لغة العرب بل وفي لغة غيرهم لا تستعمل الا في المقيد وهو الجملة التامة اسمية كانت أو فعلية أو ندائية ان قيل انها قسم ثالث فاما مجرد الاسم أو الفعل أو الحرف الذي جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل فهذا لا يسمى في كلام العرب قط كلمة وانما تسميته هذا كله اصطلاح نحوي كما سموا بعض الالفاظ فعلاً وقسموه الي فعل ماض ومضارع وأمر والعرب لم تسم قط اللفظ فعلاً بل النحاة اصطالحوا على هذا قسموا اللفظ باسم مدلوله فاللفظ الدال على حدوث فعل في زمن ماض سموه فعلاً ماضياً وكذلك سائرهما وكذلك حيث وجد في الكتاب والسنة بل وفي كلام العرب نظمه ونثره لفظ كلمة فانما يراد به المقيد التي تسميها النحاة جملة تامة كقوله تعالى ﴿وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ما لهم به من علم ولا لا بائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذباً﴾ وقوله تعالى ﴿وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا﴾ وقوله تعالى ﴿تعالوا الي كلمة سواء بيننا وبينكم﴾ وقوله ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾ وقوله ﴿وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها﴾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد

\* ألا كل شيء ما خلا الله باطل \* وقوله كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان

الى الرحمن سبحانه الله وبحمده سبحانه الله العظيم وقوله ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن ان تبلغ به ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه الى يوم القيامة وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن ان تباع به ما بلغت يكتب الله بها سخطه الى يوم القيامة وقوله لقد قلت بعدك أربع كلمات لو وزنت بما قلته منذ اليوم لوزنتهن سبحانه الله عدد خلقه سبحانه الله زنة عرشه سبحانه الله رضاء نفسه سبحانه الله مداد كتابه واذا كان كل اسم وفعل وحرف يوجد في الكلام فانه مقيد لا مطلق لم يجز ان يقال اللفظ الحقيقة ما دل مع الاطلاق والتجرد عن كل قرينة تقارنه . . فان قيل أريد بعض القرائن دون بعض قيل له اذ كر الفصل بين القرينة التي يكون معها حقيقة والقرينة التي يكون معها مجاز ولن تجرد الى ذلك سبيلا تقديره على تقسيم صحيح معقول ومما يدل على ذلك ان الناس اختلفوا في العام اذا خص هل يكون استعماله فيما بقي حقيقة أو مجازا وكذلك لفظ الامر اذا أريد به الندب هل يكون حقيقة أو مجازا وفي ذلك قولان لاكثر الطوائف لاصحاب أحمد قولان ولاصحاب الشافعي قولان ولاصحاب مالك قولان ومن الناس من ظن ان هذا الخلاف يطرد في التخصيص المتصل كالصفة والشروط والغاية والبدل وجعل يحكي في ذلك أقوال من يفصل كما يوجد في كلام طائفة من المصنفين في أصول الفقه وهذا مما لم يعرف ان أحداً قاله فجعل اللفظ العام المقيد في الصفات والغايات والشروط مجازا بل لما أطلق بعض المصنفين ان اللفظ العام اذا خص يصير مجازا ظن هذا الناقل انه غنى التخصيص المتصل وأولئك لم يكن في اصطلاحهم عام مخصوص الا اذا خص بمنفصل وأما المتصل فلا يسمون اللفظ عاما مخصوصا فانه لم يدل الا متصلا والاتصال منعه العموم وهذا اصطلاح كثير من الاصوليين وهو الصواب لا يقال لما قيد بالشروط والصفة ونحوها انه داخل فيما خص من العموم ولا في العام المخصوص لكن يقيد فيقال تخصيص متصل وهذا المقيد لا يدخل في التخصيص المطلق وبالجملة فيقال اذا كان هذا مجازا فيكون تقييد الفعل المطلق بالفعل به وبطرف الزمان والمكان مجازا وكذلك بالحال وكذلك كل ما قيد بقيد فيلزم ان يكون الكلام كله مجازا فأين الحقيقة . . فان قيل يفرق بين القرائن المتصلة والمنفصلة فما كان مع القرينة المتصلة فهو حقيقة وما كان مع المنفصلة كان مجازا . . قيل تعني بالمتصل ما كان في اللفظ أو ما كان موجودا حين الخطاب فان عنيت الاول لزم ان يكون ما علم من حال المتكلم أو المستمع أولا قرينة منفصلة فما استعمل بالام التعريف لما يعرفانه كما يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو عند المسلمين رسول الله أو قال الصديق وهو عندهم أبو بكر واذا قال الرجل لصاحبه اذهب الى الامير أو القاضي أو الوالي يريد ما يعرفانه انه يكون مجازا وكذلك الضمير يعود الي معلوم غير مذكور كقوله ( إنا أنزلناه ) وقوله (حق توارت بالحجاب) وأمثال ذلك ان يكون هذا مجازا وهذا لا يقوله أحد وأيضا فاذا قال لشجاع هذا الاسد فعل اليوم كذا ولبلبيد هذا الحمار قال اليوم كذا أو لعالم أو جواد هذا البحر جري منه اليوم كذا ان يكون حقيقة لان قوله هذا قرينة لفظية فلا يبقى قط مجازا وان قال المتصل أعم من ذلك وهو ما كان موجودا حين الخطاب قيل له فهذا أشد عليك من الاول فان كل متكلم بالجاز لابد ان يقترن به حال

الخطاب ما يبين مراده والا لم يجز التكلم به فان قيل انا اجوز تأخير البيان عن مورد الخطاب الى وقت الحاجة قيل أ كثر الناس لا يجوزون ان يتكلم بلفظ يدل على معنى وهو لا يريد ذلك المعنى الا اذا بين وانما يجوزون تأخير بيان ما لم يدل اللفظ عليه كالجملات ثم نقول اذا جوزت تأخير البيان فالبين قد يحصل بجملة تامة وبأفعال من الرسول وبغير ذلك ولا يكون البيان المتأخر الا مستقلاً بنفسه لا يكون مما يجب اقترانه بغيره فان جعلت هذا مجازاً لزم ان يكون ما يحتاج في العمل الى بيان مجازاً كقوله (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها) ثم يقال هب ان هذا جائز عقلاً لكن ليس واقعاً في الشريعة أصلاً وجميع ما يذكر من ذلك باطل كما قد بسط في موضعه فان الذين قالوا الظاهر الذي لم يرد به ما يدل عليه ظاهره قد يؤخر بيانه احتجاجاً بقوله (ان الله يأمرم أن تذبحوا بقرة) وادعوا انها كانت معينة وأخر بيان الثعين وهذا خلاف ما استفاض عن السلف من الصحابة والتابعين لهم باحسان من انهم أمروا ببقرة مطلقاً فلو أخذوا بقرة من البقر فذبحوها أجزأ عنهم ولكن شددوا فشد الله عليهم والآية نكرة في سياق الاثبات فهي مطلقه والقرآن يدل سياقه على أن الله ذمهم على السؤال بما هي ولو كان المأمور به معيناً لما كانوا ملومين ثم ان مثل هذا لم يقع قط في أمر الله ورسوله ان يأمر عباده بشئ معين وبهمه عليهم مرة بعد مرة ولا يذكره بصفات تختص به ابتداءً واحتجوا بان الله أخرج بيان لفظ الصلاة والزكاة والحج وان هذه ألفاظ لها معان في اللغة بخلاف الشرع وهذا غلط فان الله انما أمرهم بالصلاة بعد ان عرفوا ما المأمور به وكذلك الصيام وكذلك الحج ولم يؤخر الله قط بيان شئ من هذه الأمور بل بسط هذه المسئلة موضع آخر . . . وأما قول من يقول ان الحقيقة ما يسبق الى الذهن عند الاطلاق فن أفسد الاقوال فانه لا يقال اذا كان اللفظ لم ينطق به الا مقيداً فانه يسبق الى الذهن في كل موضع منه ما دل عليه ذلك الموضع وأما اذا أطلق فهو لا يستعمل في الكلام مطلقاً قط فلم يبق له حال اطلاق محض حتى يقال ان الذهن يسبق اليه أم لا وأيضاً فأى ذهن فان العربي الذي يفهم كلام العرب يسبق الى ذهنه من اللفظ ما لا يسبق الى ذهن النبطي الذي صار يستعمل الالفاظ في غير معانيها ومن هنا غلط كثير من الناس فانهم قد تعودوا ما اعتادوه إما من خطاب عامتهم وإما من خطاب علماءهم باستعمال اللفظ في معنى فاذا سمعوه في القرآن والحديث ظنوا انه مستعمل في ذلك المعنى فيحملون كلام الله ورسوله على لغتهم النبطية وعاداتهم الحادثة وهذا مما دخل به الغلط على طوائف بل الواجب ان يعرف اللغة والعادة والعرف الذي نزل به القرآن والسنة وما كان الصحابة يفهمون من الرسول عند سماع تلك الالفاظ فبتلك اللغة والعادة والعرف خاطبهم الله ورسوله لا بما حدث بعد ذلك . . . وأيضاً فقد بينا في غير هذا الموضع ان الله ورسوله لم يدع شيئاً من القرآن والحديث الا بين معناه للمخاطبين ولم يحوجهم الى شئ آخر كما قد بسطنا القول فيه في غير هذا الموضع فقد تبين ان ما يدعيه هؤلاء من اللفظ المطلق من جميع القيود لا يوجد الا مقدر في اللسان لا موجوداً في الكلام المستعمل كما ان ما يدعيه المنطقيون من المعنى المطلق من جميع القيود لا يوجد الا مقدر في الذهن لا يوجد في الخارج شئ موجود

خارج عن كل قيد ولهذا كان ما يدعونه من تقسيم العلم الى تصور وتصديق وان التصور هو تصور المعنى الساذج الخالي عن كل قيد لا يوجد وكذلك ما يدعونه من البسائط التي تتركب منها الانواع وانها أمور مطلقة عن كل قيد لا توجد وما يدعونه من أن واجب الوجود هو وجود مطلق عن كل أمر نبوتي لا يوجد فهذه الصفات المطلقات عن جميع القيود ينبغي معرفتها لمن ينظر في هذه العلوم فانه بسبب ظن وجودها ضل طوائف في العقليات والسمعيات بل إذا قال العلماء مطلق انما يعنون به مطلق عن ذلك القيد ومقيد بذلك القيد كما يقولون الرقبة المطلقة في آية كفارة اليمين ومقيدة في آية القتل أي مطلقة عن قيد الايمان والا فقد قيل فتحرير رقبة فقيدت بانها رقبة واحدة وانها موجودة وانها تقبل التحرير والذين يقولون بالمطلق المحض يقولون هو الذي لا يتصف بوحدة ولا كثرة ولا وجود ولا عدم ولا غير ذلك بل هو الحقيقة من حيث هي كما يذكره الرازي تلقيا له عن ابن سينا وأمثاله من المتفلسفة وقد بسطنا الكلام في هذا الاطلاق والتقييد والكليات والجزئيات في موضع غير هذا وبيننا من غلط هؤلاء في ذلك ما ليس هذا موضعه . . . وانما المقصود هنا الاطلاق اللفظي وهو ان يتكلم باللفظ مطلقاً عن كل قيد وهذا لا وجود له وحينئذ فلا يتكلم أحد الا بكلام مؤلف مقيد مرتبط بعضه ببعض فتكون تلك القيود متمتعة الاطلاق فنبين انه ليس لمن فرق بين الحقيقة والمجاز فرق معقول يمكن به التمييز بين نوعين فعلم ان هذا التقسيم باطل وحينئذ فكل لفظ موجود في كتاب الله ورسوله فانه مقيد بما يبين معناه فليس في شيء من ذلك مجاز بل كله حقيقة ولهذا لما ادعي كثير من المتأخرين ان في القرآن مجازا وذكروا ما يشهد لهم رد عليهم المنازعون جميع ما ذكروه فن أشهر ما ذكروه قوله تعالى ( جداراً يريد ان ينقض ) قالوا والجدار ليس بحيوان والارادة انما تكون للحيوان فاستعملها في ميل الجدار مجاز فقيل لهم لفظ الارادة قد استعمل في الميل الذي يكون معه شعور وهو ميل الحى وفي الميل الذي لا شعور فيه وهو ميل الجماد وهو من مشهور اللغة يقال هذا السقف يريد ان يقع وهذه الارض تريد ان تحرث وهذا الزرع يريد ان يسقى وهذا الثمر يريد ان يقطف وهذا الثوب يريد ان يغسل وأمثال ذلك واللفظ اذا استعمل في معنيين فصاعداً فأما ان يجعل حقيقة في أحدهما مجازاً في الآخر أو حقيقة فيما يختص به كل منهما فيكون مشتركا اشتراكاً لفظياً أو حقيقة في القدر المشترك بينهما وهي الاسماء المتواطئة وهي الاسماء العامة كلها وعلى الاول يلزم المجاز وعلى الثاني يلزم الاشتراك وكلاهما خلاف الاصل فوجب ان يجعل من المتواطئة وبهذا يعرف عموم الاسماء العامة كلها والا فلو قال قائل هو في ميل الجماد حقيقة وفي ميل الحيوان مجاز لم يكن بين الدعويين فرق الا كثرة الاستعمال في ميل الحيوان لكن يستعمل مقيداً بما يبين انه يريد ميل الحيوان وهنا استعمل مقيداً بما يبين انه يريد ميل الجماد والقدر المشترك بين مسميات الاسماء المتواطئة أمر كلي عام لا يوجد كلياً عاماً الا في الذهن وهو مورد التقسيم بين الانواع لكن ذلك المعنى العام الكلي كان أهل اللغة لا يحتاجون الي التعبير عنه لانهم انما يحتاجون الي ما يوجد في الخارج والى ما يوجد في القلوب في العادة وما لا يكون في الخارج الا مضافاً الي غيره لا يوجد في الذهن مجرداً بخلاف لفظ الانسان

والفرس فانه لما كان يوجد في الخارج غير مضاف تعودت الاذهان تصور مسمي الانسان ومسمي الفرس بخلاف تصور مسمي الارادة ومسمي العلم ومسمي القدرة ومسمي الوجود المطلق العام فان هذا لا يوجد في اللغة لفظ مطلق يدل عليه بل لا يوجد لفظ الارادة الا مقيداً بالمريد ولا لفظ العلم الا مقيداً بالعالم ولا لفظ القدرة الا مقيداً بالقادر بل وهكذا سائر الاعراض لما لم توجد الا في محالها مقيدة بها لم يكن في اللغة لفظ الا كذلك فلا يوجد في اللغة لفظ السواد والبياض والطول والقصر الا مقيداً بالاسود والابيض والطويل والقصير ونحو ذلك لا مجرداً عن كل قيد وانما يوجد مجرداً في كلام المصنفين في اللغة لانهم فهموا من كلام أهل اللغة ما يريدون به من القدر المشترك ومنه قوله تعالى (فاذاقها الله لباس الجوع والخوف) فان من الناس من يقول الذوق حقيقة في الذوق بالفم واللباس بما يلبس على البدن وانما استعير هذا وهذا وليس كذلك بل قال الخليل الذوق في لغة العرب هو وجود طعم الشيء والاستعمال يدل على ذلك قال تعالى (ولنذيقنهم من العذاب الادني دون العذاب الاكبر) وقال (ذق انك أنت العزيز الكريم) وقال (فذاقت وبال أمرها) وقال (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) فذوقوا عذابي ونذر لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى قالوا يذوقون فيها برداً ولا شراباً الا حمياً وغساقاً) وقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولا وفي بعض الادعية اذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك فلفظ الذوق يستعمل في كل ما يحس به ويحد ألمه أو لذته فدعوى المدعي اختصاص لفظ الذوق بما يكون بالفم تحكم منه لكن ذاك مقيد فيقال ذقت الطعام وذقت هذا الشراب فيكون معه من القيود ما يدل على انه ذوق بالفم واذا كان الذوق مستعملاً فيما يحسه الانسان بباطنه أو بظاهره حتى الماء الحميم يقال ذاقه فالتوب اذا كان بارداً أو حاراً يقال ذقت حره وبرده وأما لفظ اللباس فهو مستعمل في كل ما يغشى الانسان فيلبس به قال تعالى (وجعلنا الليل لباساً) وقال (ولباس التقوى ذلك خير) وقال (هن لباس لكم وأنتم لباس هن) ومنه يقال لبس الحق بالباطل اذا خلطه به حتى غشاه فلم يتميز بالجوع الذي يشمل ألمه جميع الجائع نفسه وبدنه وكذلك الخوف الذي يلبس البدن لو قيل فاذاقها الله الجوع والخوف لم يدل ذلك على انه شامل لجميع أجزاء الجائع بخلاف ما اذا قيل لباس الجوع والخوف ولو قال فالبسهم لم يكن فيه ما يدل على انهم ذاقوا ما يؤلمهم الا بالعقل من حيث انه يعرف أن الجائع الخائف يألم بخلاف لفظ ذوق الجوع والخوف فان هذا اللفظ يدل على الاحساس بالمؤلم واذا أضيف الى المزدل على الاحساس به كقوله صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً. فان قيل فلم لم يصف نعيم الجنة بالذوق: قيل لان الذوق يدل على جنس الاحساس ويقال ذاق الطعام لمن وجد طعمه وان لم يأكله وأهل الجنة نعيمهم كامل تام لا يقتصر فيه على الذوق بل استعمال لفظ الذوق في النفي كما قال عن أهل النار (لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً) أي لا يحصل لهم من ذلك ذوق وقال عن أهل الجنة (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) وكذلك ما ادعوا أنه مجاز في القرآن لفظ المكر والاستهزاء والسخرية المضاف الى الله وزعموا انه مسمي باسم ما يقابله على

طريق المجاز وليس كذلك بل مسميات هذه الاسماء اذا فعلت بمن لا يستحق العقوبة كانت ظالماً له وأما اذا فعلت بمن فعلها بالمعنى عليه عقوبة بمنثل فعله كانت عدلاً كما قال تعالى ( كذلك كدنا ليوسف ) فكاد له كما كادت اخوته لما قال له أبوه لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيداً وقال تعالى ( انهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً ) وقال تعالى ( ومكروا مكراً وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم ) وقال ( الذين يلتمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيستخرون منهم سخر الله منهم ) ولهذا كان الاستهزاء بهم فعلاً يستحق هذا الاسم كما روي عن ابن عباس انه يفتح لهم باب من الجنة وهم في النار فيسرعون اليه فيغلق ثم يفتح لهم باب آخر فيسرعون اليه فيغلق فيضحك منهم المؤمنون قال تعالى ( فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ) وعن الحسن البصري اذا كان يوم القيامة خمدت النار لهم كما تخمد الاهالة فيمشون فتخسف بهم وعن مقاتل اذا ضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب فييقون في الظلمة فيقال لهم ارجعوا وراكم فالتمسوا نوراً وقال بعضهم استهزؤا استدرجاهم وهم وقيل ايقاع استهزأهم ورد خداعهم ومكرهم عليهم وقيل انه يظهر لهم في الدنيا خلاف ما أبطن في الآخرة وقيل هو تحجيلهم وتخطئتهم فيما فعلوه وهذا كله حق وهو استهزأهم حقيقة . . . ومن الامثلة المشهورة لمن يثبت المجاز في القرآن واسأل القرية قالوا المراد به أهلها فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فقيل لهم لفظ القرية والمدينة والنهر والميزاب وأمثال هذه الامور التي فيها الحال والحل كلاهما داخل في الاسم ثم قد يعود الحكم على الحال وهو السكان وتارة على الحل وهو المكان وكذلك في النهر يقال حفرت النهر وهو الحل وجرى النهر وهو الماء ووضعت الميزاب وهو الحل وجري الميزاب وهو الماء وكذلك القرية قال تعالى ( ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة ) وقوله ( وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً أوهم قائلون فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا أن قالوا انا كنا ظالمين ) وقال في آية أخرى ( أفأمن أهل القرية أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون ) فجعل القرية هم السكان وقال ( وكأى من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناها فلا ناصر لهم ) وهم السكان وكذلك قوله تعالى ( وتلك القرية أهلكناها لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً ) وقال تعالى ( أو كالذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها ) فهذا المكان لا السكان لكن لا بد أن يلحظ انه كان مسكوناً فلا يسمى قرية الا اذا كان قد عمر للسكنى مأخوذ من القرى وهو الجمع ومنه قولهم قرية الماء في الحوض اذا جمعه فيه ونظير ذلك لفظ الانسان يتناول الجسد والروح ثم الاحكام تتناول هذا تارة وهذا تارة لتلازمهما فكذلك القرية اذا عذب أهلها خربت واذا خربت كان عذاباً لاهلها فما يصيب أحدهما من الشر ينال الآخر كما ينال البدن والروح ما يصيب أحدهما فقوله ( واسأل القرية ) مثل قوله ( قرية كانت آمنة مطمئنة ) فاللفظ هنا يراد به السكان من غير اضرار ولا حذف فهذا بتقدير أن يكون في اللغة مجاز فلا مجاز في القرآن بل . . . وتقسيم اللغة الى حقيقة ومجاز تقسيم مبتدع محدث لم ينطق به السلف والخلف فيه على قولين وليس النزاع

فيه لفظياً بل يقال نفس هذا التقسيم باطل لا يتميز هذا عن هذا ولهذا كان كل ما يذكرونه من الفروق يبين انها فروق باطلة وكلما ذكر بعضهم فرقا أبطله الثاني كما يدعي المنطقيون أن الصفات القائمة بالموصوفات تنقسم اللازمة لها الى داخل في ماهيتها الثابتة في الخارج والى خارج عنها لازم للماهية ولازم خارج لوجوده وذكروا ثلاثة فروق كلها باطلة لان هذا التقسيم باطل لاحقيقة له بل ما يجعلونه داخلاً يمكن جعله خارجاً وبالعكس كما قد بسط في موضعه : وقولهم اللفظ ان دل بلا قرينة فهو حقيقة وان لم يدل الا معها فهو مجاز قد تبين بطلانه وانه ليس في الالفاظ الدالة ما يدل مجرداً عن جميع القرائن ولا فيها ما يحتاج الى جميع القرائن وأشهر أمثلة المجاز لفظ الاسد والحمار والبحر ونحو ذلك مما يقولون انه استعير للشجاع والبليد والجواد وهذه لا تستعمل الا مؤلفة مركبة مقيدة بقيود لفظية كما تستعمل الحقيقة كقول أبي بكر الصديق عن أبي قتادة لما طلب غيره سلب القليل لاهل الله اذا نعمد الى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله فنعطيك سلبه فقوله نعمد الى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله وضم له بالقوة للجهاد في سبيله وقد عينه تعيناً ازال اللبس وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم ان خالداً سيف من سيوف الله سلبه الله على المشركين وأمثال ذلك : وان قال القائل القرائن اللفظية موضوعة ودلالاتها على المعنى حقيقة لكن القرائن الحالية مجاز : قيل اللفظ لا يستعمل قط الا مقيداً بقيود لفظية موضوعة والحال حال المتكلم والمستمع لا بد من اعتباره في جميع الكلام فانه اذا عرف المتكلم فهم من معنى كلامه ما لا يفهم اذا لم يعرف لانه بذلك يعرف عادته في خطابه واللفظ انما يدل اذا عرف لغة المتكلم التي بها يتكلم وهي عادته وعرفه التي يعتادها في خطابه ودلالة اللفظ على المعنى دلالة قصدية ارادية اختيارية فالتكلم يريد دلالة اللفظ على المعنى فاذا اعتاد أن يعبر باللفظ عن المعنى كانت تلك لغة ولهذا كل من كان له عناية بالفاظ الرسول ومراده بها عرف عادته في خطابه وتبين له من مراده ما لا يتبين لغيره . ولهذا ينبغي أن يقصد اذا ذكر لفظ من القرآن والحديث أن يذكر نظائر ذلك اللفظ ماذا عنى بها الله ورسوله فيعرف بذلك لغة القرآن والحديث وسنة الله ورسوله التي يخاطب بها عباده وهي العادة المعروفة من كلامه ثم اذا كان لذلك نظائر في كلام غيره وكانت النظائر كثيرة عرف أن تلك العادة واللغة مشتركة عامة لا يختص بها هو صلى الله عليه وسلم بل هي لغة قومه ولا يجوز أن يحمل كلامه على عادات حدثت بعده في الخطاب لم تكن معروفة في خطابه وخطاب أصحابه كما يفعله كثير من الناس وقد لا يعرفون انتفاء ذلك في زمانه ولهذا كان استعمال القياس في اللغة وان جاز في الاستعمال فانه لا يجوز في الاستدلال فانه قد يجوز للانسان أن يستعمل هو اللفظ في نظير المعنى الذي استعملوه فيه مع بيان ذلك على ما فيه من النزاع لكن لا يجوز أن يعتمد الى ألفاظ قد عرف استعمالها في معاني فيحيلها الى غير تلك المعاني ويقول انهم أرادوا تلك بالقياس على تلك بل هذا تبديل وتحريف فاذا قال الجار أحق بسقبة فالجار ليس هو الشريك فان هذا لا يعرف في لغتهم لكن ليس في اللفظ ما يقتضي انه يستحق الشفعة لكن يدل على أن البيع له أولى وأما الحمر فقد ثبت بالنصوص الكثيرة والنقول الصحيحة انها كانت اسماً لكل مسكر لم يسم النبيذ خمرأ بالقياس

وكذلك النباش كانوا يسمونه سارقاً كما قالت عائشة سارق موتانا كسارق أحياناً واللائط عندهم كان أغلظ من الزاني للمرأة ولا بد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الالفاظ وكيف يفهم كلامه فمعرفة العربية التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه وكذلك معرفة دلالة الالفاظ على المعاني فان عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب فانهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدعون انه دال عليه ولا يكون الامر كذلك ويجعلون هذه الدلالة حقيقة وهذه مجازاً كما أخطأ المرجئة في اسم الايمان جعلوا لفظ الايمان حقيقة في مجرد التصديق وتناوله للامعمال مجازاً فيقال ان لم يصح التقسيم الى حقيقة ومجاز فلا حاجة الى هذا وان صح فهذا لا ينفككم بل هو عليكم لالكم لان الحقيقة هي اللفظ الذي يدل باطلاقه بلا قرينة والمجاز انما يدل بقرينة وقد تبين أن لفظ الايمان حيث أطلق في الكتاب والسنة دخلت فيه الاعمال وانما يدعي خروجها منه عند التقييد وهذا يدل على أن الحقيقة قوله الايمان بضع وسبعون شعبة : وأما حديث جبريل فان كان أراد بالايمان ما ذكر مع الاسلام فهو كذلك وهذا هو الذي أراد النبي صلى الله عليه وسلم قطعاً كما انه لما ذكر الاحسان أراد الاحسان مع الايمان والاسلام لم يرد أن الاحسان مجرد عن ايمان واسلام ولو قدر أنه أريد بلفظ الايمان مجرد التصديق فلم يقع ذلك الا مع قرينة فيلزم أن يكون مجازاً وهذا معلوم بالضرورة لا يمكننا المنازعة فيه بعد تدبر القرآن والحديث بخلاف كون لفظ الايمان في اللغة مراداً للتصديق ودعوى أن الشارع لم يغيره ولم ينقله بل أراد به ما كان يريد به أهل اللغة بلا تخصيص ولا تقييد فان هاتين المقدمتين لا يمكن الجزم بواحدة منهما فلا يعارض اليقين كيف وقد عرف فساد كل واحدة من المقدمتين وانها من أفسد الكلام : وأيضاً فليس لفظ الايمان في دلالاته على الاعمال المأمور بها بدون لفظ الصلاة والصيام والزكاة والحج في دلالاته على الصلاة الشرعية والصيام الشرعي والحج الشرعي سواء قيل إن الشارع نقله أو زاد الحكم دون الاسم أو زاد الاسم وتصرف فيه تصرف أهل العرف أو خاطب بالاسم مقيداً لامطلقاً فان قيل الصلاة والحج ونحوهما لو ترك بعضها بطالت بخلاف الايمان فانه لا يبطل عند الصحابة وأهل السنة والجماعة بمجرد الذنب قيل ان أراد بالبطلان انه لا تبرأ الذمة منها كلها فكذلك الايمان الواجب اذا ترك منه شيئاً لم تبرأ الذمة منه كله وان أريد به وجوب الاعادة فهذا ليس على الاطلاق فان في الحج واجبات اذا تركها لم يفسد بل تجبر بدم وكذلك في الصلاة عند أكثر العلماء اذا تركها سهواً أو مطلقاً وجبت الاعادة فانما يجب اذا أمكنت الاعادة والا فما تعذرت اعادته يبقى مطالباً به كالجمعة ونحوها وان أريد بذلك انه لا يثاب على ما فعله فليس كذلك بل قد بين النبي صلى الله عليه وسلم في حديث المسي في صلاته انه اذا لم يتمها يثاب على ما فعله ولا يكون بمنزلة من لم يصل وفي عدة احاديث ان الفرائض تكمل يوم القيامة من النوافل فاذا كانت الفرائض مجبورة بثواب النوافل دل على انه يعتد به بما فعله منها فكذلك الايمان اذا ترك منه شيئاً كان عليه فعله ان كان محرماً تاب منه وان كان واجباً فعله فاذا لم يفعله لم تبرأ ذمته منه وأثيب على ما فعله كسائر العبادات وقد دلت النصوص على أنه يخرج من النار من في قلبه مثقال

ذرة من الإيمان وقد عدلت المرجئة في هذا الأصل عن بيان الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لهم بأحسن واعتمدوا على رأيهم وعلى ما تأولوه بفهمهم اللغة وهذه طريقة أهل البدع ولهذا كان الامام أحمد يقول أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس ولهذا تجد المعتزلة والمرجئة والرافضة وغيرهم من أهل البدع يفسرون القرآن برأيهم ومعقولهم وما تأولوه من اللغة ولهذا تجدهم لا يعتمدون على أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين فلا يعتمدون لا على السنة ولا على إجماع السلف وآثارهم وإنما يعتمدون على العقل واللغة وتجدهم لا يعتمدون على كتب التفسير المأثورة والحديث وآثار السلف وإنما يعتمدون على كتب الادب وكتب الكلام التي وضعها رؤسهم وهذه طريقة الملاحدة أيضاً إنما يأخذون ما في كتب الفلسفة وكتب الادب واللغة وأما كتب القرآن والحديث والآثار فلا يلتفتون إليها هؤلاء يعرضون عن نصوص الانبياء أذهي عندهم لاتفيد العلم وأولئك يتأولون القرآن برأيهم وفهمهم بلا آثار عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقد ذكرنا كلام أحمد وغيره في إنكار هذا وجعله طريقة أهل البدع وإذا تدرت حججهم وجدت دعواوي لا يقوم عليها والقاضي أبو بكر الباقلاني نصر قول جهم في مسألة الإيمان متابعة لابي الحسن الأشعري وكذلك أكثر أصحابه فأما أبو العباس القلانسي وأبو علي الثقفى وأبو عبدالله بن مجاهد شيخ القاضي أبي بكر وصاحب أبي الحسن فاتهم نصرهم واما مذهب السلف وابن كلاب نفسه والحسين بن الفضل البجلي ونحوهما كانوا يقولون هو التصديق والقول جميعاً موافقة لمن قاله من فقهاء الكوفيين كحماد بن أبي سليمان ومن اتبعه مثل أبي حنيفة وغيره (فصل) وأبو الحسن الأشعري نصر قول جهم في الإيمان مع انه نصر المشهور عن أهل السنة من انه يستثنى في الإيمان فيقول أنا مومن ان شاء الله لانه نصر مذهب أهل السنة في انه لا يكفر أحد من أهل القبلة ولا يخلدون في النار وتقبل فيهم الشفاعة ونحو ذلك وهو دائماً ينصر في المسئلة التي اشهر فيها النزاع بين أهل الحديث وغيرهم قول أهل الحديث لكنته لم يكن خبيراً بما أخذهم فينصره على ما يراه هو من الاصول التي تلقاها عن غيرهم فيقع في ذلك من التناقض ما ينكره هؤلاء وهؤلاء كما فعل في مسألة الإيمان ونصر فيه قول جهم مع نصره للاستثناء ولهذا خالفه كثير من أصحابه في الاستثناء كما سنذكر ما أخذ في ذلك واتبعه أكثر أصحابه على نصر قول جهم في ذلك ومن لم يقف الا على كتب الكلام ولم يعرف ما قاله السلف وأئمة السنة في هذا الباب فيظن أن ما ذكره هو قول أهل السنة وهو قول لم يقله أحد من أئمة السنة بل قد كفر أحمد بن حنبل ووكيع وغيرهما من قال بقول جهم في الإيمان الذي نصره أبو الحسن وهو عندهم شر من قول المرجئة ولهذا صار من يعظم الشافعي من الزيدية والمعتزلة ونحوهم ويطعن في كثير ممن ينتسب اليه يقولون الشافعي لم يكن فيلسوفاً ولا مرجئاً وهؤلاء فلاسفة أشعرية مرجئة وضرهم ذم الارحاء ونحن نذكر عمدتهم لكونه مشهوراً عند كثير من المتأخرين المنتسبين الى السنة . قال القاضي أبو بكر في التمهيد فان قالوا فخبرونا ما الإيمان عنكم قيل الإيمان هو التصديق بالله وهو العلم والتصديق يوجد بالقلب فان قال فما الدليل على ما قلتم قيل إجماع أهل اللغة

قاطبة على أن الإيمان قبل نزول القرآن وبعثة النبي صلى الله عليه وسلم هو التصديق لا يعرفون في اللغة إيماناً غير ذلك ويدل على ذلك قوله تعالى ( وما أنت بمؤمن لنا ) أى بمصدق لنا ومنه قولهم فلان يؤمن بالشفاعة وفلان لا يؤمن بعذاب القبر أى لا يصدق بذلك فوجب أن الإيمان في الشريعة هو الإيمان المعروف في اللغة لان الله ما غير اللسان العربي ولا قلبه ولو فعل ذلك لتواترت الاخبار بفعله وتوفرت دواعي الأمة على نقله ولغلب اظهاره على كتابه وفي علمنا بأنه لم يفعل ذلك بل أقر أسماء الاشياء والتخاطب بأسره على ما كان دليل على أن الإيمان في الشريعة هو الإيمان اللغوي وبما يبين ذلك قوله تعالى ( وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ) وقوله ( انا جعلناه قرآناً عربياً ) فأخبر انه أنزل القرآن بلغة العرب وسمى الاسماء بمسمياتهم ولا وجه للعدول بهذه الآيات عن ظواهرها بغير حجة لاسيما مع القول بالعموم وحصول التوقيف على أن القرآن قول نزل بلغتهم فدل على ما قلناه من أن الإيمان ما وصفناه دون ما سواه من سائر الطاعات من النوافل والمفروضات هذا لفظه •• وهذا عمدة من نصر قول الجهمية في مسئلة الإيمان وللجمهور من أهل السنة وغيرهم عن هذا أجوبة •• أحدها قول من ينازعه في أن الإيمان في اللغة مرادف للتصديق ويقول هو بمعنى الاقرار وغيره •• والثاني قول من يقول وان كان في اللغة هو التصديق فالتصديق يكون بالقلب واللسان وسائر الجوارح كما قال النبي صلى الله عليه وسلم والفرج يصدق ذلك أو يكذبه •• والثالث أن يقال ليس هو مطلق التصديق بل هو تصديق خاص مقيد بقيود اتصل اللفظ بها وليس هذا نقلاً للفظ ولا تغييراً له فان الله لم يأمرنا بإيمان مطلق بل بإيمان خاص وصفه وبينه •• الرابع أن يقال وان كان هو التصديق فالتصديق التام القائم بالقلب مستلزم لما وجب من أعمال القلب والجوارح فان هذه لوازم الإيمان التام وانتفاء اللازم دليل على انتفاء الملزوم ويقول ان هذه اللوازم تدخل في مسمي اللفظ تارة وتخرج عنه أخرى •• الخامس قول من يقول ان اللفظ باق على معناه في اللغة ولكن الشارع زاد فيه أحكاماً •• السادس قول من يقول ان الشارع استعمله في معناه المجازي فهو حقيقة شرعية مجاز لغوي •• السابع قول من يقول انه منقول فهذه سبعة أقوال •• الاول قول من ينازع أن معناه في اللغة التصديق ويقول ليس هو التصديق بل بمعنى الاقرار وغيره •• قوله اجماع أهل اللغة قاطبة على أن الإيمان قبل نزول القرآن هو التصديق •• فيقال له من نقل هذا الاجماع ومن أين يعلم هذا الاجماع وفي أى كتاب ذكر هذا الاجماع •• الثاني أن يقال أتعني بأهل اللغة نقلتها كابي عمرو والاصمى والخليل ونحوهم أو المتكلمين بها فان عنيت الاول فهؤلاء لا يتقنون كل ما كان قبل الاسلام باسناد وانما يتقنون ما سمعوه من العرب في زمانهم وما سمعوه في دواوين الشعر وكلام العرب وغير ذلك بالاسناد ولا نعم فيما نقلوه لفظ الإيمان فضلاً عن أن يكونوا أجمعوا عليه وان عنيت المتكلمين بهذا اللفظ قبل الاسلام فهؤلاء لم يشهدهم ولا نقل لنا أحد عنهم ذلك •• الثالث أنه لا يعرف عن هؤلاء جميعهم أنهم قالوا الإيمان في اللغة هو التصديق بل ولا عن بعضهم وان قدر أنه قاله واحد أو اثنان فليس هذا اجماعاً •• الرابع أن يقال هؤلاء لا يتقنون عن العرب أنهم قالوا معنى هذا اللفظ كذا وكذا وانما

ينقلون الكلام المسموع من العرب وانه يفهم منه كذا وكذا وحيثذ فلو قدر أنهم نقلوا كلاما عن العرب  
 يفهم منه أن الايمان هو التصديق لم يكن ذلك أبلغ من نقل المسلمين للقرآن عن النبي صلى الله عليه وسلم  
 واذا كان مع ذلك قد يظن بعضهم أنه أريد به معنى ولم يرد فظن هؤلاء ذلك فيما ينقلونه عن العرب أو لي  
 ٥٥ الخامس أنه لو قدر أنهم قالوا هذا فهم آحاد لا يثبت بنقلهم التواتر والتواتر من شرطه استواء الطرفين  
 والواسطة وأين التواتر الموجود عن العرب قاطبة قبل نزول القرآن أنهم كانوا لا يعرفون للايمان معنى  
 غير التصديق ٥٥ فان قيل هذا يقدر في العلم باللغة قبل نزول القرآن ٥٥ قيل فليكن ونحن لا حاجة بنا  
 مع بيان الرسول لما بعثه الله به من القرآن أن نعرف اللغة قبل نزول القرآن والقرآن نزل بلغة قريش  
 والذين خوطبوا به كانوا عربا وقد فهموا ما أريد به وهم الصحابة ثم الصحابة بلغوا لفظ القرآن ومعناه  
 الي التابعين حتي انتهى الينا فلم يبق بنا حاجة الي أن تتواتر عندنا تلك اللغة من غير طريق تواتر القرآن  
 لكن لما تواتر القرآن لفظاً ومعنى وعرفنا انه نزل بلغتهم عرفنا انه كان في لغتهم لفظ السماء والارض  
 والليل والنهار والشمس والقمر ونحو ذلك على ما هو معناها في القرآن والافلو كلفنا نقلا متواتراً لآحاد  
 هذه الالفاظ من غير القرآن لتعذر علينا ذلك في جميع الالفاظ لاسيما اذا كان المطلوب أن جميع العرب  
 كانت تريد باللفظ هذا المعنى فان هذا يتعذر العلم به والعلم بمعاني القرآن ليس موقوفاً على شيء من ذلك  
 بل الصحابة بلغوا معاني القرآن كما بلغوا لفظه ولو قدرنا أن قوما سمعوا كلاماً عجمياً وترجموه لنا  
 بلغتهم لم نحتاج الي معرفة اللغة التي خوطبوا بها ٥٥ السادس انه لم يذكر شاهداً من كلام العرب على  
 ما ادعاه عليهم وانما استدل من غير القرآن بقول الناس فلان يؤمن بالشفاعة فلان يؤمن بالجنة والنار فلان  
 يؤمن بعذاب القبر وفلان لا يؤمن بذلك ومعلوم أن هذا ليس من الالفاظ العرب قبل نزول القرآن بل  
 هو مما تكلم الناس به بعد عصر الصحابة لما صار من الناس أهل البدع يكذبون بالشفاعة وعذاب القبر  
 ومرادهم بذلك هو مرادهم بقوله فلان مؤمن يؤمن بالجنة والنار وفلان لا يؤمن بذلك والقبائل  
 لذلك وان كان تصديق القلب داخلاً في مراده فليس مراده ذلك وحده بل مراده التصديق بالقلب  
 والالسان فان مجرد تصديق القلب بدون اللسان لا يعلم حتي يخبر به عنه ٥٥ السابع أن يقال من قال ذلك  
 فليس مراده التصديق بما يرجي ويخاف بدون خوف ولا رجاء بل يصدق بعذاب القبر ويخافه ويصدق  
 بالشفاعة ويرجوها والا فلو صدق بأنه يعذب في قبره ولم يكن في قلبه خوف من ذلك أصلاً لم يسموه  
 مؤمناً به كما أنهم لا يسمون مؤمناً بالجنة والنار الا من رجا الجنة وخاف النار دون المعرض عن ذلك  
 بالكيفية مع علمه بأنه حق كما لا يسمون ابليس مؤمناً بالله وان كان مصدقاً بوجوده وربوبيته ولا يسمون  
 فرعون مؤمناً وان كان عالماً بان الله بعث موسى وانه هو الذي أنزل الآيات وقد استيقنت بها أنفسهم مع  
 جردهم لها بالسلمتهم ولا يسمون اليهود مؤمنين بالقرآن والرسول وان كانوا يعرفون انه حق كما يعرفون  
 أبناءهم فلا يوجد قط في كلام العرب ان من علم بوجود شيء مما يخاف ويرجي ويحب حبه وتعظيمه وهو  
 مع ذلك لا يحبه ولا يعظمه ولا يريافه ولا يرجوه بل يجهده ويكذب به بلسانه انهم يقولون هو مؤمن

به بل ولو عرفه بقلبه وكذب به بلسانه لم يقولوا هو مصدق به ولو صدق به مع العمل بخلاف مقتضاه لم يقولوا هو مؤمن به فلا يوجد في كلام العرب شاهد واحد يدل على مادعوه وقوله (وما أنت بمؤمن لنا) قد تكلمنا عليها في غير هذا الموضع فان هذا استدلال بالقرآن وليس في الآية ما يدل على أن المصدق مرادف للمؤمن فان صحة المعنى باحد اللفظين لا يدل على انه مرادف للآخر كما بسطنا في موضعه ٥٥ الوجه الثامن قوله لا يعرفون في اللغة ايمانا غير ذلك من أين له هذا اللفظ الذي لا يمكن الاطاحة به بل هو قول بلا علم ٥٥ التاسع قول من يقول أصل الايمان مأخوذ من الامن كما ستأتي أقوالهم ان شاء الله وقد نقلوا في اللغة الايمان بغير هذا المعنى كما قاله الشيخ أبو البيان في قول (١) الوجه العاشر انه لو فرض أن الايمان في اللغة التصديق فمعلوم أن الايمان ليس هو التصديق بكل شيء بل بشئ مخصوص وهو ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم وحينئذ فيكون الايمان في كلام الشارع أخص من الايمان في اللغة ومعلوم أن اخص ينضم اليه قيود لا توجد في جميع العام كالحيوان اذا أخذ بعض أنواعه وهو الانسان كان فيه المعنى العام ومعنى اخص به وذلك المجموع ليس هو المعنى العام فالتصديق الذي هو الايمان أدنى أحواله أن يكون نوعاً من التصديق العام فلا يكون مطابقاً له في العموم واخص من غير تغيير اللسان ولا قلبه بل يكون الايمان في كلام الشارع مؤلفاً من العام واخص كالانسان الموصوف بأنه حيوان وأنه ناطق ٥٥ الحادي عشر ان القرآن ليس فيه ذكر ايمان مطلق غير مفسر بل لفظ الايمان فيه اما مقيد واما مطلق مفسر فالقيد كقوله (يؤمنون بالغيب) وقوله (فأمن موسى الا ذرية من قومه) والمطلق المفسر كقوله تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) الآية وقوله (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) ونحو ذلك وقوله (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) وأمثال هذه الآيات وكل إيمان مطلق في القرآن فقد بين فيه أنه لا يكون الرجل مؤمناً الا بالعمل مع التصديق فقد بين القرآن أن الايمان لا بد فيه من عمل مع التصديق كما ذكر مثل ذلك في اسم الصلاة والزكاة والصيام والحج ٥٥ فان قيل تلك الأسماء باقية ولكن ضم الى المسمى أعمالاً في الحكم لافي الاسم كما يقوله القاضي أبو يعلى وغيره ٥٥ قيل ان كان هذا صحيحاً قيل مثله في الايمان وقد أورد هذا السؤال لبعضهم ثم لم يجب عنه بجواب صحيح بل زعم أن القرآن لم يذكر فيه ذلك وليس كذلك بل القرآن والسنة مملوآن بما يدل على أن الرجل لا يثبت له حكم الايمان الا بالعمل مع التصديق وهذا في القرآن أكثر بكثير من معنى الصلاة والزكاة فان تلك انما فسرتها السنة والايمان بين معناه الكتاب والسنة واجماع السلف ٥٥ الثاني عشر انه اذا قيل إن الشارع خاطب الناس بلغة العرب فانما خاطبهم بلغتهم المعروفة وقد جرى عرفهم أن الاسم يكون مطلقاً وعمماً ثم يدخل فيه قيد أخص من معناه كما يقولون اذهب الى القاضي والوالي والأمير يريدون شخصاً معيناً يعرفونه دلت عليه اللام مع معرفتهما به وهذا الاسم في اللغة اسم

جنس لا يدل على خصوص شخص وأمثال ذلك فكذلك الايمان والصلاة والزكاة انما خاطبهم بهذه الاسماء  
بلام التعريف وقد عرفهم قبل ذلك أن المراد الايمان الذي صفته كذا وكذا أو الداء الذي صفته كذا  
وكذا فبتقدير أن يكون في لغتهم التصديق فانه قد يبين اني لا أكتفي بتصديق القلب واللسان فضلاً عن  
تصديق القلب وحده بل لا بد أن يعمل بموجب ذلك التصديق كما في قوله تعالى ( انما المؤمنون الذين  
آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا . انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ) وفي قوله صلى الله  
عليه وسلم لا تؤمنون حتى يكون كذا وفي قوله تعالى ( لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون  
من حاد الله ورسوله ) وفي قوله ( ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما نتخذوهم أولياء ) ومثله  
هذا كثير في الكتاب والسنة كقوله عليه الصلاة والسلام لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وقوله  
لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه وأمثال ذلك . . . فقد بين لهم أن التصديق الذي لا يكون الرجل مؤمناً  
الا به هو أن يكون تصديقاً على هذا الوجه وهذا بين في القرآن والسنة من غير تغيير للغة ولا نقل لها  
. . . الثالث عشر أن يقال بل نقل وغير قوله لو فعل لتواتر قيل نعم وقد تواتر أنه أراد بالصلاة والزكاة  
والصيام والحج مغايتها المعروفة وأراد بالايمان ما بينه بكتابه وسنة رسوله من أن العبد لا يكون مؤمناً  
الا به كقوله انما المؤمنون وهذا متواتر في القرآن والسنة ومتواتر أيضاً أنه لم يكن يحكم لاحد بحكم  
الايمان الا أن يؤدي الفرائض ومتواتر عنه أنه أخبر أنه من مات مؤمناً دخل الجنة ولم يعذب وان  
الفساق لا يستحقون ذلك بل هم معرضون للعذاب فقد تواتر عنه من معاني اسم الايمان وأحكامه ما لم  
يتواتر عنه في غيره فأى تواتر أبلغ من هذا وقد توفرت الدواعي على نقل ذلك واطهاره والله الحمد ولا  
يقدر أحد أن ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم نقلاً يناقض هذا لكن أخبر أنه يخرج منها من كان  
معه شيء من الايمان ولم يقل إن المؤمن يدخلها ولا قال إن الفساق مؤمنون لكن أدخلهم في مسمى  
الايمان في مواضع كما أدخل المنافقين في اسم الايمان في مواضع مع القيود وأما الاسم المطلق الذي وعد  
أهله بالجنة فلم يدخل فيه هؤلاء ولا هؤلاء . . . الرابع عشر قوله ولا وجه للعدول بالآيات التي تدل على  
أنه عربي عن ظاهرها . . . فيقال له الآيات التي فسرت المؤمن وسلبت الايمان عن من لم يعمل أصرح  
وأكثر من هذه الآيات ثم اذا دلت أنه عربي فما ذكر لا يخرج عن كونه عربياً ولهذا لما خاطبهم بلفظ  
الصلاة والحج وغير ذلك لم يقولوا هذا ليس بعربي بل خاطبهم باسم المنافق وقد ذكر أهل اللغة أن هذا  
الاسم لم يكن يعرف في الجاهلية ولم يقولوا انه ليس بعربي لان المنافق مشتق من نفاق اذا خرج فاذا كان  
اللفظ مشتقاً من لغتهم وقد تصرف فيه المتكلم به كما جرت عادتهم في لغتهم لم يخرج ذلك عن كونه عربياً  
. . . الخامس عشر انه لو فرض ان هذه الألفاظ ليست عربية فليس تخصيص عموم هذه الألفاظ بأعظم  
من اخراج لفظ الايمان عما دل عليه الكتاب والسنة واجماع السلف فان النصوص التي تنفي الايمان  
عن لا يجب الله ورسوله ولا يخاف الله ولا يتقيه ولا يعمل شيئاً من الواجب ولا يترك شيئاً من المحرم  
كثيرة صريحة فاذا قدر أنها عارضها آية كان تخصيص اللفظ القليل العام أولى من رد النصوص الكثيرة

الصريحة ٥٥ السادس عشر ان هؤلاء واقفة في ألفاظ العموم لا يقولون بعمومها والسلف يقولون الرسول وقفنا على معاني الإيمان وبينه لنا وعلما مراده منه بالاضطرار وعلما من مراده علماً ضرورياً ان من قيل إنه صدق ولم يتكلم بلسانه بالإيمان مع قدرته على ذلك ولا صلى ولا صام ولا أحب الله ورسوله ولا خاف الله بل كان مبغضاً للرسول معادياً له يقاقله أن هذا ليس بمؤمن كما علما أن الكفار من المشركين وأهل الكتاب الذين كانوا يعلمون أنه رسول الله وفعلوا ذلك معه كانوا عنده كفاراً لا مؤمنين فهذا معلوم عندنا بالاضطرار أكثر من علما بأن القرآن كله ليس فيه لفظ غير عربي فلو قدر التعارض لكان تقديم ذلك العلم الضروري أولى ٥٥ فان قالوا من علم أن الرسول كفره علم انتفاء التصديق من قلبه ٥٥ قيل لهم هذه مكابرة ان أرادوا أنهم كانوا شاكين مرتابين وأما ان عني التصديق الذي لم يحصل معه عمل فهو ناقص كالمعصوم فهذا صحيح ثم انما يثبت اذا ثبت أن الإيمان مجرد تصديق القلب وعلمه وذلك انما يثبت بعد تسليم هذه المقدمات التي منها هذا فلا تثبت الدعوي بالدعوى مع كفر صاحبها ثم يقال قد علما بالاضطرار أن اليهود وغيرهم كانوا يعرفون أن محمداً رسول الله وكان يحكم بكفرهم فقد علما من دينه ضرورة أنه يكفر الشخص مع ثبوت التصديق بنبوته في القلب اذا لم يعمل بهذا التصديق بحيث يجب ويعظمه ويسلم لما جاء به ٥٥ وما يعارضون به أن يقال هذا الذي ذكرتموه ان كان صحيحاً فهو أدل على قول المرجئة بل على قول الكرامية منه على قولكم وذلك ان الإيمان اذا كان هو التصديق كما ذكرتم فالنصديق نوع من أنواع الكلام فاستعمال لفظ الكلام والقول ونحو ذلك في المعنى واللفظ بل في اللفظ الدال على المعنى أكثر في اللغة من استعماله في المعنى المجرد عن اللفظ بل لا يوجد قط اطلاق اسم الكلام ولا نوعه كالخبر والتصديق والتكذيب والأمر والنهي على مجرد المعنى من غير شيء يقترب به من عبارة ولا اشارة ولا غيرهما وانما يستعمل مقيداً واذا كان الله انما أنزل القرآن بلغة العرب فهي لا تعرف التصديق والتكذيب وغيرهما من الأقوال الا ما كان معنى ولفظاً أو لفظاً يدل على معنى ولهذا لم يجعل الله أحداً مصدقاً للرسول بمجرد العلم والتصديق الذي في قلوبهم حتى يصدقوهم بالسنتهم ولا يوجد في كلام العرب أن يقال فلان صدق فلاناً أو كذبه اذا كان يعلم بقلبه أنه صادق أو كاذب ولم يتكلم بذلك كما لا يقال أمره أو نهاه اذا قام بقلبه طلب مجرد عما يقترب به من لفظ أو اشارة أو نحوها ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس وقال ان الله يحدث من أمره ما شاء وان مما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة اتفق العلماء على انه اذا تكلم في الصلاة عامداً لغير مصلحتها بطلت صلاته واتفقوا كلهم على أن ما يقوم بالقلب من تصديق بامور دنيوية وطلب لا يبطل الصلاة وانما يبطلها التكلم بذلك فعلم اتفاق المسلمين على أن هذا ليس بكلام وأيضاً ففي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تجاوز لامتي عما حدثت أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به فقد أخبر أن الله عفا عن حديث النفس الي أن تتكلم ففرق بين حديث النفس وبين الكلام وأخبر أنه لا يؤخذ به حتى يتكلم به والمراد حتى ينطق اللسان باتفاق العلماء فعلم

أن هذا هو الكلام في اللغة لان الشارع كما قرر انما خاطبنا بلغة العرب وأيضاً في السنن ان معاذاً قال له يارسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال وهل يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصائد أسنتهم فيين أن الكلام انما هو ما يكون باللسان وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد \* ألا كل شيء ما خلا الله باطل \* وفي الصحيحين عنه أنه قال كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان جيببتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقد قال الله تعالى (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ما لهم به من علم ولا لا بائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذباً) وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهن من القرآن سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر رواه مسلم وقال تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) ومثل هذا كثير وفي الجملة حيث ذكر الله في كتابه عن أحد من الخلق من الانبياء أو أتباعهم أو مكذبيهم انهم قالوا ويقولون وذلك قولهم وأمثال ذلك فانما يعنى به المعنى مع اللفظ وما تصرف منه من فعل ماض ومضارع وأمر ومصدر واسم فاعل من لفظ القول والكلام ونحوها انما يعرف في القرآن والسنة وسائر كلام العرب اذا كان لفظ ومعنى وكذلك أنواعه كالتصديق والتكذيب والامر والنهي وغير ذلك وهذا مما لا يمكن أحداً جمده فانه أكثر من أن يحصى ولم يكن في مسعى الكلام نزاع بين الصحابة والتابعين لهم باحسان وتابعيهم لان أهل السنة ولا من أهل البدعة بل أول من عرف في الاسلام انه جعل مسعى الكلام المعنى فقط هو عبد الله بن سعيد بن كلاب وهو متأخر في زمن محنة أحمد بن حنبل وقد أنكرك ذلك عليه علماء السنة وعلماء البدعة فيمتنع أن يكون الكلام الذي هو أظهر صفات بني آدم كما قال تعالى (فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون) ولفظه لا يخص وجوه كثيرة لم يعرفه أحد من الصحابة والتابعين وتابعيهم حتى جاء من قال فيه قولاً لم يسبقه اليه أحد من المسلمين ولا غيرهم . . فان قالوا فقد قال تعالى (ويقولون في أنفسهم) وقال (واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة) ونحو ذلك . . قيل ان كان المراد انهم قالوه بألسنتهم سرّاً فلا حجة فيه وهذا هو الذي ذكره المفسرون قالوا كانوا يقولون سام عليك فاذا خرجوا يقولون في أنفسهم أي يقول بعضهم لبعض لو كان نبياً عذبنا بقولنا له ما نقول وان قدر انه أريد بذلك انهم قالوه في قلوبهم فهذا قول مقيد بالنفس مثل قوله عما حدثت بها أنفسها ولهذا قالوا لولا يؤاخذنا الله بما نقول فأطلقوا لفظ القول هنا والمراد به ما قالوه بألسنتهم لانه النجوي والتحية كما قال تعالى (أم تر الى الذين نهوا عن النجوي ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالائتم والعدوان ومعصية الرسول واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) مع أن الاول هو الذي عليه المفسرون وعليه تدل اظااره فان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ليس المراد أنه لا يتكلم به بلسانه بل المراد أنه ذكر الله بلسانه وكذلك قوله (واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول) هو الذكر باللسان والذي يقيد بالنفس لفظ

الحديث يقال حديث النفس ولم يوجد عنهم انهم قالوا كلام النفس وقول النفس كما قالوا حديث النفس ولهذا يعبر بلفظ الحديث عن الاحلام التي تري في المنام كقول يعقوب عليه السلام (ويعلمك من تأويل الاحاديث) وقول يوسف (وعلمتني من تأويل الاحاديث) وتلك في النفس لا تكون باللسان فلفظ الحديث قد يقيد بما في النفس بخلاف لفظ الكلام فانه لم يعرف انه أريد به ما في النفس فقط وأما قوله تعالى (وأسرؤا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور) فالمراد به القول الذي تارة يسر به فلا يسمعه الانسان وتارة يجهر به فيسمعونه كما يقال أسر القراءة وجهر بها وصلاة السر وصلاة الجهر ولهذا لم يقل قولوه بألسنتكم أو بقلوبكم وما في النفس لا يتصور الجهر به وإنما يجهر بما في اللسان وقوله (انه عليم بذات الصدور) من باب التثنية يقول انه يعلم ما في الصدور فكيف لا يعلم القول كما قال في الآية الاخرى (وان يجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى) فنبه بذلك على انه يعلم الجهر ويدل على ذلك انه قال (وأسرؤا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور) فلو أراد بالقول ما في النفس لكونه ذكر علمه بذات الصدور لم يكن قد ذكر علمه بالنوع الآخر وهو الجهر وان قيل نبه قيل بل نبه على القسمين وقوله تعالى (آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا) قد ذكر هذا في قوله (ثلاث ليال سوياء) وهناك لم يستثن شيئاً والقصة واحدة وهذا يدل على أن الاستثناء منقطع والمعني آيتك ألا تكلم الناس لكن ترمز لهم رمزاً كمنظائره في القرآن قوله (فأوحى اليهم) هو الرمز ولو قدر أن الرمز استثناء متصل لكان قد دخل في الكلام المقيد بالاستثناء كما في قوله (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بذنه ما يشاء) ولا يلزم من ذلك أن يدخل في لفظ الكلام المطلق فليس في لغة القوم أصلاً ما يدل على أن ما في النفس يتناوله لفظ الكلام والقول المطلق فضلا عن التصديق والتكذيب فعلم ان من لم يصدق بلسانه مع القدرة لا يسمى في لغة القوم مؤمناً كما اتفق على ذلك سلف الامة من الصحابة والتابعين لهم باحسان وقول عمر رضي الله عنه زورت في نفسى مقالة أردت أن أقولها حجة عليهم . . قال أبو عبيد التزوير اصلاح الكلام وتهيته قال وقال أبو زيد المزور من الكلام والمروق واحد وهو المصلح الحسن وقال غيره زورت في نفسى مقالة أي هيأتها لأقولها فلفظه يدل على انه قدر في نفسه ما يريد أن يقوله ولم يقله فعلم أنه لا يكون قولاً الا اذا قيل باللسان وقبل ذلك لم يكن قولاً لكن كان مقدرأ في النفس يراد أن يقال كما يقدر الانسان في نفسه أنه يحجج وأنه يصلح وأنه يسافر الي غير ذلك فيكون لما يريد من القول والعمل صورة ذهنية مقدره في النفس ولكن لا يسمى قولاً وعملاً الا اذا وجدت في الخارج كما انه لا يكون حاجاً ومصلياً الا اذا وجدت هذه الافعال في الخارج ولهذا كان ما بهم به المرء من الاقوال المحرمة والافعال المحرمة لا تكتب عليه حتى يقوله ويفعله وما هم به من القول الحسن والعمل الحسن انما يكتب له به حسنة واحدة فاذا صار قولاً وفعلاً كتب له به عشر حسنات الى سبعمائة وعوقب عليه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتى عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل وأما البيت الذي يحكى عن الاخطل أنه قال

ان الكلام لني الفؤاد وانما جعله اللسان على الفؤاد دليلاً

فمن الناس من أنكر أن يكون هذا من شعره وقالوا أنهم فقتشوا دواوينه فلم يجدوه وهذا يروى عن محمد ابن الخشاب وقال بعضهم لفظه أن البيان لني الفؤاد ولو احتج محتج في مسألة بمحدث أخرجه في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم لقالوا هذا خبر واحد ولا أكثر من واحد ولا تلقاه أهل العربية بالقبول وهذا البيت لم يثبت نقله عن قائله باسناد لا واحد ولا أكثر من واحد ولا تلقاه أهل العربية بالقبول فكيف يثبت به أدنى شيء من اللغة فضلاً عن مسمى الكلام ثم يقال مسمى الكلام والقول ونحوهما ليس هو مما يحتاج فيه الى قول شاعر فان هذا مما تكلم به الأولون والآخرون من أهل اللغة وعرفوا معناه في لغتهم كما عرفوا مسمى الرأس واليد والرجل . . . وأيضاً فالناطقون باللغة يحتاج باستعمالهم للألفاظ في معانيها لأن ما يذكرونه من الحدود فان أهل اللغة الناطقين لا يقول أحد منهم أن الرأس كذا واليد كذا والكلام كذا واللون كذا بل ينطقون بهذه الألفاظ دالة على معانيها فتعرف لغتهم من استعمالهم فعلم أن الأخطأ لم يرد بهذا أن يذكر مسمى الكلام ولا أحد من الشعراء يقصد ذلك البتة وانما أراد ان كان قال ذلك مافسره به المفسرون للشعر أي أصل الكلام من الفؤاد وهو المعنى فاذا قال الانسان بلسانه ما ليس في قلبه فلا يثق به وهذا كالأقوال التي ذكرها الله عن المنافقين ذكر أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ولهذا قال

لا يعجبك من أثير خطبة حتى يكون مع الكلام أصيلاً

ان الكلام لني الفؤاد وانما جعله اللسان على الفؤاد دليلاً

نه أن يعجب بقول الظاهر حتى يعلم ما في قلبه من الأصل ولهذا قال حتى يكون مع الكلام أصيلاً وقوله مع الكلام دليل على أن اللفظ الظاهر قد سماه كلاماً وان لم يعلم قيام معناه بقلب صاحبه وهذا حجة عليهم فقد اشتمل شعره على هذا وهذا بل قوله مع الكلام مطلق وقوله ان الكلام لني الفؤاد أراد به أصله ومعناه المقصود به واللسان دليل على ذلك . . . وبالجملة فمن احتاج الي أن يعرف مسمى الكلام في لغة العرب والفرس والروم والترك وسائر أجناس بني آدم بقول شاعر فانه من أبعد الناس عن معرفة طرق العلم ثم هو من المولدين وليس من الشعراء القدماء وهو نصراني كافر مثلث واسمه الاخطأ واخطأ فساد في الكلام وهو نصراني والنصارى قد أخطؤا في مسمى الكلام فجعلوا المسيح القائم بنفسه هو نفس كلمة الله . . . فتبين انه ان كان الايمان في اللغة هو التصديق والقرآن انما أراد به مجرد التصديق الذي هو قول ولم يسم العمل تصديقاً فليس الصواب الا قول المرجحة انه اللفظ والمعنى أو قول الكرامية انه قول باللسان فقط فان تسمية قول اللسان قولاً أشهر في اللغة من تسمية معنى في القلب قولاً كقوله تعالى (ويقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم) وقوله (ومن الناس من يقول آمناً بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) وأمثال ذلك بخلاف ما في النفس فانه انما يسمى حديثاً والكرامية يقولون المنافق مؤمن وهو يخلد في النار لانه آمن ظاهراً لابطناً وانما يدخل الجنة من آمن ظاهراً وباطناً قالوا

والدليل على شمول الإيمان له أنه يدخل في الأحكام الدينية المتعلقة باسم الإيمان كقوله تعالى ( فتحرير رقية مؤمنة ) ويخاطب في الظاهر بالجمعة والظهارة وغير ذلك مما خوطب به الذين آمنوا وأما من صدق بقلبه ولم يتكلم بلسانه فانه لا يعلق به شيء من أحكام الإيمان لاني الدنيا ولا في الآخرة ولا يدخل في خطاب الله لعباده بقوله ( يا أيها الذين آمنوا ) فعلم أن قول الكرامية في الإيمان وان كان باطلا مبتدعا لم يسبقهم إليه أحد فقول الجهمية أبطل منه وأولئك أقرب الي الاستدلال باللغة والقرآن والعقل من الجهمية . . . والكرامية توافق المرجئة والجهمية في أن إيمان الناس كلهم سواء ولا يستثنون في الإيمان بل يقولون هو مؤمن حقاً لمن أظهر الإيمان واذا كان منافقاً فهو مخلد في النار عندهم فانه انما يدخل الجنة من آمن باطناً وظاهراً ومن حكي عنهم انهم يقولون المنافق يدخل الجنة فقد كذب عليهم بل يقولون المنافق مؤمن لان الإيمان هو القول الظاهر كما يسميه غيرهم مسلم اذا الاسلام الاستسلام للظاهر ولا ريب أن قول الجهمية أفسد من قولهم من وجوه متعددة شرعا ولغة وعقلا . . . واذا قيل قول الكرامية قول خارج عن اجماع المسلمين . . . قيل وقول جهم في الإيمان قول خارج عن اجماع المسلمين قبله بل السلف كفروا من يقول بقول جهم في الإيمان . . . وقد احتج الناس على فساد قول الكرامية بجميع صحيحة والحجج من جنسها على فساد قول الجهمية أكثر مثل قوله تعالى ( ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين ) قالوا فقد نفي الله الإيمان عن المنافقين . . . فنقول هذا حق فان المنافق ليس بمؤمن وقد ضل من سماه مؤمناً وكذلك من قام بقلبه علم وتصديق وهو يجحد الرسول ويعاديه كاليهود وغيرهم سماهم الله كفاراً لم يسمهم مؤمنين قط ولا دخلوا في شيء من أحكام الإيمان بخلاف المنافق فانه يدخل في أحكام الإيمان الظاهرة في الدنيا بل قد نفي الله الإيمان عن من قال بلسانه وقلبه اذا لم يعمل كما قال تعالى ( قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ) الي قوله ( انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بما وهبهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ) فنفي الإيمان عن سوي هؤلاء وقال تعالى ( ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولي فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ) والتولي هو التولي عن الطاعة كما قال تعالى ( ستدعون الي قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فان طيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً وان تشولوا كما توليتم من قبل يعدبكم عذاباً أليماً ) وقال تعالى ( فلا صدق ولا صلي ولكن كذب وتولي ) فعلم أن التولي ليس هو التكذيب بل هو التولي عن الطاعة فان الناس عليهم أن يصدقوا الرسول فيما أخبر ويطيعوه فيما أمر وضد التصديق التكذيب وضد الطاعة التولي فلماذا قال ( فلا صدق ولا صلي ولكن كذب وتولي ) وقد قال تعالى ( ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولي فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ) فنفي الإيمان عن تولى عن العمل وان كان قد أتى بالقول وقال تعالى ( انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ) وقال ( انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ) ففي القرآن والسنة من نفي الإيمان عن من يأت بالعمل مواضع كثيرة كما نفي فيها الإيمان عن المنافق وأما العالم بقلبه مع المعادة

والمخالفة الظاهرة فهذا لم يسم قط مؤمناً وعند الجهمية اذا كان العلم في قلبه فهو مؤمن كامل الايمان ايمانه  
كايان النبيين ولو قال وعمل ماذا عسى أن يقول ويعمل ولا يتصور عندهم أن ينتفي عنه الايمان الا اذا  
زال ذلك العلم من قلبه . . ثم أكثر المتأخرين الذين نصرنا قول جهم يقولون بالاستثناء في الايمان ويقولون  
الايمان في الشرع هو ما يوافي به العبد ربه وان كان في اللغة أعم من ذلك فجعلوا في مسألة الاستثناء مسمي  
الايمان مادعوا انه مسماه في الشرع وعدلوا عن اللغة فهلا فعلوا هذا في الاعمال ودلالة الشرع على أن  
الاعمال الواجبة من تمام الايمان لا تخصي كثيرة بخلاف دلالة على انه لا يسمي ايماناً الا مامت الرجل عليه  
فانه ليس في الشرع ما يدل على هذا وهو قول محدث لم يقله أحد من السلف لكن هؤلاء ظنوا أن الذين  
استثنوا في الايمان من السلف كان هذا مأخذهم لان هؤلاء وأمثالهم لم يكونوا خبيرين بكلام السلف  
بل ينصرون ما يظهر من أقوالهم بما تلقوه عن المتكلمين من الجهمية ونحوهم من أهل البدع فيبقى الظاهر  
قول السلف والباطن قول الجهمية الذين هم أفسد الناس مقالة في الايمان وسنذكر ان شاء الله أقوال  
السلف في الاستثناء ولهذا لما صار يظهر لبعض أتباع أبي الحسن فساد قول جهم في الايمان خالفه كثير  
منهم فمنهم من أتبع السلف . . قال أبو القاسم الانصاري شيخ الشهرستاني في شرح الارشاد لابي المعالي  
بعد أن ذكر قول أصحابه قال وذهب أهل الاثر الى أن الايمان جميع الطاعات فرضها ونفلها وعبروا عنه  
بانه آتيان مأمراً لله به فرضاً ونفلاً والانهاء عما نهى عنه تحريماً وادباً وقال وبهذا كان يقول أبو علي  
الثقفي من متقدمي أصحابنا وأبو العباس القلانسي وقدمال الى هذا المذهب أبو عبد الله بن مجاهد قال  
وهذا قول مالك بن أنس امام دار الهجرة ومعظم أئمة السلف رضوان الله عليهم أجمعين وكانوا يقولون  
الايمان معرفة بالقلب وقرار باللسان وعمل بالركان ومنهم من يقول بقول المرجئة انه التصديق بالقلب  
واللسان ومنهم من قال اذا ترك التصديق باللسان عناداً كان كافراً بالشرع وان كان في قلبه التصديق والعلم  
وكذلك قال أبو اسحاق الاسفرائيني . . قال الانصاري رأيت في تصانيفه ان المؤمن انما يكون مؤمناً  
حقاً اذا حقق ايمانه بالاعمال الصالحة كما أن العالم انما يكون عالماً حقاً اذا عمل بما علم واستشهد بقول الله  
تعالى ( انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً ) الى قوله  
( أولئك هم المؤمنون حقاً ) . . وقال أيضاً أبو اسحاق حقيقة الايمان في اللغة التصديق ولا يتحقق ذلك  
الا بالمعرفة والاثبات وتقوم الاشارة والالتقياد مقام العبارة . . وقال أيضاً أبو اسحاق في كتاب الاسماء  
والصفات اتفقوا على أن ما يستحق به المكلف اسم الايمان في الشريعة أوصاف كثيرة وعقائد مختلفة وان  
اختلفوا فيها على تفصيل ذكره واختلفوا في اضافة مالا يدخل في جملة التصديق اليه لصحة الاسم فمنها  
ترك قتل الرسول وترك إيذائه وترك تعظيم الاصنام فهذا من التروك ومن الافعال نصره الرسول والذب  
عنه وقالوا ان جميعه يضاف الى التصديق شرعاً وقال آخرون انه من الكبائر لا يخرج المرء بالمخالفة فيه  
عن الايمان . . قلت وهذا القولان ليسا قول جهم لكن من قال ذلك فقد اعترف بانه ليس مجرد  
تصديق القلب وليس هو شيئاً واحداً وقال ان الشرع تصرف فيه وهذا اهم أصلهم ولهذا كان حنذاً

هؤلاء كجهنم والصالحى وأبى الحسن والقاضى أبى بكر على انه لا يزول عنه اسم الايمان الا بزوال العلم من قلبه قال أبو المعالى باب في ذكر الاسماء والاحكام

اعلم أن غرضنا في هذا الباب يستدعى تقديم ذكر حقيقة الايمان قال وهذا مما تباينت فيه مذاهب الاسلاميين ثم ذكر قول الخوارج والمعتزلة والكرامية ثم قال وأما مذاهب أصحابنا فصار التحقيق من أصحاب الحديث والنظار منهم الى أن الايمان هو التصديق وبه قال شيخنا أبو الحسن رحمة الله عليه واختلف رأيه في معنى التصديق فقال مرة هو المعرفة بوجوده وقدمه وإلهيته وقال مرة التصديق قولك في النفس غير أنه يتضمن المعرفة ولا يصح أن يوجد دونها وهذا مقتضاه فان التصديق والتكذيب والصدق والكذب بالاقوال أجدر فالتصديق اذا قول في النفس يعبر عنه باللسان فتوصف العبادة بانها تصديق لانها عبارة عن التصديق قال وقال بعض أصحابنا التصديق لا يتحقق إلا بالقول والصدق جميعاً فاذا اجتمعا كانا تصديقاً واحداً ومنهم من اكتفى بترك الغناد فلم يجعل الأقرار أحد ركني الايمان فيقول الايمان هو التصديق بالقلب وأوجب ترك الغناد بالشرع وعلى هذا الاصل يجوز أن يعرف الكافر الله وانما يكفر بالغناد لانه ترك ما هو الاهم في الايمان وعلى هذا الاصل يقال إن اليهود كانوا عالمين بالله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا أنهم كفروا عناداً وبنفياً وحسداً وعلى قول شيخنا أبى الحسن كل من حكمتنا بكفره فنقول انه لا يعرف الله أصلاً ولا عرف رسوله ولا دينه قال أبو القاسم الانصارى تلميذه كان المعنى لاحكم لايمانه ولا لمعرفته شرعاً قلت وليس الامر على هذا القول كما قاله الانصارى هذا ولكن على قولهم المعاند كافر شرعاً فيجعل الكفر تارة بانتفاء الايمان الذى في القلب وتارة بالغناد ويجعل هذا كافرأ في الشرع وان كان معه حقيقة الايمان الذى هو التصديق ويلزمه أن يكون كافرأ في الشرع مع أن معه الايمان الذى هو مثل إيمان الانبياء والملائكة والحقاق في هذا المذهب كأبى الحسن والقاضى ومن قبلهم من أتباع جهنم عرفوا أن هذا تناقض يفسد الاصل فقالوا لا يكون واحد كافر إلا اذا ذهب ما في قلبه من التصديق والتزموا أن كل من حكم الشرع بكفره فانه ليس في قلبه شيء من معرفة الله ولا معرفة رسوله ولهذا أنكروا هذا عليهم جماهير العقلاء وقالوا هذا مسكارة وسفسطة وقد اجتجوا على قولهم بقوله تعالى (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) الى قوله (أولئك كتب في قلوبهم الايمان) الآية قالوا ومفهوم هذا إن لم يعمل بمقتضاه لم يكتب في قلوبهم الايمان • قالوا فان قيل معناه لا يؤمنون إيماناً مجزئاً معتداً به أو يكون المعنى لا يوادون حقوق الايمان ولا يعملون بمقتضاه • قلنا هذا عام لا يخص الا بدليل فيقال لهم هذه الآية فيها نفى الايمان عن يواد المحادين لله ورسوله وفيه أن من لا يواد المحادين لله ورسوله فان الله كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه وهذا يدل على مذهب السلف أنه لا بد في الايمان من محبة القلب لله ورسوله ومن بغض من يحاد الله ورسوله ثم لم تدل الآية على أن العلم الذى في قلوبهم بأن محمداً رسول الله يرتفع لا يبقى منه شيء والايمان الذى كتب ليس هو مجرد العلم والتصديق بل هو تصديق القلب وعمل القلب ولهذا

قال ( وأيدهم بروح منه ويُدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ) فقد وعدهم بالجنة وقد اتفق الجميع على ان الوعد بالجنة لا يكون الا مع الايمان بالأمور به وترك المحظور فعلم أن هؤلاء الذين كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه قد أدوا الواجبات التي بها يستحقون ما وعد الله به الأبرار المتقين ودل هذا على أن الفساق لم يدخلوا في هذا الوعد ودلت هذه الآية على أنه لا يوجد مؤمن يواد الكفار ومعلوم أن خلقا كثيرا من الناس يعرف من نفسه أن التصديق في قلبه لم يكذب الرسول وهو مع هذا يواد بعض الكفار فالسلف يقولون ترك الواجبات الظاهرة دليل على انقضاء الايمان الواجب من القلب لكن قد يكون ذلك بزوال عمل القلب الذي هو حب الله ورسوله وخشيته الله ونحو ذلك لا يستلزم أن لا يكون في القلب من التصديق شيء وعند هؤلاء كل من نفي الشرع إيمانه دل على أنه ليس في قلبه شيء من التصديق أصلاً وهذا سفسطة عند جاهل العقلاء وكذلك حكى ابن فورك عن أبي الحسن قال الايمان هو اعتقاد صدق الخبر فيما يخبر به اعتقاداً هو علم ومنه ليس بعلم والايمان بالله وهو اعتقاد صدقه إنما يصح إذا كان عالماً بصدقه في أخباره وإنما يكون كذلك إذا كان عالماً بأنه يتكلم والعلم بأنه متكلم بعد العلم بأنه حي والعلم بأنه حي بعد العلم بأنه فاعل والعلم بأنه فاعل بعد العلم بالفعل وهو كون العالم فعلاً له قال وكذلك يتضمن العلم بكونه قادراً وله قدرة وعالماً وله علم ومريداً وله إرادة وسائر ما لا يصح العلم بالله الا بعد العلم به من شرائط الايمان . . قلت هذا مما اختلف فيه قول الاشعري وهو أن الجهل ببعض الصفات هل يكون جهلاً بالموصوف أم لا على قولين والصحيح الذي عليه الجمهور وهو آخر قوليه أنه لا يستلزم الجهل بالموصوف وجعل إثبات الصفات من الايمان مما خالف فيه الاشعري جهماً فإن جهماً غالي في نفي الصفات بل وفي نفي الاسماء قال أبو الحسن السمع ورد بضم شرائط اخر اليه وهو أن لا يقترب به ما يدل على كفر من يأتيه فعلاً وتركاً وهو أن الشرع أمره بترك العبادة والسجود للضم فلو أتى به دل على كفره وكذلك من قتل نبياً أو استخف به دل على كفره وكذلك لو ترك تعظيم المصحف والكعبة دل على كفره قال واحد ما استدللنا به على كفره ما منع الشرع أن يقرنه بالايمان أو أوجب ضمه الى الايمان لو وجد دلنا ذلك على أن التصديق الذي هو الايمان مفقود من قلبه وكذلك كل ما كفر به المخالف من طريق التأويل فانما كفرناه به لدلالته على ما فقد ما هو ايمان من قلبه لاستحالة أن يقضى السمع بكفر من معه الايمان والتصديق بقلبه فيقال لا ريب أن الشارع لا يقضى بكفر من معه الايمان بقلبه لكن دعواكم أن الايمان هو التصديق وان تجرد عن جميع أعمال القلب غلط ولهذا قالوا أعمال التصديق والمعرفة من قلبه ألا ترى أن الشريعة حكمت بكفره والشريعة لا تحكم بكفر المؤمن المصدق ولهذا نقول ان كفر ابليس لعنه الله كان أشد من كفر كل كافر وانه لم يعرف الله بصفاته قطعاً ولا آمن به إيماناً حقيقياً باطنياً وان وجد منه القول والعبادة وكذلك اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم من الكفرة لم يوجد في قلوبهم حقيقة الايمان المعتد به في حال حكمنا لهم

بالكفر قال الله تعالى ( ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ) وقوله ( فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ) الآية فجعل الله هذه الامور شرطاً في ثبوت حكم الايمان فثبت أن الايمان المعرفة بشرائط لا يكون معتدا به دونها . . فيقال ان قلتم انه ضم الى معرفة القلب شروطاً في ثبوت الحكم أو الاسم لم يكن هذا قول جمهور بل يكون هذا قول من جعل الايمان كالصلاة والحج هو وان كان في اللغة بمعنى القصد والدعاء لكن الشارع ضم اليه أموراً اما في الحكم وأما في الحكم والاسم وهذا القول قد سلم صاحبه ان حكم الايمان المذكور في الكتاب والسنة لا يثبت بمجرد تصديق القلب بل لا بد من تلك الشرائط وعلى هذا لا يمكنه جعل الفاسق مؤمناً الا بدليل يدل على ذلك لا بمجرد قول ان معه تصديق القلب ومن جعل الايمان هو تصديق القلب يقول كل كافر في النار ليس معه من التصديق بالله شيء الا مع ابليس ولا مع غيره وقد قال الله تعالى ( واذ نتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد ) وقال تعالى ( وسيق الذين كفروا الى جهنم زمراً حتى اذا جاؤا فتمتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ) فقد اعترفوا بأن الرسل أتتهم وتلت عليهم آيات ربهم وأنذرتهم لقاء يومهم هذا فقد عرفوا الله ورسوله واليوم الآخر وهم في الآخرة كفار وقال تعالى ( كلا أتي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ) فقد كذبوا بوجوده وكذبوا بتزييه وأما في الآخرة فعرّفوا الجميع وقال تعالى ( ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ) وقال تعالى ( وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ) الى قوله ( لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ) الى آيات أخر كثيرة تدل على ان الكفار في الآخرة يعرفون ربهم فان كان مجرد المعرفة ايمانا كانوا مؤمنين في الآخرة . . فان قالوا الايمان في الآخرة لا ينفذ وانما الثواب على الايمان في الدنيا . . قيل هذا صحيح لكن اذا لم يكن الايمان الا مجرد العلم فهذه الحقيقة لا تختلف فان لم يكن العمل من الايمان فالعارف في الآخرة لم يفته شيء من الايمان لكن أكثر ما يدعونه انه حين مات لم يكن في قلبه من التصديق بالرب شيء ونصوص القرآن في غير موضع تدل على ان الكفار كانوا في الدنيا مصدقين بالرب حتى فرعون الذي أظهر التكذيب كان في باطنه مصدقاً قال تعالى ( ووجدوها بها واستيقنتها أنفسهم ظاناً وعلواً ) وكما قال موسى لفرعون ( لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر ) ومع هذا لم يكن مؤمناً بل قال موسى ( ربنا اطمس على أموالهم وأشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ) قال الله ( قد أجيب دعوتك ) ولما قال فرعون ( آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل ) قال الله ( الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ) فوصفه بالمعصية لم يصفه بعدم العلم في الباطن كما قال ( فعصى فرعون الرسول ) وكما قال عن ابليس ( فسجد الملائكة كلهم

أجمعون الا ابليس أبي واستكبر وكان من الكافرين ) فلم يصفه الا بالاباء والاستكبار ومعارضته الامر لم يصفه بعدم العلم وقد أخبر الله عن الكفار أنهم كانوا معترفين بالصانع في مثل قوله ( ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ) ثم يقال لهم اذا قلتم هو التصديق بالقلب أو باللسان أو بهما فهل هو التصديق الجمل أو لا بدفيه من التفصيل فلو صدق ان محمداً رسول الله ولم يعرف صفات الحق هل يكون مؤمناً أم لا فان جعلوه مؤمناً قيل فاذا باعته ذلك فكذب به لم يكن مؤمناً باتفاق المسلمين فصار بعض الايمان أكمل من بعض وان قالوا لا يكون مؤمناً لزمهم ان لا يكون أجد مؤمناً حتى يعرف تفصيل كل ما أخبر به الرسول ومعلوم ان أكثر الامة لا يعرفون ذلك وعندهم الايمان لا يتفاضل الا بالدوام فقط قال أبو المعالي . فان قال القائل أصلكم يلزمكم ان يكون ايمان المنتهك في فسقه كايان النبي صلى الله عليه وسلم . قلنا الذي يفضل ايمانه على ايمان من عداه باستمرار تصديقه وعصمة الله إياه من مخامرة الشكوك واختلاج الريب والتصديق عرض من الاعراض لا يبقى وهو متوال للنبي صلى الله عليه وسلم ثابت لغيره في بعض الاوقات وزائل عنه في أوقات الفترات فيثبت للنبي صلى الله عليه وسلم أعداد من التصديق ولا يثبت لغيره الا بعضها فيكون ايمانه لذلك أكثر وأفضل قال ولو وصف الايمان بالزيادة والنقصان وأريد به ذلك كان مستقيماً قلت فهذا هو الذي يفضل به النبي غيره في الايمان عندهم ومعلوم ان هذا في غاية الفساد من وجوه كثيرة كما قد بسط في مواضع آخر

(فصل) قال الذين نصرُوا مذهب جهم في الايمان من المتأخرين كالقاضي أبي بكر وهذا لفظه فان قال قائل وما الاسلام عندهم قيل له الاسلام الانقياد والاستسلام فكل طاعة انقاد العبيد بها لربه واستسلم فيها لامره فهي اسلام والايمان خصلة من خصال الاسلام وكل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمانا فان قال فلم قلتم ان معنى الاسلام ما وصفتم قيل لاجل قوله تعالى ( قالت الاعراب آمننا ولمكن قولوا أسلمنا ) فنفي عنهم الايمان وأثبت لهم الاسلام وانما أراد بما أثبتته الانقياد والاستسلام ومنه القوا اليكم السلم وكل من استسلم لشيء فقد أسلم وان كان أكثر ما يستعمل ذلك في المستسلم لله ولنبيه . قلت وهذا الذي ذكره مع بطلانه ومخالفته للكتاب والسنة هو تناقض فانهم جعلوا الايمان خصلة من خصال الاسلام فالطاعات كلها اسلام وليس فيها ايمان الا التصديق والمرجئة وان قالوا ان الايمان تضمن الاسلام فهم يقولون الايمان هو تصديق القلب واللسان وأما الجهمية فيجعلونه تصديق القلب فلا تكون الشهادتان ولا الصلوة ولا الزكوة ولا غيرهن من الايمان وقد تقدم ما بينه الله ورسوله من ان الاسلام داخل في الايمان فلا يكون الرجل مؤمناً حتى يكون مسلماً كما ان الايمان داخل في الاحسان فلا يكون محسناً حتى يكون مؤمناً . . . وأما التناقض فانهم اذا قالوا الايمان خصلة من خصال الاسلام كان من أتى بالايمان انما أتى بخصلة من خصال الاسلام لا بالاسلام الواجب جميعه فلا يكون مسلماً حتى يأتي بالاسلام كله كما لا يكون عندهم مؤمناً حتى يأتي بالايمان كله والا فن أتى ببعض الايمان عندهم لا يكون مؤمناً ولا فيه شيء من الايمان فكذلك يجب ان يقولوا في الاسلام وقد قالوا كل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمانا وهذا

ان أرادوا به ان كل ايمان هو الاسلام الذي أمر الله به ناقض قولهم ان الايمان خصلة من خصاله فجعلوا  
 الايمان بعضه ولم يجعلوه اياه وان قالوا كل ايمان فهو اسلام أي هو طاعة لله وهو جزء من الاسلام  
 الواجب وهذا مرادهم قيل لهم فعلى هذا يكون الاسلام متعددا بتعدد الطاعات وتكون الشهادتان  
 وحدهما اسلاما والصلاة وحدهما اسلاماً والنزكاة اسلاماً بل كل درهم تعطيه للفقير اسلاما وكل سجدة  
 اسلاما وكل يوم تصومه اسلاما وكل تسبيحة تسبحتها في الصلاة أو غيرها اسلاما ثم المسلم ان كان  
 لا يكون مسلماً الا بفعل كل ما سميتموه اسلاما لزم أن يكون الفساق ليسوا مسلمين مع كونهم مؤمنين  
 فجعلتم المؤمنين الكاملى الايمان عندكم ليسوا مسلمين وهذا شر من قول الكرامية ويلزم ان الفساق  
 من أهل القبلة ليسوا مسلمين وهذا شر من قول الخوارج والمعتزلة وغيرهم بل وأن يكون من ترك  
 التطوعات ليس مسلماً اذ كانت التطوعات طاعة لله ان جعلتم كل طاعة فرضاً أو نفلا اسلاماً ثم هذا  
 خلاف ما احتججتم به من قوله للأعراب لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا فأنبت لهم الاسلام دون الايمان  
 وأيضاً فاخرجكم الفساق من اسم الاسلام ان أخرجتموهم أعظم شناعة من اخراجهم من اسم الايمان  
 فوقهم في أعظم ما عبتموه على المعتزلة فان الكتاب والسنة ينفي عنهم اسم الايمان أعظم مما ينفي اسم الاسلام  
 واسم الايمان في الكتاب والسنة أعظم وان قلتم بل كل من فعل طاعة سمي مسلماً لزم أن يكون من  
 فعل طاعة من الطاعات ولم يتكلم بالشهادتين مسلماً ومن صدق بقلبه ولم يتكلم بلسانه أن يكون مسلماً  
 عندكم لأن الايمان عندكم اسلام فمن أي به فقد أتى بالاسلام فيكون مسلماً عندكم من تكلم بالشهادتين  
 ولا أتى بشيء من الاعمال واحتجاجكم بقوله (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) قلتم  
 نفى عنهم الايمان وأثبت لهم الاسلام . . فيقال هذه الآية حجة عليكم لانه لما أثبت الاسلام مع انتفاء  
 الايمان دل ذلك على أن الايمان ليس بجزء من الاسلام اذ لو كان بعضه لما كانوا مسلمين ان لم يأتوا به وان  
 قلتم أردنا يقولنا أثبت لهم الاسلام أي اسلاماً فان كل طاعة من الاسلام اسلام عندنا لزمكم ما تقدم من  
 أن يكون صوم يوم اسلاما وصدقة درهم اسلاما وأمثال ذلك وهم يقولون كل مؤمن مسلم وليس كل  
 مسلم مؤمناً قالوا هذا من حيث الاطلاق والا فالتمصيل ما ذكرناه من أن الايمان خصلة من خصال  
 الاسلام والدين وليس هو جميع الاسلام والدين فان الاسلام هو الاستسلام لله بفعل كل طاعة  
 وقعت موافقة للأمر والايمان أعظم خصلة من خصال الاسلام واسم الاسلام شامل لكل طاعة اتقاد  
 بها العبد لله من ايمان وتصديق وفرض سواء ونفل غير انه لا يصح التقرب بفعل ما عدا الايمان  
 من الطاعات دون تقديم فعل الايمان قالوا والدين مأخوذ من التدين وهو قريب من الاسلام في  
 المعنى . . فيقال لهم اذا كان هذا قولهم فقولكم كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً يناقض هذا  
 فان المسلم هو المطيع لله ولا تصح الطاعة من أحد الا مع الايمان فيمتنع أن يكون أحد فعلاً شيئاً من  
 الاسلام الا وهو مؤمن ولو كان ذلك أدنى الطاعات فيجب أن يكون كل مسلم مؤمناً سواء أريد بالاسلام  
 فعل جميع الطاعات أو فعل واحدة منها وذلك لا يصح كله الا مع الايمان وحينئذ فالآية حجة عليكم

لايكن ثم قولكم كل مؤمن مسلم وانكم تريدون بالايمان تصديق القلب فقط فيلزم أن يكون الرجل مسلماً ولو لم يتكلم بالشهادتين ولا أتى بشيء من الاعمال المأمور بها وهذا ما يعلم بطلانه بالضرورة من دين الاسلام بل عامة اليهود والنصارى يعلمون ان الرجل لا يكون مسلماً حتى يأتي بالشهادتين أو ما يقوم مقامهما وقولكم كل مؤمن مسلم لا تريدون انه أتى بالشهادتين ولا بشيء من المباني الخمس بل أتى بما هو طاعة وتلك طاعة باطنة وليس هذا هو المسلم المعروف في الكتاب والسنة ولا عند الأئمة الاولين والآخرين ثم استدلتهم بالآية والاعراب انما أتوا باسلام ظاهر نطقوا فيه بالشهادتين سواء كانوا صادقين أو كاذبين فأثبت الله لهم الاسلام دون الايمان فيظن من لا يعرف حقيقة الامران هذا هو قول السلف الذي دل عليه الكتاب والسنة من أن كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً وبينهما من الشبان أعظم مما بين قول السلف وقول المعتزلة في الايمان والاسلام فان قول المعتزلة في الايمان والاسلام أقرب من قول الجهمية بكثير ولكن قولهم في تخليد أهل القبلة أبعد عن قول السلف من قول الجهمية فالمتأخرون الذين نصروا قول جهم في مسألة الايمان يظهرون قول السلف في هذا وفي الاستثناء وفي انتفاء الايمان الذي في القلب حيث نفاه القرآن ونحو ذلك وذلك كله موافق للسلف في مجرد اللفظ والا فقولهم في غاية المباني لقول السلف ليس في الاقوال أبعد عن السلف منه وقول المعتزلة والحوارج والكرامية في اسم الايمان والاسلام أقرب الى قول السلف من قول الجهمية لكن المعتزلة والحوارج يقولون بخليد العصاة وهذا أبعد عن قول السلف من كل قول فهم أقرب في الاسم وأبعد في الحكم والجهمية وان كانوا في قولهم بأن الفساق لا يخلدون أقرب في الحكم الى السلف فقولهم في مسمى الاسلام والايمان وحقيقتهما أبعد من كل قول عن الكتاب والسنة وفيه من مناقضة العقل والشرع واللغة ما لا يوجد مثله لغيرهم

( فصل ) وما يدل من القرآن على أن الايمان المطلق مستلزم للاعمال قوله تعالى ( انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون ) ففي الايمان عن غير هؤلاء فمن كان اذا ذكر بالقرآن لا يفعل ما فرضه الله عليه من السجود لم يكن من المؤمنين وسجود الصلوات الخمس فرض باتفاق المسلمين وأما سجود التلاوة ففيه نزاع وقد يحتج بهذه الآية من يوجبها لكن ليس هذا موضع بسط هذه المسئلة فهذه الآية مثل قوله ( انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ) وقوله ( انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ) وقوله ( انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ) ومن ذلك قوله تعالى ( عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ) وهذه الآية مثل قوله ( لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ) وقوله ( ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ) بين سبحانه ان الايمان له لوازم وله أضداد موجودة يستلزم ثبوت لوازمه وانتفاء

أضداده ومن أضداده موادة من حاد الله ورسوله ومن أضداده استئذانه في ترك الجهاد ثم صرح بان استئذانه انما يصدر من الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ودل قوله والله عليم بالمتقين على أن المتقين هم المؤمنون ٠٠ ومن هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وقوله لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه وقوله لا تؤمنوا حتى تحابوا وقوله لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين وقوله لا يؤمن أحدكم حتى يحب لآخيه من الخير ما يحب لنفسه وقوله من غشنا فليس منا ومن حمل علينا السلاح فليس منا

(فصل) وأما اذا قيد الايمان فقرن بالاسلام أو بالعمل الصالح فانه قد يراد به مافى القلب من الايمان باتفاق الناس وهل يراد به أيضاً المعطوف عليه ويكون من باب عطف الخاص على العام أو لا يكون حين الاقتران داخل في مسماه بل لا يكون لازماً له على مذهب أهل السنة لا يكون بعضاً ولا لازماً هذا فيه ثلاثة أقوال للناس كما سيأتي ان شاء الله وهذا موجود في عامة الاسماء يتنوع مساهما بالاطلاق والتقييد مثال ذلك اسم المعروف والمنكر اذا أطلق كما في قوله تعالى ( يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ) وقوله ( كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ) وقوله ( والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ) يدخل في المعروف كل خير وفي المنكر كل شر ثم قد يقرن بما هو أخص منه كقوله ( لاخير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ) فغاير بين المعروف وبين الصدقة والإصلاح بين الناس كما غاير بين اسم الايمان والعمل واسم الايمان والاسلام وكذلك قوله تعالى ( ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ) غاير بينهما وقد دخلت الفحشاء في المنكر في قوله ( وينهى عن المنكر ) ثم ذكر مع المنكر اثنين في قوله ( ان الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ) جاء البغى هنا مغايراً لهما وقد دخل في المنكر في ذينك الموضوعين ٠٠ ومن هذا الباب لفظ العبادة فاذا أمر بعبادة الله مطلقاً دخل في عبادته كل ما أمر الله فالتوكل عليه مما أمر به والاستعانة به مما أمر به فيدخل ذلك في مثل قوله ( وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ) وفي قوله ( واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ) وقوله ( يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم ) وقوله ( انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ) قل الله أعبد مخلصاً له ديني ) وقوله ( أغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ) ثم قد يقرن بها اسم آخر كما في قوله ( اياك نعبد و اياك نستعين ) وقوله ( فاعبده وتوكل عليه ) وقول نوح ( اعبدوا الله واتقوه وأطيعوني ) وكذلك اذا أفرد اسم طاعة الله دخل في طاعته كل ما أمر به وكانت طاعة الرسول داخلة في طاعته وكذا اسم التقوى اذا أفرد دخل فيه فعل كل ما أمر به وترك كل محظور قال طلق بن حبيب التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو رحمة الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عذاب الله وهذا كما في قوله ( ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ) وقد يقرن بها اسم آخر كقوله ( ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ) وقوله ( انه من يتق

ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين) وقوله (واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام) وقوله (اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً) وقوله (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) وقوله (اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون) وأمثال ذلك فقوله (اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً) مثل قوله (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) وقوله (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) فعطف قولهم على الايمان كما عطف القول السديد على التقوي ومعلوم أن التقوي اذا أطلقت دخل فيها القول السديد وكذلك الايمان اذا أطلق دخل فيه السمع والطاعة لله ولرسوله وكذلك قوله آمنوا بالله ورسوله واذا أطلق الايمان بالله في حق أمة محمد دخل فيه الايمان بالرسول وكذلك قوله كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واذا أطلق الايمان بالله دخل فيه الايمان بهذه التوابع وكذلك قوله (والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) وقوله (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم) الآية واذا قيل في قوله (آمنوا بالله ورسوله النبي الامي) دخل في الايمان برسوله الايمان بجميع الكتب والنبيين وكذلك اذا قيل (آمنوا بالله ورسوله يؤتكم كفلين من رحمته) واذا قيل آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) دخل في الايمان بالله ورسوله الايمان بذلك كله والانفاق يدخل في قوله في الآية الاخرى آمنوا بالله ورسوله كما يدخل القول السديد في مثل قوله (ولقد وصينا الذين أتوا الكتاب وكذلك لفظ البر اذا أطلق تناول جميع ما أمر الله به كما في قوله) ان الابرار لني نعيم وان الفجار لني جحيم) وقوله (ولكن البر من اتقى) وقوله (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيك والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) فالبر اذا أطلق كان مسماه مسمى التقوي والتقوي اذا أطلقت كان مسماها مسمى البر ثم قد يجمع بينهما كما في قوله تعالي (وتعاونوا على البر والتقوي) وكذلك لفظ الاثم اذا أطلق دخل فيه كل ذنب وقد يقرن بالعدوان كما في قوله تعالي (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) وكذلك لفظ الذنوب اذا أطلق دخل فيه ترك كل واجب وفعل كل محرم كما في قوله (ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً) ثم قد يقرن بغيره كما في قوله (ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرفنا في أمرنا) وكذلك لفظ الهدى اذا أطلق تناول العلم الذى بعث الله به رسوله والعمل به جميعاً فيدخل فيه كل ما أمر به كما في قوله (اهدنا الصراط المستقيم) والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جميعاً وكذلك قوله هدى للمتقين المراد به أنهم يعملون ما فيه ويعملون به ولهذا صاروا مفلحين وكذلك قول أهل الجنة (الحمد لله الذي هدانا لهذا) وانما هداهم بان أهمهم العلم النافع والعمل الصالح ثم قد يقرن الهدى اما بالاجتباء كما في قوله (واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم) وكما في قوله شاكرًا لأنعمه اجتباء وهداه (الله يجتبي اليه من يشاء ويهدى اليه من يئيب) وكذلك قوله تعالي (هو الذى أرسل رسوله

بالهدى ودين الحق) والهدى هنا الايمان ودين الحق هو الاسلام واذا أطلق الهدى كان كالايمان المطلق  
 يدخل فيه هذا وهذا ولفظ الضلال اذا أطلق تنازل من ضل عن الهدى سواء كان عمدا أو جهلا ولزم  
 أن يكون معذبا كقوله (انهم ألقوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم بهرعون) وقوله (ربنا انا طعننا ساداتنا  
 وكبراءنا فاضلونا السبيلا ربنا آثم ضعفين من العذاب والغنم لعنا كبيرا) وقوله (فمن أتبع هداى فلا  
 يضل ولا يشقى) ثم يقرن بالني أو الغضب كما فى قوله (ماض صاحبكم وما غوى) وفي قوله (غير المغضوب  
 عليهم ولا الضالين) وقوله (ان المجرمين فى ضلال وسعر) وكذلك لفظ النى اذا أطلق تناول كل معصية  
 لله كما فى قوله عن الشيطان (لا غوينهم أجمعين الا عبادة منهم المحاصن) وقد يقرن بالضلال كما فى قوله (ماض  
 صاحبكم وما غوى) • وكذلك اسم الفقير اذا أطلق دخل فيه المسكين واذا أطلق لفظ المسكين تناول  
 الفقير واذا قرن بينهما فاحدهما غير الآخر فالاول كقوله (وان تحنوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم)  
 وقوله (فكفارتها اطعام عشرة مساكين) والثاني كقوله (انما الصدقات للفقراء والمساكين) وهذه الاسماء  
 التي تختلف دلالتها بالاطلاق والتقييد والتجريد والاقتران تارة يكونان اذا أفرد أحدهما أعم من ذلك  
 الآخر كاسم الايمان والمعروف مع العمل ومع الصدق وكل منكر مع الفحشاء ومع البنى ونحو ذلك وتارة  
 يكونان متساويين فى العموم والخصوص كلفظ الايمان والبر والتقوى ولفظ الفقير والمسكين فايها أطلق  
 تناول ما يتناول الآخر وكذلك لفظ التلاوة فانها اذا أطلقت فى مثل قوله (الذين آتيناهم الكتاب يتلون  
 حق تلاوته) تناولت العمل به كما فسره بذلك الصحابة والتابعون مثل ابن مسعود وابن عباس ومجاهد  
 وغيرهم قالوا يتلون حق تلاوته يتبعونه حق اتباعه فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه  
 ويؤمنون بمشابهه وقيل هو من التلاوة بمعنى الاتباع كقوله (والقمر اذا تلاها) وهذا يدخل فيه من  
 لم يقرأ وقيل بل من تمام قراءته أن يفهم معناه ويعمل به كما قال أبو عبد الرحمن السلمى حدثنا الذين  
 كانوا يقرؤنا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله  
 عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً وقوله  
 (الذين آتيناهم الكتاب يتلون حق تلاوته قد فسر بالقرآن وفسر بالتوراة وروى محمد بن نصر باسناده الثابت  
 عن ابن عباس (يتلون حق تلاوته) قال يتبعونه حق اتباعه •• وروى أيضاً عن ابن عباس يتلون حق  
 تلاوته قال يحلون حلاله ويحرمون حرامه ولا يحرفونه عن مواضعه وعن قتادة يتلون حق تلاوته أولئك  
 يؤمنون به قال أولئك أصحاب محمد آمنوا بكتاب الله وصدقوا به أحلوا حلاله وحرموا حرامه وعملوا بما  
 فيه ذكر لنا ابن مسعود كان يقول ان حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه وأن نقرأ كما أنزل الله  
 ولا نحرفه عن مواضعه وعن الحسن يتلون حق تلاوته قال يعملون بمحكمه ويؤمنون بمشابهه ويكفون  
 ما أشكل عليهم الى علمه وعن مجاهد يتبعونه حق اتباعه وفي رواية يعملون به حق عمله •• ثم قد يقرن  
 بالتلاوة غيرها كقوله (أتل ما وحي اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)  
 •• قال أحمد بن حنبل وغيره تلاوة الكتاب العمل بطاعة الله كلها ثم خص الصلاة بالذكر كما فى قوله

(والذين يسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة) وقوله (فاعبدني وأقم الصلاة لذكري) وكذلك لفظ اتباع ما أنزل الله يتناول جميع الطاعات كقوله (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء) وقوله (فن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى) وقوله (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقد يقرن به غيره كقوله ( وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ) وقوله ( واتبع ما أوحى اليك من ربك لا اله الا هو وأعرض عن المشركين ) وقوله ( واتبع ما أوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ) . . . وكذلك لفظ الابرار اذا أطلق دخل فيه كل تقي من السابقين والمقتصددين واذا قرن بالمقربين كان أخص قال تعالى في الاول ( ان الابرار لني نعيم وان الفجار لني جحيم ) وقال في الثانى ( ان كتاب الابرار لني عيسىن وما أدراك ما عليلون كتاب مرقوم يشهده المقربون ) وهذا باب واسع يطول استقصاؤه . . . ومن أنفع الامور فى معرفة دلالة الالفاظ مطلقاً وخصوصاً ألفاظ الكتاب والسنة وبه تزول شبهات كثيرة كثر فيها نزاع الناس من جعلها مسألة الايمان والاسلام فان النزاع فى مسأها أول اختلاف وقع افتردت الامة لاجله وصاروا مختلفين فى الكتاب والسنة وكفر بعضهم بعضاً وقائل بعضهم بعضاً كما قد بسطنا هذا فى مواضع أخر اذ المقصود هنا بيان شرح كلام الله ورسوله على وجه يبين أن الهدى كله مأخوذ من كلام الله ورسوله باقامة الدلائل الدالة لا بذكر الاقوال التي لا تقبل بلا دليل وترد بلا دليل أو يكون المقصود بها نصر غير الله والرسول فان الواجب أن يقصد معرفة ماجاه به الرسول وأتباعه بالدالة الدالة على ما بينه الله ورسوله . . . ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنة فى تفسير الايمان فتارة يقولون هو قول وعمل وتارة يقولون هو قول وعمل ونية وتارة يقولون قول وعمل ونية واتباع السنة وتارة يقولون قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح وكل هذا صحيح فاذا قالوا قول وعمل فانه يدخل فى القول قول القلب واللسان جميعاً وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام ونحو ذلك اذا أطلق والناس لهم فى مسمى الكلام والقول عند الاطلاق أربعة أقوال فالذى عليه السلف والفقهاء والجمهور أنه يتناول اللفظ والمعنى جميعاً كما يتناول لفظ الانسان للبدن والروح جميعاً . . . وقيل بل مسماه هو اللفظ والمعنى ليس جزء مسماه بل هو مدلول مسماه وهذا قول كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم وطائفة من المنتسبين الى السنة وهو قول النحاة لان صناعتهم متعلقة بالالفاظ . . . وقيل بل مسماه هو المعنى واطلاق الكلام على اللفظ مجاز لانه دال عليه وهذا قول ابن كلاب ومن اتبعه وقيل بل هو مشترك بين اللفظ والمعنى وهو قول بعض المتأخرين من الكلامية ولهم قول ثالث يروى عن أبى الحسن انه مجاز فى كلام الله حقيقة فى كلام الآدميين لان حروف الآدميين تقوم بهم فلا يكون الكلام قائماً بغير المتكلم بخلاف الكلام القرآنى فانه لا يقوم عنده بالله فيمتنع أن يكون كلامه ولبسط هذا موضع آخر . . . والمقصود هنا أن من قال من السلف الايمان قول وعمل أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه الا القول الظاهر أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب ومن قال قول وعمل ونية قال القول يتناول الاعتقاد

وقول اللسان وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزد ذلك ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوباً لله الا باتباع السنة وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل انما أرادوا ما كان مشروعا من الاقوال والاعمال ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولا فقط فقالوا بل هو قول وعمل والذين جعلوه أربعة فسروا مرادهم كما سئل سهل بن عبد الله التستري عن الايمان ماهو فقال قول وعمل ونية وسنة الايمان اذا كان قولا بلا عمل فهو كفر واذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفاق واذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة

(فصل) وعطف الشيء على الشيء في القرآن وسائر الكلام يقتضي معايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع اشتراك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم الذي ذكر لها والمعايرة على مراتب أعلاها أن يكونا متباينين ليس أحدهما هو الآخر ولا جزؤه ولا يعرف لزومه له كقوله (خلق الله السموات والارض وما بينهما في ستة أيام) ونحو ذلك وقوله (وجبريل وميكائيل) وقوله (وأنزل التوراة والانجيل والقرآن) وهذا هو الغالب ويليه أن يكون بينهما لزوم كقوله (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق) وقوله (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين) وقوله (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله) فان من كفر بالله فقد كفر بهذا كله فالمعطوف لازم للمعطوف عليه وفي الآية التي قبلها المعطوف عليه لازم فانه من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى فقد اتبع غير سبيل المؤمنين وفي الثاني نزاع وقوله (لا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق) هما متلازمان فان من لبس الحق بالباطل فجعله ملبوسا به خفي من الحق بقدر ما ظهر من الباطل فصار ملبوسا ومن كتم الحق احتج أن يقيم موضعه باطلا فيلبس الحق بالباطل ولهذا كان كل من كتم من أهل الكتاب ما أنزل الله فلا بد أن يظهر باطلا وهكذا أهل البدع لا تجب أحداً ترك بعض السنة التي يجب التصديق بها والعمل الا وقع في بدعة ولا تجب صاحب بدعة الا ترك شيئاً من السنة كما جاء في الحديث ما ابتدع قوم بدعة الا تركوا من السنة مثلها رواه الامام أحمد وقد قال تعالى (فنسوا حظا مما ذكروا به فآغرنا بينهم العداوة والبغضاء) فلما تركوا حظا مما ذكروا به اعتاضوا بغيره فوعدت بينهم العداوة والبغضاء وقال تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) أي عن الذكر الذي أنزله الرحمن وقال تعالى (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) وقال (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) فأمر باتباع ما أنزل ونهي عما يضاد ذلك وهو اتباع أولياء من دونه فمن لم يتبع أحدهما اتبع الآخر ولهذا قال ويتبع غير سبيل المؤمنين قال العلماء من لم يكن متبعا لسبيلهم كان متبعا غير سبيلهم فاستدلوا بذلك على ان اتباع سبيلهم واجب فليس لاحد أن يخرج عما أجمعوا عليه وكذلك من لم يفعل المأمور فعل بعض المحظور ومن فعل المحظور لم يفعل جميع المأمور فلا يمكن الانسان أن يفعل جميع ما أمر مع فعله لبعض ما حظر ولا يمكنه ترك كل ما حظر مع تركه لبعض ما أمر فان ترك ما حظر من جملة ما أمر به فهو مأمور ومن المحظور ترك المأمور فكل ما شغله عن الواجب

فهو محرم وكل ما لا يمكن فعل الواجب الابيه فعليه فعله ولهذا كان لفظ الامر اذا أطلق يتناول النهي  
واذا قيد بالنهي كان النهي نظير ما تقدم فاذا قال تعالى عن الملائكة ( لا يعصون الله ما أمرهم ) دخل في ذلك  
انه اذا نهاهم عن شيء اجتنابوه وأما قوله ( ويفعلون ما يؤمرون ) فقد قيل لا يتعدون ما أمروا به وقيل  
يفعلونه في وقته لا يقدمونه ولا يؤخرونه وقد يقال هو لم يقل ولا يفعلون الا ما يؤمرون بل هذا دل  
عليه قوله ( لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ) وقد قيل لا يعصون ما أمرهم في الماضي ويفعلون ما يؤمرون  
في المستقبل وقد يقال هذه الآية خبر عما سيكون ليس ما أمروا به هنا ماضيا بل الجميع مستقبل فانه قال  
( قوا أنفسكم وأهليكم نارا ) وما يتقى به انما يكون مستقبلا وقد يقال ترك المأمور تارة يكون لمعصية المأمور  
وتارة يكون لعجزه فاذا كان قادراً مر يدا لزم وجود الامور المقدورة فقوله لا يعصون لا يمتنعون عن  
الطاعة وقوله ويفعلون ما يؤمرون أي هم قادرون على ذلك لا يعجزون عن شيء منه بل يفعلونه كله  
فيلزم وجود كل ما أمروا به وقد يكون في ضمن ذلك انهم لا يفعلون الا المأمور به كما يقول القائل أنا أفعل  
ما أمرت به أي افعله ولا أتعداه الى زيادة ولا نقصان وأيضاً فقوله ( لا يعصون الله ما أمرهم ) ان كان نهاهم  
عن فعل آخر كان ذلك من أمره وان كان لم ينههم لم يكونوا مذمومين بفعل ما لم ينهوا عنه والمقصود ان  
لفظ الامر اذا أطلق تناول النهي ومنه قوله ( أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر ) أي أصحاب  
الامر ومن كان صاحب الامر كان صاحب النهي ووجبت طاعته في هذا وهذا فالنهي داخل في الامر  
وقال موسى للخضر ( ستجدني ان شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً ) قال فان اتبعني فلا تسألني عن شيء  
حتى أحدث لك منه ذكراً ) وهذا نهى له عن السؤال حتى يحدث له منه ذكراً ولما خرق السفينة قال له  
موسى ( أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمرأياً ) فسأله قبل احداث الذكر وقال في الغلام ( أقتلت نفساً  
زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً ) فسأله قبل احداث الذكر وقال عن الجدار لو شئت لآخذت عليه  
أجرأ ) وهذا سؤال من جهة المعنى فان السؤال والطلب قد يكون بصيغة الشرط كما تقول لو نزلت عندنا  
لا كرمناك وان بت الليلة عندنا أحسنت اليها ومنه قول آدم ( ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا  
لتكونن من الخاسرين ) وقول نوح ( رب انى أعوذ بك ان أسألك ما ليس لي به علم والاتفق لي وترحمي أكن  
من الخاسرين ) ومثله كثير ولهذا قال موسى ( ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني ) فدل على انه سأله  
الثلاث قبل ان يحدث الذكر وهذا معصية لهيه وقد دخل في قوله ولا أعصي لك أمراً فدل على ان عاصي  
النهي عاصي الامر ومنه قوله تعالى ( الا اله الخلق والامر ) وقد دخل النهي في الامر ومنه قوله ( فليحذر  
الذين يخالفون عن أمره ) وقوله ( وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة  
من أمرهم ) فان نهيه داخل في ذلك وقد تنازع الفقهاء في قوله لامرأته اذا عصيت أمرى فانت طالق اذا نهاها  
فمعصته هل يكون ذلك داخلاً في قوله على قولين قيل لا يدخل لان حقيقة النهي غير حقيقة الامر وقيل  
يدخل لان ذلك يفهم منه في العرف معصية الامر والنهي وهذا هو الصواب لان ما ذكر في العرف هو  
حقيقة في اللغة والشرع فان الامر المطلق في كل متكلم اذا قيل أطع أمر فلان أو فلان يطيع أمر فلان

أولا يعصى أمره فانه يدخل فيه النهي لان النهي أمر بترك المنهي عنه فلهمذا قال سبحانه (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) ولم يقل لا تكتموا الحق فلم ينفه عن كل منهما لتلازمهما وليست هذه واو الجمع التي يسميها الكوفيون واو الصرف كما قد يظنه بعضهم فانه كان يكون المعنى لتجمعوا بينهما فيكون أحدهما وحده غير منهي عنه وأيضا فذلك انما تجيء اذا ظهر الفرق كقوله (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) وقوله (أو يوقنن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص) ومن عطف الملزوم قوله تعالي (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) فانهم اذا أطاعوا الرسول فقد أطاعوا الله كما قال تعالي (من يطع الرسول فقد أطاع الله) واذا أطاع من بلغته رسالة محمد الله فانه لا بد أن يطيع الرسول فانه لا طاعة لله الا بطاعته والثالث عطف بعض الشيء عليه كقوله (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطي) وقوله (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم) وقوله (من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال) وقوله (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطأوها) والرابع عطف الشيء على الشيء لاختلاف الصفتين كقوله (سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوي والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعي) وقوله (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما أنزلناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون) وقد جاء في الشعر ما ذكر انه عطف لاختلاف اللفظ فقط كقوله \* وأني قولها كذبا ومينا \* ومن الناس من يدعي ان مثل هذا جاء في كتاب الله كما يذكرونه في قوله شرعة ومنهاجا وهذا غلط مثل هذا لا يجيء في القرآن ولا في كلام فصيح وغاية ما يذكر منها يذكر الناس اختلاف معنى اللفظ كما ادعى بعضهم ان من هذا قوله

ألا حبنا هند وأرض بها هند \* وهند آتي من دونها النأي والبعد

فزعموا انهما بمعنى واحد واستشهدوا بذلك على مادغوه من ان الشرعة هي المنهاج فقال لهم الخالفون لهم النأي أعم من البعد فان النأي كلما قل بعده أو أكثر كأنه مثل المفارقة والبعد انما يستعمل فيما كثرت مسافة مفارقتة وقد قال تعالي (وهم ينهون عنه وينأون عنه) وهم مذمومون على مجانبته والتنعى عنه سواء كانوا قريبين أو بعيدين وليس كلهم كان بعيداً عنه لاسيما عند من يقول نزلت في أبي طالب وقد قال التابعة \* والنوى كالحوض بالظلمة الجلد \* والمراد به ما يحفر حول الخيمة لينزل فيه الماء ولا يدخل الخيمة أي صار كالحوض فهو مجانب للخيمة ليس بعيداً منها

(فصل) فاذا تبين هذا فلفظ الايمان اذا اطلق في القرآن والسنة يراد به ما يراد بالبر ولفظ التقوى

وبلفظ الدين كما تقدم فان النبي صلى الله عليه وسلم بين ان الايمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا اله الا الله وأدناها امانة الأذى عن الطريق فكان كل ما يحبه الله يدخل في اسم الايمان وكذلك لفظ البر يدخل فيه جميع ذلك اذا اطلق وكذلك لفظ التقوى وكذلك الدين أو دين الاسلام وكذلك روى انهم سألوا عن الايمان فأنزل الله هذه الآية (ليس البر ان تولوا وجوهكم) الآيات وقد فسر البر بالايمان

وفسر بالتقوي وفسر بالعمل الذي يقرب الى الله والجميع حق وقد روى مرفوعا الى النبي صلى الله عليه  
 وسلم انه فسر البر بالايمان قال محمد بن نصر حدثنا اسحاق بن ابراهيم حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ  
 والملائى قالا حدثنا المسعودي عن القاسم قال جاء رجل الى أبي ذر فسأله عن الايمان فقراً (ليس البر ان  
 تولوا وجوهكم) الى آخر الآية فقال الرجل ليس عن البر سألتك فقال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه  
 وسلم فسأله عن الذي سألتني عنه فقراً عليه الذي قرأت عليك فقال له الذي قلت لي فما أبي أن يرضى قال  
 له ان المؤمن الذي اذا عمل الحسنة سرته ورجا ثوابها واذا عمل السيئة ساءته وخاف عقابها وقال حدثنا  
 اسحاق حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن عبد الكريم الجزري عن مجاهد ان أبا ذر سأل النبي صلى  
 الله عليه وسلم عن الايمان فقراً عليه (ليس البر أن تولوا وجوهكم) الى آخر الآية وروى باسناده عن عكرمة  
 قال سئل الحسن بن علي بن أبي طالب مقبله من الشام عن الايمان فقراً (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل  
 المشرق والمغرب) وروى ابن بطة باسناده عن مبارك بن حسان قال قلت لسالم الافطس رجل أطاع الله  
 فلم يعصه ورجل عصي الله فلم يطعه فصار المطيع الى الله فادخله الجنة وصار العاصي الى الله فأدخله  
 النار هل يتفاضلان في الايمان قال لا قال فذكرت ذلك لعطاء فقال سلمهم الايمان طيب أو خبيث قال الله  
 قال (ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعلهم في جهنم أولئك هم  
 الخاسرون) فسألهم فلم يجيبوني فقال بعضهم ان الايمان يبطن ليس معه عمل فذكرت ذلك لعطاء فقال  
 سبحان الله اما يقرؤن الآية التي في البقرة (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر  
 من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين) قال ثم وصف الله على هذا الاسم ما نزل من  
 العمل فقال (وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل الى قوله وأولئك هم  
 المتقون) فقال سلمهم هل دخل هذا العمل في هذا الاسم وقال (ومن أراد الآخرة وسعي لها سعيها وهو  
 مؤمن) فالزم الاسم العمل والعمل الاسم والمقصود هنا انه لم يثبت المدح الا على ايمان معه العمل لا على  
 ايمان خال عن عمل فاذا عرف أن الذم والعقاب واقع في ترك العمل كان بعد ذلك نزاعهم لافائدة فيه  
 بل يكون نزاعاً لفظياً مع انهم مخطئون في اللفظ مخالفون للكتاب والسنة وان قالوا انه لا يضره ترك العمل  
 فهذا كفر صريح وبعض الناس يحكى هذا عنهم وانهم يقولون ان الله فرض على العباد فرائض ولم يرد منهم  
 أن يعملوها ولا يضرهم تركها وهذا قد يكون قول الغالية الذين يقولون لا يدخل النار من أهل التوحيد  
 أحد لكن ما علمت معينا أحكى عنه هذا القول وانما الناس يحكونه في الكتب ولا يعينون قائله وقد يكون  
 من لا خلاق من الفساق والمنافقين يقولون لا يضر مع الايمان ذنب أو مع التوحيد وبعض كلام الرايين  
 على المرجئة وصفهم بهذا ويدل على ذلك قوله تعالي في آخر الآية (أولئك الذين صدقوا وأولئك هم  
 المتقون) فقوله صدقوا أي في قولهم آمنوا كقوله (قالت الاعراب آمنوا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا  
 ولما يدخل الايمان في قلوبكم) الى قوله (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا  
 باموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) أي هم الصادقون في قولهم آمنوا بالله بخلاف الكاذبين

الذين قال الله فيهم ( اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ) وقال تعالى ( ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ) ويكذبون قراءتان مشهورتان فانهم كذبوا في قولهم آمنا بالله واليوم الآخر وكذبوا الرسول في الباطن وان صدقوه في الظاهر وقال تعالى ( ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ) فبين أنه لا بد أن يفتن الناس وأن يمتحنهم ويبتليهم ويختبرهم يقال فتنت الذهب اذا أدخلته النار لتميزه مما اختلط به ومنه قول موسى ( ان هي الا فتلتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء ) أى محنتك وابتلاؤك كما ابتليت عبادك بالخشونات والسيئات ليتبين الصبار الشكور من غيره وابتليتهم بارسال الرسل وانزال الكتب ليتبين المؤمن من الكافر فيجعل ذلك سبباً لضلالة قوم وهدى آخرين والقرآن فيه كثير من هذا يصف المؤمنين بالصدق والمنافقين بالكذب لان الطائفتين قالت بألسنتهم آمنا فمن حقق قوله بعمله فهو مؤمن صادق ومن قال بلسانه ما ليس في قلبه فهو كاذب قال تعالى ( وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون ) فلما قال في آية البر ( أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ) دل على أن المراد صدقوا في قولهم آمنا فان هذا هو القول الذي أمروا به وكانوا يقولونه ولم يؤمروا أن يلفظوا بألسنتهم ويقولوا نحن أبرار أو بررة بل اذا قال الرجل أنا بر فهذا مزك لنفسه ولهذا كانت زينب بنت جحش اسمها بررة فقيل تزكى نفسها فسمها النبي صلى الله عليه وسلم زينب بخلاف انشاء الايمان بقولهم آمنا فان هذا قد فرض عليهم أن يقولوه قال تعالى ( قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم ) وكذلك في أول آل عمران ( قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم ) وقال تعالى ( آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله ) فقوله لانفرق دليل على أنهم قالوا آمنا ولا نفرق ولهذا قال وقالوا سمعنا وأطعنا فجمعوا بين قولهم آمنوا وبين قولهم سمعنا وأطعنا وقد قال في آية البر ( وأولئك هم المتقون ) فجعل الأبرار هم المتقين عند الإطلاق والتجريد وقد ميز بينهما عند الاقتران والتقييد في قوله ( وتعاونوا على البر والتقوى ) ودلت هذه الآية على أن مسمى الايمان ومسمى البر ومسمى التقوى عند الإطلاق واحد فالمؤمنون هم المتقون وهم الأبرار . . . ولهذا جاء في حديث الشفاعة الصحيحة يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان وفي بعضها مثقال ذرة من خير وهذا مطابق لقوله تعالى ( فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ) وذلك الذي هو مثقال ذرة من خير هو مثقال ذرة من ايمان وهؤلاء

المؤمنون الإبرار الاتقياء هم أهل السعادة المطلقة وهم أهل الجنة الذين وعدوا بدخولها بلا عذاب وهؤلاء الذين قال النبي صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا ومن حمل علينا السلاح فليس منا فإنه ليس من هؤلاء بل من أهل الذنوب المعرضين للوعيد إسوة أمثالهم

**فصل** وهذا النوع من نمط أسماء الله وأسماء كتابه وأسماء رسوله وأسماء دينه قال الله تعالى ( قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّما تدعوا فله الأسماء الحسنى ) وقال تعالى ( ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه ) وقال تعالى ( هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم ) فاسماؤه كلها متفقة في الدلالة على نفسه المقدسة ثم كل اسم يدل على معنى من صفاته ليس هو المعنى الذي دل عليه الاسم الآخر فالعزيز يدل على نفسه مع عزته والخالق يدل على نفسه مع خلقه والرحيم يدل على نفسه مع رحمته ونفسه تستلزم جميع صفاته فصار كل اسم يدل على ذاته والصفة المختصة به بطريق المطابقة وعلى أحدهما بطريق التضمن وعلى الصفة الاخرى بطريق اللزوم وهكذا أسماء كتابه القرآن والفرقان والكتاب والهدى والبيان والشفاء والنور ونحو ذلك هي بهذه المنزلة وكذلك أسماء رسوله محمد وأحمد والمحي والحاشر والمقفي ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة كل اسم يدل على صفة من صفاته الممدوحة غير الصفة الاخرى وهكذا ما ينفي ذكره من القصص في القراءة كقصة موسى وغيرها ليس المقصود بها أن تكون سمرا بل المقصود بها أن تكون عبرا كما قال تعالى ( لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ) فالذي وقع شيء واحد له صفات فيعبر عنه بعبارات متنوعة كل عبارة تدل على صفة من الصفات التي يعتبر بها المعتبرون وليس هذا من التكرير في شيء وهكذا أسماء دينه الذي أمر الله به ورسوله يسمى ايمانا وبراً وتقوى وخيراً وديناً وعملاً صالحاً وصرافاً مستقيماً ونحو ذلك وهو في نفسه واحد لكن كل اسم يدل على صفة ليست هي الصفة التي يدل عليها الآخر وتكون تلك الصفة هي الاصل في اللفظ والباقي كان تابعا لها لازمالها ثم صارت دالة عليه بالتضمن فان الايمان أصله الايمان الذي في القلب ولا بد فيه من شيئين تصديق بالقلب واقراءه ومعرفة ويقال لهذا قول القلب قال الجنيد بن محمد التوحيد قول القلب والتوكل عمل القلب فلا بد فيه من قول القلب وعمله ثم قول البدن وعمله ولا بد فيه من عمل القلب مثل حب الله ورسوله وخشية الله وحب ما يحبه الله ورسوله وبغض ما يبغضه الله ورسوله واخلاص العمل لله وحده وتوكل القلب على الله وحده وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجهاها الله ورسوله وجعلها من الايمان ثم القلب هو الاصل فاذا كان فيه معرفة واردة سري ذلك الى البدن بالضرورة لا يمكن أن يخالف البدن عما يريد القلب ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ألا وإن في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسدت لها سائر الجسد ألا وهي القلب وقال أبو هريرة القلب ملك والاعضاء جنوده فاذا طاب الملك طابت جنوده

واذا خبث الملك خبثت جنوده وقول أبي هريرة تقريب وقول النبي صلى الله عليه وسلم أحسن بياناً فان  
 الملك وان كان صالحاً فالجنود لهم اختيار قد يعصون به ملكهم وبالعكس فيكون فيهم صلاح مع فساده أو  
 فساد مع صلاحه بخلاف القلب فان الجسد تابع له لا يخرج عن ارادته قط كما قال النبي صلى الله عليه وسلم  
 اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسد لها سائر الجسد فاذا كان القلب صالحاً بما فيه من  
 الايمان علماً وعملاً قليلاً لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول والظاهر والعمل بالايمان المطلق كما قال أهل  
 الحديث قول وعمل قول باطن وظاهر وعمل باطن وظاهر والظاهر تابع للباطن لازم له متى صلح الباطن  
 صلح الظاهر واذا فسد فسد ولهذا قال من قال من الصحابة عن المصلي العابد لو خشع قلب هذا خشعت  
 جوارحه فلا بد في ايمان القلب من حب الله ورسوله وأن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما قال  
 الله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله) فوصف  
 الذين آمنوا بأنهم أشد حباً لله من المشركين وفي الآية قولان ٠٠ قيل يحبونهم كحب المؤمنين الله  
 والذين آمنوا أشد حباً منهم لا وئانهم ٠٠ وقيل يحبونهم كما يحبون الله والذين آمنوا أشد حباً لله منهم لله  
 وهذا هو الصواب والاول قول متناقض وهو باطل فان المشركين لا يحبون الأنداد مثل محبة المؤمنين  
 لله وتستلزم الارادة والارادة التامة مع القدرة تستلزم الفعل فيمتنع أن يكون الانسان محباً لله ورسوله  
 مريداً لما يحبه الله ورسوله ارادة جازمة مع قدرته على ذلك وهو لا يفعله فاذا لم يتكلم بالايمان مع قدرته  
 دل على أنه ليس في قلبه الايمان الواجب الذي فرضه الله عليه ٠٠ ومن هنا يظهر خطأ قول جهنم بن  
 صفوان ومن اتبعه حيث ظنوا أن الايمان مجرد تصديق القلب وعلمه لم يجعلوا أعمال القلب من الايمان  
 وظنوا أنه قد يكون الانسان مؤمناً كامل الايمان بقلبه وهو مع هذا يسب الله ورسوله ويعادي أولياء الله  
 ويوالي أعداء الله ويقتل الانبياء ويهدم المساجد ويهين المصاحف ويكرم الكفار غاية الكرامة ويهين  
 المؤمنين غاية الاهانة قالوا وهذه كلها معاص لا تنافي الايمان الذي في قلبه بل يفعل هذا وهو في الباطن  
 عند الله مؤمن قالوا وانما ثبت له في الدنيا أحكام الكفار لان هذه الاقوال امارة على الكفر ليحكم بالظاهر  
 كما يحكم بالاقرار والشهود وان كان في الباطن قد يكون بخلاف ما قر به وبخلاف ما شهد به الشهود فاذا أورد  
 عليهم الكتاب والسنة والاجماع على ان الواحد من هؤلاء كافر في نفس الامر معذب في الآخرة قالوا فهذا  
 دليل على انتفاء التصديق والعلم من قلبه فالكفر عندهم شيء واحد وهو الجهل والايمان شيء واحد وهو  
 العلم أو تكذيب القلب وتصديقه فانهم متنازعون هل تصديق القلب شيء غير العلم أو هو هو وهذا القول  
 مع أنه أفسد قول قيل في الايمان فقد ذهب اليه كثير من أهل الكلام المرجئة وقد كفر السلف كوكيع  
 ابن الجراح وأحمد بن حنبل وأبي عبيد وغيرهم من بقول بهذا القول وقالوا ابليس كافر بنص القرآن وانما  
 كفره باستكباره وامتناعه عن السجود لآدم لا لكونه كذب خبراً وكذلك فرعون وقومه قال الله تعالى  
 فيهم (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) وقال موسى عليه السلام لفرعون (لقد علمت ما أنزل  
 هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر) بعد قوله (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسئلني اسرائيل

اذ جاءهم فقال له فرعون اني لاطنك ياموسى مسهورا قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء الارب السموات  
 والارض بصائر وانى لاطنك يا فرعون مشهورا ( فوسى وهو الصادق المصدوق يقول (لقد علمت ما أنزل  
 هؤلاء الارب السموات والارض بصائر) فدل على ان فرعون كان عالماً بأن الله أنزل الآيات وهو من أكبر  
 خلق الله عناداً وبغياً لفساد ارادته وقصده لا لعدم علمه قال تعالى ( ان فرعون علا فى الارض وجعل أهلها  
 شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم انه كان من المفسدين ) وقال تعالى ( وجحدوا  
 بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ) وكذلك اليهود الذين قال الله فيهم ( الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه  
 كما يعرفون أبناءهم ) وكذلك من المشركين الذين قال الله فيهم ( فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات  
 الله يجحدون ) هؤلاء غلطوا فى أصلين أحدهما ظنهم ان الايمان مجرد تصديق وعلم فقط ليس معه عمل  
 وحال وحركة وارادة ومحبة وخشية فى القلب وهذا من أعظم غلط المرجئة مطلقاً فان أعمال القلوب  
 التى يسميها بعض الصوفية أحوالا ومقامات أو منازل السائرين الى الله أو مقامات العارفين أو غير ذلك  
 كلها فيها مما فرضه الله ورسوله فهو من الايمان الواجب وفيها ما أحبه ولم يفرضه فهو من الايمان المستحب  
 فالاول لا بد لكل مؤمن منه ومن اقتصر عليه فهو من الابرار أصحاب الجنين والثاني للمقرين السابقين  
 وذلك مثل حب الله ورسوله بل أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما بل أن يكون الله ورسوله  
 والجهاد فى سبيله أحب اليه من أهله وماله ومثل خشية الله وحده دون خشية المخلوقين ورجاء الله وحده  
 دون رجاء المخلوقين والتوكل على الله وحده دون المخلوقين والابانة اليه مع خشيته كما قال تعالى ( هذا  
 ما توعدون لكل أواب حفيظ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ) ومثل الحب فى الله والبغض فى  
 الله والموالاتة لله والمعاداة لله والثاني ظنهم ان كل من حكم الشارع بانه كافر مخلد فى النار فانما ذلك لانه لم  
 يكن فى قلبه شئ من العلم والتصديق وهذا أمر خالفوا به الحس والعقل والشرع وما أجمع عليه طوائف  
 بني آدم السليمة الفطرة وجواهر النظر فان الانسان قد يعرف ان الحق مع غيره ومع هذا يجحد ذلك  
 لحسده اياه أو لطلب علوه عليه أو لهوى النفس ويحمله ذلك الهوى على أن يعتدى عليه ويرد ما يقول  
 بكل طريق وهو فى قلبه يعلم ان الحق معه وعامة من كذب الرسل علموا ان الحق معهم وانهم صادقون  
 لكن إما لحسد هم وإما لارادتهم العلو والرياسة وإما لحبهم دينهم الذى كانوا عليه وما يحصل لهم به من  
 الاغراض كأموال ورياسة وصدقة أقوام وغير ذلك فيرون فى اتباع الرسل ترك الاهواء المحبوبة اليهم أو  
 حصول أمور مكروهة اليهم فيكذبونهم ويعادونهم فيكونون من أكفر الناس كابليس وفرعون مع علمهم  
 بانهم على الباطل والرسل على الحق ولهذا لا يذكر الكفار حجة صحيحة تقدر فى صدق الرسل انما  
 يعتمدون على مخالفة أهوائهم كقولهم لنوح ( أنؤمن لك واتبعك الأردلون ) ومعلوم ان اتباع الأردلين  
 له لا يقدح فى صدقه لكن كرهوا مشاركة أولئك كما طلب المشركون من النبي صلى الله عليه وسلم ابعاد  
 الضعفاء كسعد بن أبي وقاص وابن مسعود وخباب بن الارت وعمار بن ياسر وبلال ونحوهم وكان ذلك  
 بمكة قبل أن يكون فى الصحابة أهل صفة فأنزل الله تبارك وتعالى ( ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة

والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين وكذلك فتننا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين) ومثل قول فرعون (أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون) وقول فرعون (ألم تر بك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين) ومثل قول مشركي العرب (ان تبسح الهدي تخطف من أرضنا) قال الله تعالى (أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجزي إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا) ومثل قول قوم شعيب له (أصلاتك تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا وان نفعل في أموالنا ما نشاء) ومثل قول عامة المشركين (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) وهذه الامور وأمثالها ليست حجباً تقدح في صدق الرسل بل تبين انها تخالف ارادتهم وأهواءهم وعاداتهم فلذلك لم يتبعوهم وهؤلاء كلهم كفار بل أبوطالب وغيره كانوا يحبون النبي صلى الله عليه وسلم ويحبون علو كلمته وليس عندهم حسدله وكانوا يعملون صدقه ولكن كانوا يعملون في متابعتهم فراق دين آباؤهم وذم قريش لهم فما احتملت نفوسهم ترك تلك العادة واحتمال هذا الذم فلم يتركوا الايمان لعدم العلم بل هوى النفس فكيف يقال ان كل كافر انما كفر لعدم علمه بالله ولم يكف الجهمية ان جعلوا كل كافر جاهل بالحق حتى قالوا هو لا يعرف ان الله موجود حق والكفر عندهم ليس هو الجهل بأى حق كان بل الجهل بهذا الحق المعين ونحن والناس كلهم يرون خلقاً من الكفار يعرفون في الباطن ان دين الاسلام حق وبذلكرون ما يتبعهم من الايمان إما معاداة أهلهم وإما مال يحصل لهم من جهتهم يقطعونه عنهم وإما خوفهم اذا آمنوا أن لا يكون لهم حرمة عند المسلمين كحرمتهم في دينهم وأمثال ذلك من أغراضهم التي يبينون انها الممانعة لهم من الايمان مع علمهم بان دين الاسلام حق ودينهم باطل وهذا موجود في جميع الامور التي هي حق يوجد من يعرف بقلبه انها حق وهو في الظاهر يمجده ذلك ويعادى أهله لظنه ان ذلك يجب له منفعة ويدفع عنه مضرة قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فانه منهم ان لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم انهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين) والمفسرون متفقون على انها نزلت بسبب قوم ممن كان يظهر الاسلام وفي قلبه مرض خاف أن يغلب أهل الاسلام فيوالي الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم للخوف الذي في قلوبهم للاعتقادهم ان محمداً كاذب واليهود والنصارى صادقون وأشهر النقول في ذلك ان عبادة بن الصامت قال يارسول الله ان لى موالى من اليهود وانى ابرأ الى الله من ولاية يهود فقال عبد الله بن أبي لكتي رجل أخاف الدوائر ولا ابرأ من ولاية يهود فنزلت هذه الآية والمرجئة الذين قالوا الايمان تصديق القلب وقول اللسان والاعمال ليست منه كان منهم طائفة من فقهاء الكوفة وعبادها ولم يكن قولهم مثل قول جهم فعرفوا ان الانسان لا يكون مؤمناً ان لم يتكلم بالايمان مع قدرته عليه وعرفوا ان ابليس وفرعون وغيرهما كفار مع تصديق قلوبهم

لكنهم اذا لم يدخلوا أعمال القلوب في الايمان لزمتهم قول جهنم وان أدخلوها في الايمان لزمتهم دخول  
أعمال الجوارح أيضاً فانها لازمة لها ولكن هؤلاء لهم حجج شرعية بسببها اشتبه الامر عليهم فانهم رأوا  
ان الله قد فرق في كتابه بين الايمان والعمل فقال في غير موضع (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات)  
ورأوا ان الله خاطب الانسان بالايمان قبل وجود الاعمال فقال (يا أيها الذين آمنوا اذاتم الصلاة فاعسلوا  
وجوهكم وأيديكم الى المرافق • يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة) وقالوا لو ان رجلاً  
آمن بالله ورسوله ضحوة ومات قبل أن يجب عليه شيء من الأعمال مات مؤمناً وكان من أهل الجنة  
فدل على ان الاعمال ليست من الايمان! وقالوا نحن نسلم ان الايمان يزيد بمعنى انه كان كلما أنزل الله آية  
وجب التصديق بها فانضم هذا التصديق الى التصديق الذي كان قبله لكن بعد كمال ما أنزل الله مابقي  
الايمان يتفاضل عندهم بل ايمان الناس كلهم سواء ايمان السابقين الاولين كأبي بكر وعمر وايمان أئمة الناس  
كالحجاج وأبي مسلم الخراساني وغيرهما والمرجئة المتكلمون منهم والفقهاء منهم يقولون ان الاعمال قد  
تسمى إيماناً مجازاً لان العمل ثمرة الايمان ومقتضاه لانها دليل عليه ويقولون قوله الايمان بضع وستون  
أو بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها امانة عن الطريق والمرجئة ثلاثة أصناف الذين  
يقولون الايمان مجرد مافي القلب ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب وهم أكثر فرق المرجئة كما  
قد ذكر أبو الحسن الأشعري أقوالهم في كتابه وذكر فرقاً كثيرة يطول ذكرهم لكن ذكرنا جمل أقوالهم  
ومنهم من لا يدخلها كجهنم ومن اتبعه كالصالحين وهذا الذي نصره هو وأكثر أصحابه والقول الثاني من  
يقول هو مجرد قول اللسان وهذا لا يعرف لاحد قبل الكرامية والثالث تصديق القلب وقول اللسان وهذا  
هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم وهؤلاء غلطوا من وجوه ١٠٠ أحدها ظنهم ان الايمان الذي فرضه  
الله على العباد مماثل في حق العباد وان الايمان الذي يجب على شخص يجب مثله على كل شخص وليس  
الامر كذلك فان أتباع الانبياء المتقدمين أوجب الله عليهم من الايمان ما لم يوجب على أمة محمد وأوجب  
على أمة محمد من الايمان ما لم يوجب على غيرهم والايمان الذي كان يجب قبل نزول جميع القرآن ليس هو  
مثل الايمان الذي يجب بعد نزول القرآن والايمان الذي يجب على من عرف ما أخبر به الرسول مفصلاً  
ليس مثل الايمان الذي يجب على من عرف ما أخبر به مجملاً فانه لا بد في الايمان من تصديق الرسول في  
كل ما أخبر لكن من صدق الرسول وأما عقب ذلك لم يجب عليه من الايمان غير ذلك وأما من بلغه  
القرآن والأحاديث وما فيها من الاخبار والامور المفصلة فيجب عليه من التصديق المفصل بخبر خبر  
وأمر أمر ما لا يجب على من لم يجب عليه الا الايمان المجمل لموته قبل أن يبلغه شيء آخر وأيضاً لو قدر  
انه عاش فلا يجب على كل واحد من العامة أن يعرف كل ما أمر به الرسول وكل ما نهى عنه وكل ما أخبر  
به بل انما عليه أن يعرف ما يجب عليه هو وما يحرم عليه فمن لا مال له لا يجب أن يعرف أمره المفصل في  
الزكاة ومن لا استطاعة له على الحج ليس عليه أن يعرف أمره المفصل بالمناسك ومن لم يتزوج ليس عليه  
أن يعرف ما واجب للزوجة فصار يجب من الايمان تصديقاً وعملاً على أشخاص ما لا يجب على آخرين

وهذا يظهر الجواب عن قولهم خوطبوا بالايان قبل الاعمال فنقول ان قلتم انهم خوطبوا به قبل أن  
تجب تلك الاعمال فقبل وجوبها لم تكن من الايمان وكانوا مؤمنين الايمان الواجب عليهم قبل أن يفرض  
عليهم ما خوطبوا بفرضه فلما نزل ان لم يقرؤا بوجوبه لم يكونوا مؤمنين ولهذا قال تعالى (ولله على الناس  
حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين) ولهذا لم يجيء ذكر الحج في  
أكثر الأحاديث التي فيها ذكر الاسلام والايان كحديث وفد عبد القيس وحديث الرجل النجدي الذي  
يقال له ضمام بن ثعلبة وغيرها وانما جاء ذكر الحج في حديث ابن عمر وجبريل وذلك لان الحج آخر  
ما فرض من الخس فكان قبل فرضه لا يدخل في الايمان والاسلام فلما فرض أدخله النبي صلى الله عليه  
وسلم في الايمان اذا فرد وأدخله في الاسلام اذا قرن بالايان واذا أفرد وسندكر ان شاء الله متى فرض  
وكذلك قولهم من آمن ومات قبل وجوب العمل عليه مات مؤمناً صحيح لانه أتى بالايان الواجب  
عليه والعمل لم يكن وجب عليه بعد فهذا مما يجب أن يعرف فانه نزول به شبهة حصلت للطائفتين فاذا قيل  
الاعمال الواجبة من الايمان فالايان الواجب متنوع ليس شيئاً واحداً في حق جميع الناس وأهل السنة  
والحديث يقولون جميع الاعمال الحسنة واجبها ومستحبها من الايمان أي من الايمان الكامل بالمستحبات  
ليست من الايمان الواجب فيفرق بين الايمان الواجب وبين الايمان الكامل بالمستحبات كما يقول الفقهاء  
الغسل ينقسم الى مجزئ وكامل فالجزئ ما أتى فيه بالواجبات فقط والكامل ما أتى فيه بالمستحبات ولفظ  
الكامل قد يراد به الكمال الواجب وقد يراد به الكمال المستحب وأما قولهم ان الله فرق بين الايمان والعمل  
في مواضع فهذا صحيح وقد بينا ان الايمان اذا أطلق أدخل الله ورسوله فيه الاعمال المأمور بها وقد  
يقرن به الاعمال وذكرنا نظائر ذلك كثيرة وذلك لان أصل الايمان هو ما في القلب والاعمال الظاهرة  
لازمة لذلك لا يتصور وجود إيمان القلب الواجب مع عدم جميع أعمال الجوارح بل متى نقصت الاعمال  
الظاهرة كان لنقص الايمان الذي في القلب فصار الايمان متنا ولا للزوم واللازم وان كان أصله ما في القلب  
وحيث عطف عليه الاعمال فانه أريد انه لا يكتفي بإيمان القلب بل لابد معه من الاعمال الصالحة ثم للناس  
في مثل هذا قولان منهم من يقول المعطوف دخل في المعطوف عليه أولاً ثم ذكر باسمه الخاص تخصيصاً  
له لئلا يظن أنه لم يدخل في الاول وقالوا هذا في كل ما عطف فيه خاص على عام كقوله (من كان عدوا لله  
وملائكته ورسوله وجبريل وميكال) وقوله (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم  
وموسى وعيسى بن مريم) وقوله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق  
من ربهم) فخص الايمان بما نزل على محمد بعد قوله الذين آمنوا وهذه نزلت في الصحابة وغيرهم من  
المؤمنين وقوله (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) وقوله (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له  
الدين حنفاء يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة) والصلاة والزكاة من العبادة فقوله آمنوا وعملوا الصالحات  
كقوله (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة) فانه قصدوا ولا  
أن تكون العبادة لله وحده لا غيره ثم أمر بالصلاة والزكاة ليعلم انهما عبادتان واجبتان فلا يكتفي بمطلق

العبادة الخالصة دونها وكذلك يذكر الايمان أولاً لانه الاصل الذي لا بد منه ثم يذكر العمل الصالح فانه أيضاً من تمام الدين لا بد منه فلا يظن الظان اكتفاه بمجرد ايمان ليس معه العمل الصالح وكذلك قوله (لم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدي للمتقين الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلاة و بما رزقناهم ينفقون و الذين يؤمنون بما أنزل اليك و ما أنزل من قبلك و بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم و أولئك هم المفاحون) وقد قيل هؤلاء هم أهل الكتاب الذين آمنوا بما أنزل عليه و ما أنزل على من قبله كابن سلام و نحوه و ان هؤلاء نوع غير النوع المتقدم الذين يؤمنون بالغيب و قد قيل هؤلاء جميع المتقدمين الذين آمنوا بما أنزل اليه و ما أنزل من قبله و هؤلاء هم الذين يؤمنون بالغيب و هم صنف واحد و انما عطفوا التعابير الصفتين كقوله (سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوي و الذي قدر فهدى و الذي أخرج المرعى فجعله غناءً أحوى) فهو سبحانه واحد و عطف بعض صفاته على بعض و كذلك قوله و الصلاة الوسطى و هي صلاة العصر و الصفات اذا كانت معارف كانت للتوضيح و تضمنت المدح أو الذم تقول هذا الرجل هو الذي فعل كذا و هو الذي فعل كذا و هو الذي فعل كذا تعدد محاسنه و لهذا مع الاتباع قد يعطفونها و ينصبون أو يرفعون و هذا القول هو الصواب فان المؤمنين بالغيب ان لم يؤمنوا بما أنزل اليه و ما أنزل من قبله لم يكونوا على هدى من ربهم و لا مفلحين و لا متقين و كذلك الذين آمنوا بما أنزل اليه و ما أنزل من قبله ان لم يكونوا من الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلاة و بما رزقهم الله ينفقون لم يكونوا على هدى من ربهم و لم يكونوا مفلحين و لم يكونوا متقين فدل على ان الجميع صفة المهتدين المتقين الذين اهتموا بالكتاب المنزل الى محمد فقد عطف هذه الصفة على تلك مع انها داخلة فيها لكن المقصود صفة ايمانهم و انهم يؤمنون بجميع ما أنزل الله على أنبيائه لا يفرقون بين أحد منهم و الا فاذا لم يذكر الا الايمان بالغيب فقد يقول من يؤمن ببعض و يكفر ببعض نحن نؤمن بالغيب و لما كانت سورة البقرة سنام القرآن و يقال انها أول سورة نزلت بالمدينة افتتحها الله بأربع آيات في صفة المؤمنين و آيتين في صفة الكافرين و بضع عشرة آية في صفة المنافقين فانه من حين هاجر النبي صلى الله عليه وسلم صار الناس ثلاثة أصناف إما مؤمن و إما كافر مظهر للكفر و إما منافق بخلاف ما كانوا بمكة فانه لم يكن هناك منافق و لهذا قال أحمد بن حنبل و غيره لم يكن من المهاجرين منافق و انما كان النفاق في قبائل الانصار فان مكة كانت الكفار مستولين عليها فلا يؤمن و يهاجر الا من هو مؤمن ليس هناك داع يدعو الى النفاق و المدينة من بها أهل الشوكة فصار للمؤمنين بها عز و منعة بالانصار فن لم يظهر الايمان آذوه فاحتاج المنافقون الى اظهار الايمان مع ان قلوبهم لم تؤمن و الله تعالي افتتح البقرة و وسط البقرة و ختم البقرة بالايمان بجميع ما جاءت به الانبياء فقال في أولها ما تقدم و قال في وسطها (قولوا آمنا بالله و ما أنزل اليتنا و ما أنزل الى ابراهيم و اسماعيل و اسحاق و يعقوب و الاسباط و ما أوتى موسى و عيسى و ما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم و نحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتموا و ان تولوا فانما هم في شقاق) الآية و قال في آخرها (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه و المؤمنون كل آمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله لانفرق

بين أحد من رساله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير ) والآية الاخرى وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه والآية الوسطى قد ثبت في الصحيح أنه كان يقرأ بها في ركعتي الفجر و ( بقل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ) الآية تارة ( وبقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ) فيقرأ بما فيه ذكر الايمان والاسلام أو بما فيه ذكر التوحيد والاخلاص فعلى قول هؤلاء يقال الاعمال الصالحة المعطوفة على الايمان دخلت في الايمان وعطفت عليه عطفاً الخاص على العام اما لذكره خصوصاً بعدمعوم واما لكونه اذا عطفت كان دليلاً على أنه لم يدخل في العام وقيل بل الاعمال في الاصل ليست من الايمان فان أصل الايمان هو ما في القلب ولكن هي لازمة له فن لم يفعلها كان ايمانه منتفياً لان انتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم لكن صارت بعرف الشارع داخلة في اسم الايمان اذا أطلق كما تقدم في كلام النبي صلى الله عليه وسلم فاذا عطفت عليه ذكرت لثلا يظن الظان أن مجرد ايمانه بدون الاعمال الصالحة اللازمة للايمان يوجب الوعد فكان ذكرها تخصيصاً وتنصيماً ليعلم ان الثواب الموعود به في الآخرة وهو الجنة بلا عذاب لا يكون الا لمن آمن وعمل صالحاً لا يكون لمن ادعى الايمان ولم يعمل وقد بين سبحانه في غير موضع ان الصادق في قوله آمنت لا بد أن يقوم بالواجب وحصص الايمان في هؤلاء يدل على انتفائه عن سواهم . . وللجهمية هنا سؤال ذكره أبو الحسن في كتاب الموجز وهو أن القرآن نفي الايمان عن غير هؤلاء كقوله ( انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجات قلوبهم ) ولم يقل ان هذه الاعمال من الايمان قالوا فنحن نقول من لم يعمل هذه الاعمال لم يكن مؤمناً لان انتفاءها دليل على انتفاء العلم من قلبه والجواب عن هذا من وجوه . . أحدها انكم سلمتم ان هذه الاعمال لازمة لايمان القلب فاذا انتفت لم يبق في القلب ايمان وهذا هو المطلوب وبمد هذا فكونها لازمة أو جزءاً نزاع لفظي . . الثاني ان نصوصاً صرحت بانها جزء كقوله الايمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة . . الثالث انكم قلتم بان من انتفى عنه هذه الامور فهو كافر خال من كل ايمان كان قولكم قول الخوارج وأنتم في طرف والخوارج في طرف فكيف توافقونهم ومن هذه الامور اقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج والجهاد والاجابة الى حكم الله ورسوله وغير ذلك مما لا تكفرون تاركه وان كفرتموه كان قولكم قول الخوارج . . الرابع ان قول القائل ان انتفاء بعض هذه الاعمال يستلزم أن لا يكون في قلب الانسان شيء من التصديق بان الرب حق قول يعلم فساده بالاضطرار . . الخامس ان هذا اذا ثبت في هذه ثبت في سائر الواجبات فيرفع النزاع المعنوي

( فصل الوجه الثاني ) من غلط المرجئة ظنهم ان ما في القلب من الايمان ليس الا التصديق فقط دون أعمال القلوب كما تقدم عن جهمية المرجئة . . الثالث ظنهم ان الايمان الذي في القلب يكون تاماً بدون شيء من الاعمال ولهذا يجعلون الاعمال ثمرة الايمان ومقتضاه بمنزلة السبب مع المنسب ولا يجعلونها لازمة له والشعيق ان ايمان القلب التام يستلزم العمل الظاهر بحسبه لاحالة ويمتنع أن يقوم بالقلب ايمان تام بدون عمل ظاهر ولهذا صاروا يقدمون مسائل يمتنع وقوعها لعدم تحقق الارتباط الذي بين البدن

والقلب مثل أن يقولوا رجل في قلبه من الايمان مثل ما في قلب أبي بكر وعمر وهو لا يسجد لله سجدة ولا يصوم رمضان ويذني بأمه وأخته ويشرب الخمر نهار رمضان يقولون هذا مؤمن تام الايمان فيبقى سائر المؤمنين ينكرون ذلك غاية الانكار . . قال أحمد بن حنبل - حدثنا خلف بن حيان حدثنا معقل ابن عبيد الله العنسي قال قدم علينا سالم الافطس بالارجاء فنفر منه أصحابنا نفوراً شديداً منهم ميمون بن مهران وعبد الكريم بن مالك فانه عاهد الله أن لا يؤويه وياه سقف بيت الا المسجد قال معقل فخرجت فدخلت على عطاء بن أبي رباح في نفر من أصحابي وهو يقرأ ( حتى اذا استنأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا ) قلت ان لنا حاجة فاخلنا ففعل فأخبرته ان قوما قبلنا قد أحثوا وتكلموا وقالوا ان الصلاة والزكاة ليسا من الدين فقال أوليس الله تعالى يقول ( وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ) فالصلاة والزكاة من الدين قال فقلت أنهم يقولون ليس في الايمان زيادة فقال أوليس قد قل الله فيما أنزل ( ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم ) هذا الايمان فقلت أنهم انحلوك وبلغني ان ابن ذر دخل عليك في أصحاب له فعرضوا عليك قولهم فقيلته فقلت هذا الامر فقال لا والله الذي لا اله الا هو مرتين أو ثلاثاً ثم قال قدمت المدينة فجلست الي نافع فقلت يا أبا عبد الله ان لي اليك حاجة فقال سر أم علانية فقلت لا بل سر قال رب سر لا خير فيه فقلت ليس من ذلك فلما صلينا العصر قام وأخذ بثوبي ثم خرج من الخوخة ولم ينظر القاص فقال حاجتك قال فقلت أخاني هذا فقال تنح قال فدكرت له قولهم فقال قال رسول صلى الله عليه وسلم أمرت أن أضربهم بالسيف حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوا لا اله الا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله قال قلت أنهم يقولون نحن نفر بأن الصلاة فرض ولا نصلي وبأن الخمر حرام ونشربها وان نكاح الامهات حرام ونحن نشكح فنثر يده من يدي وقال من فعل هذا فهو كافر قال معقل فرأيت الزهري فأخبرته بقولهم فقال سبحان الله وقد أخذ الناس في هذه الخصومات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن قال معقل فلقيت الحكم بن عتبة فقلت له ان عبد الكريم وميمونا بلغهما انه دخل عليك ناس من المرجئة فعرضوا قولهم عليك فقيلت قولهم قال فقيل ذلك على ميمون وعبد الكريم لقد دخل على اثنا عشر رجلاً وأنا مريض فقالوا يا أبا محمد بلغك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل بامة سوداء أو حبشية فقال يا رسول الله على رقبة مؤمنة افترى هذه مؤمنة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهدين أن لا اله الا الله فضالت نعم قال وتشهدين أن محمداً رسول الله قالت نعم قال وتشهدين أن الجنة حق والنار حق قالت نعم قال وتشهدين أن الله يبغضك من بعد الموت قالت نعم قال فاعتقها فانها مؤمنة فخرجوا وهم ينضحون ذلك قال معقل ثم جلست الي ميمون ابن مهران فقلت يا أبا أيوب لو قرأت لنا سورة ففسرتها قال فقرأ اذ الشمس كورت حتى اذا بلغ مطلع ثم أمين قال ذاك جبريل والحية لمن يقول ان ايمانه كمايمان جبريل . . ورواه حنبل عن أحمد ورواه أيضاً عن ابن أبي مليكة قال لقد أتني على برهة من الدهر وما أراني أدرك قوما يقول أحدهم اني مؤمن .

يستكمل الايمان ثم مارضي حتى قال ايماني على ايمان جبريل وميكائيل وما زال بهم الشيطان حتى قال احدثهم اني مؤمن وان نكح اخته وامة وبنته والله لقد أدرك كذا وكذا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مامات أحد منهم الا وهو يخشى النفاق على نفسه وقد ذكر هذا المعنى عنه البخاري في صحيحه قال أدركت ثلاثين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول ايمانه كايان جبريل . . . وروى البغوي عن عبد الله بن محمد عن ابن مجاهد قال كنت عند عطاء ابن أبي رباح فجاء ابنه يعقوب فدل يابته ان أصحابا يزعمون ان ايمانهم كايان جبريل فقال يا بني ليس ايمان من أطاع الله كايان من عصى الله . . . قلت قوله عن المرجئة انهم يقولون ان الصلاة والزكاة ليستا من الدين قد يكون قول بعضهم فانهم كلهم يقولون ليستا من الايمان وأما من الدين فقد حكى عن بعضهم انه يقول ليستا من الدين ولا تفرق بين الايمان والدين ومنهم من يقول بل هما من الدين ويفرق بين اسم الايمان واسم الدين وهذا هو المعروف من أقوالهم التي يقولونها عن أنفسهم ولم أر أنا في كتاب أحد منهم أنه قال الاعمال ليست من الدين بل يقولون ليست من الايمان وكذلك حكى أبو عبيد عن ناظره منهم فان أبا عبيد وغيره يحتجون بان الاعمال من الدين فذكر قوله ( اليوم أكملت لكم دينكم ) انها نزلت في حجة الوداع قال أبو عبيد فاخبر انه انما كمل الدين الآن في آخر الاسلام في حجة النبي صلى الله عليه وسلم وزعم هؤلاء انه كان كاملا قبل ذلك بعشرين سنة من أول ما نزل عليه الوحي بمكة حين دعا الناس الى الاقرار حتى قال لقد اضطر بعضهم حين أدخات عليه هذه الحججة الى أن قال ان الايمان ليس بجميع الدين ولكن الدين ثلاثة أجزاء الايمان جزء والفرائض جزء والنوازل جزء . . . قلت هذا الذي قاله هذا هو مذهب القوم قل أبو عبيد وهذا غير مانطق به الكتاب ألا تسمع الي قوله ( ان الدين عند الله الاسلام ) وقال ( ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه ) وقال ( ورضيت لكم الاسلام ديناً ) فاخبر أن الاسلام هو الدين برمته وزعم هؤلاء انه ثبت الدين . . . قلت انما قالوا ان الايمان ثبت ولم يقولوا ان الايمان ثبت الدين لكنهم فرقوا بين مسمى الايمان ومسمى الدين وسند كر ان شاء الله تعالى الكلام في مسمى هذا ومسمى هذا فقد يحكى عن بعضهم انه يقول ليستا من الدين ولا يفرق بين اسم الايمان والدين ومنهم من يقول بل كلاهما من الدين ويفرق بين اسم الايمان واسم الدين والشافعي رضي الله عنه كان معظما لعطاء بن أبي رباح ويقول ليس في التسابيح اتبع لاحديث منه وكذلك أبو حنيفة قل ما رأيت مثل عطاء وقد أخذ الشافعي هذه الحججة عن عطاء فروى ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي حدثنا أبي حدثنا ميمون حدثنا أبو عثمان بن الشافعي سمعت أبي يقول ليلة للحميدي ما يحتج عليهم يعني أهل الارجاع بأية أحج من قوله ( وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء وقيموا الصلاة وبؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ) . . . وقال الشافعي رضي الله عنه في كتاب الأم في باب النية في الصلاة يحتج بان لا تجزى صلاة الابنية بحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات . . . ثم قال وكان الاجماع من الهجاة والتابيين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون الايمان قول وعمل ونية لا يجزي

واحد من الثلاث الا بالآخر . . . وقال حنبل حدثنا الحميدي قال وأخبرت ان ناسا يقولون من أقر  
بالصلاة والزكاة والصوم والحج ولم يفعل من ذلك شيئاً حتى يموت ويصلى مستدبر القبلة حتى يموت فهو  
مؤمن ما لم يكن جاحداً اذا علم ان تركه ذلك فيه ايمانه اذا كان مقرراً بالفرائض واستقبال القبلة فقلت  
هذا الكفر الصراح وخلاف كتاب الله وسنة رسوله وعلماء المسلمين قال الله تعالي ( وما أمروا الا  
ليعبدوا الله مخلصين له الدين ) الآية . . . وقال حنبل سمعت أبا عبد الله احمد بن حنبل يقول من قال  
هذا فقد كفر بالله ورد على الله أمره وعلى الرسول ما جاء به . . . قلت وأما احتجاجهم بقوله للأمة  
اعتقها فانها مؤمنة فهو من حججهم المشهورة وبه احتج بن كلاب وكان يقول الايمان هو التصديق والقول  
جميعاً فكان قوله أقرب من قول جهم وأتباعه وهذا لا حجة فيه لأن الايمان الظاهر الذي تجرى عليه  
الاحكام في الدنيا لا يستلزم الايمان في الباطن الذي يكون صاحبه من أهل السعادة في الآخرة فان  
المنافقين الذين قالوا ( آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ) هم في الظاهر مؤمنون يصلون مع الناس  
ويصومون ويحجون ويفزون والمسلمون يناكحونهم ويوارثونهم كما كان المنافقون على عهد رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ولم يحكم النبي صلى الله عليه وسلم في المنافقين بحكم الكفار المظهرين للكفر لا في مناهجتهم  
ولا موارثتهم ولا نحو ذلك بل لما مات عبد الله بن أبي بن سلول وهو من أشهر الناس بالنفاق ورثه ابنه  
عبد الله وهو من خيار المؤمنين وكذلك سائر من كان يموت منهم يرثه ورثته المؤمنون واذا مات لاحدهم  
وارث ورثوه مع المسلمين . . . وقد تنازع الفقهاء في المنافق الزنديق الذي يكتم زندقته هل يرث ويورث  
على قولين والصحيح انه يرث ويورث وان علم في الباطن انه منافق كما كان الصحابة على عهد النبي صلى  
الله عليه وسلم لأن الميراث مبناه على الموالاة الظاهرة لا على المحبة التي في القلوب فانه لو علق بذلك لم  
تتمكن معرفته والحكمة اذا كانت خفية أو منتشرة علق الحكم بمظهره وهو ما أظهره من موالاة  
المسلمين فقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم لم يدخل فيه المنافقون  
وان كانوا في الآخرة في الدرك الاسفل من النار بل كانوا يورثون ويرثون وكذلك كانوا في الحقوق  
والحدود كسائر المسلمين وقد أخبر الله عنهم انهم يصلون ويذكرون ومع هذا لم يقبل ذلك منهم فقال  
( وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله ورسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا  
ينفقون الا وهم كارهون ) وقال ( ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا  
كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا ) وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال  
تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق يرقب الشمس حتى اذا كانت بين قرني شيطان  
قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها الا قليلا وكانوا يخرجون مع النبي صلى الله عليه وسلم في المغازي كما خرج  
ابن أبي في غزوة بني المصطلق وقال فيها ( لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعرس منها الأذل ) . . . وفي  
الصحيحين عن زيد بن أرقم قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر أصاب الناس فيها شدة فقال  
عبد الله بن أبي لاصحابه لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا الى

المدينة ليخرجن الأعرس منها الأذل فأثيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فأرسلني الي عبد الله بن أبي  
فسأله فاجتهد يمينه ما فعلوا وقالوا كذب زيد يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقع في نفسي مما قالوا شدة  
حتى أنزل الله تصديقي في ( إذا جاءك المنافقون ) فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم فلووا  
رؤسهم وفي غزوة تبوك استغفرهم النبي صلى الله عليه وسلم كما استغفر غيرهم فخرج بعضهم معه وبعضهم  
تخلفوا وكان في الذين خرجوا معه من هم بقتله في الطريق هووا بحل حزام ناقته ليقع في واد هناك فجاءه  
الوحي فأسر الي حذيفة أسماءهم ولذلك يقال هو صاحب السر الذي لا يعلمه غيره كما ثبت ذلك في الصحيح  
ومع هذا ففي الظاهر تجرى عليهم أحكام أهل الايمان وبهذا يظهر الجواب عن شبهات كثيرة تورد في هذا  
المقام فان كثيراً من المتأخرين ما بقي في المظهورين للاسلام عندهم إلا عدل أو فاسق واعرصوا عن حكم  
المنافقين والمنافقون ما زالوا ولا يزالون الي يوم القيامة . . . والنفاق شعب كثيرة وقد كان الصحابة يخافون  
النفاق على أنفسهم ففي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا  
وعد أخلف واذا أئتمن خان وفي لفظ لمسلم وان صام وصلى وزعم أنه مسلم . . . وفي الصحيحين عن  
عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه  
شعبة منهن كانت فيه شعبة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا أئتمن خان واذا عاهد غدر واذا  
خاصم فجر وكان النبي صلى الله عليه وسلم أولاً يصلي عليهم ويستغفر لهم حتى نهاه الله عن ذلك فقال  
( ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره ) وقال ( استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر  
لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ) فلم يكن يصلي عليهم ولا يستغفر لهم ولكن دماؤهم وأموالهم معصومة  
لا يستحل منهم ما يستحل من الكفار الذين لا يظهرن أنهم مؤمنين بل يظهرن الكفر دون الايمان  
فانه صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأني رسول الله فاذا  
قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله ولما قال لأسماء بن زيد أقتلته بعد ما قال  
لا اله الا الله قال انما قالها تموداً قال هلا شقت عن قلبه وقال اني لم أومر ان اتعب عن قلوب الناس  
ولا أشق بطونهم وكان اذا استؤذن في قتل رجل يقول أليس يصلي أليس يتشهد فاذا قيل له انه منافق  
قال ذلك فكان صلى الله عليه وسلم حكمه في دماؤهم وأموالهم حكمه في دماء غيرهم لا يستحل منها شيئاً  
الا بأمر ظاهر مع انه كان يعلم نفاق كثير منهم وفيهم من لم يكن يعلم نفاقه قال تعالى ( ومن حولكم من  
الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون  
الي عذاب عظيم ) وكان من مات منهم صلى عليه المسلمون الذين لا يعلمون انه منافق ومن علم انه منافق  
لم يصل عليه وكان عمر اذا مات ميت لم يصل عليه حتى يصلي عليه حذيفة لأن حذيفة كان قد علم أعيانهم  
وقد قال الله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فان  
علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن الي الكفار ) فأمر بامتحنهن هنا وقال ( الله أعلم بايمانهن ) والله  
تعالى لما أمر في الكفارة بعق رقبة مؤمنة لم يكن على الناس أن لا يعتقوا الا من يعلموا أن الايمان في

قلبه فان هذا كما لو قيل لهم اعتقلوا الا من علمتم ان الايمان في قلبه وهم لم يؤمروا أن ينتهبوا عن قلوب  
الناس ولا يشقوا بطونهم فاذا رأوا رجلا يظهر الايمان جاز لهم عققه وصاحب الجارية لما سأل النبي صلى  
الله عليه وسلم هل هي مؤمنة انما أراد الايمان الظاهر الذي يفرق به بين المسلم والكافر وكذلك من  
عليه نذر لم يلزمه أن يعتق الا من علم أن الايمان في قلبه فانه لا يعلم ذلك مطلقاً بل ولا أحدهم من الخلق  
يعلم ذلك مطلقاً . . . وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الخلق والله يقول له ( وعن حولكم من  
الاصحاب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ) فأولئك  
انما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحكم فيهم حكمه في سائر المؤمنين ولو حضرت جنازة أحدهم صلى  
عليها ولم يكن منهاياً عن الصلوة الا على من علم نفاقه والا لزم أن ينتقب عن قلوب الناس ويعلم سرارهم  
وهذا لا يقدر عليه بشر . . . ولهذا لما كشفهم الله بسورة براءة بقوله ومنهم ومنهم صار يعرف نفاق ناس  
منهم لم يكن يعرف نفاقهم قبل ذلك فان الله وصفهم بصفات علمها الناس منهم وما كان الناس يجزمون بأنها  
مستلزمة لنفاقهم وان كان بعضهم يظن ذلك وبعضهم يعلمه فلم يكن نفاقهم معلوماً عند الجماعة بخلاف  
حالمهم لما نزل القرآن . . . ولهذا لما نزلت سورة براءة كتموا النفاق وما بقي يمكنهم من اظهاره أحياناً  
ما كان يمكنهم قبل ذلك وأنزل الله تعالى ( لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في  
بالمدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلاً ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً سنة الله التي  
قد دخلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً ) فلما تواعدوا بالقتل اذا أظهروا النفاق كتموه . . . ولهذا  
لما تنازع الفقهاء في استنابة الزنديق ف قيل يستتاب واستدل من قال ذلك بالمنافقين الذين كان النبي صلى الله  
عليه وسلم يقبل علانيتهم ويكل أمرهم الى الله فيقال له هذا كان في أول الامر وبعد هذا أنزل الله  
( ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً ) فعلموا أنهم ان أظهروه كما كانوا يظهرونه قتلوا فكتموه  
والزنديق هو المنافق وانما يقتله من يقتله اذا ظهر منه انه يكتم النفاق قالوا ولا تعلم توبته لأن غاية ما عنده  
انه يظهر ما كان يظهر وقد كان يظهر الايمان وهو منافق ولو قبلت توبة الزادقة لم يكن سبيل الي تفتيهم  
والقرآن قد تواعدهم بالقتيل . . . والمقصود ان النبي صلى الله عليه وسلم انما أخبر عن تلك الأمة بالايمان  
الظاهر الذي علقته به الاحكام الظاهرة والا فقد ثبت عنه ان سعداً لما شهد لرجل انه مؤمن قال أو مسلم  
وكان يظهر من الايمان ما تظهره الأمة وزيادة فيجب أن يفرق بين أحكام المؤمنين الظاهرة التي يحكم  
فيها الناس في الدنيا وبين حكمهم في الآخرة بالثواب والعقاب فالؤمن المستحق للجنة لا بد أن يكون  
مؤمناً في الباطن باتفاق جميع أهل القبلة حتى الكرامية الذين يسمون المنافق مؤمناً ويقولون الايمان هو  
الكلمة يقولون انه لا ينفع في الآخرة الا الايمان الباطن وقد حكى بعضهم عنهم أنهم يجعلون المنافقين من  
أهل الجنة وغلط عليهم انما نازعوا في الاسم لا في الحكم بسبب شبهة المرجئة في ان الايمان لا يتبعض  
ولا يتفاضل ولهذا أكثر ما شرط الفقهاء في الرقة التي تجزي في الكفارة العمل الظاهر فتنازعوا هل  
يجزي الصغير على قولين معروفين للسلف هما روايتان عن أحمد ف قيل لا يجزي عقته لان الايمان قول

وعمل والصغير لم يؤمن بنفسه انما ايمانه تبع لابويه في احكام الدنيا ولم يشترط احد ان يعلم انه مؤمن في الباطن وقيل بل يجزئ عتقه لان العتق من الاحكام الظاهرة وهو تبع لابويه فكما انه يرث منهما ويصلى عليه ولا يصلى الا على مؤمن فانه يعتق وكذلك المنافقون الذين لم يظهروا نفاقهم يصلى عليهم اذا ماتوا ويدفنون في مقابر المسلمين من عهد النبي صلى الله عليه وسلم والمقبرة التي كانت للمسلمين في حياته وحياته خلفائه واصحابه يدفن فيها كل من اظهر الايمان وان كان منافقاً في الباطن لم يكن للمنافقين مقبرة يتميزون بها عن المسلمين في شيء من ديار الاسلام كما يكون لليهود والنصارى مقبرة يتميزون بها ومن دفن في مقابر المسلمين صلى عليه المسلمون والصلاة لا تجوز على من علم نفاقه بنص القرآن فعمل ان ذلك بناء على الايمان الظاهر والله يتولي السرائر وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي عليهم ويستغفر لهم حتى نهي عن ذلك وعمل ذلك بالكفر فكان ذلك دليلاً على ان كل من لم يعلم انه كافر بالباطن جازت الصلاة عليه والاستغفار له وان كانت فيه بدعة وان كان له ذنوب واذا ترك الامام أو أهل العلم والدين الصلاة على بعض المتظاهرين ببدعة أو فجور زجراً عنها لم يكن ذلك محرماً للصلاة عليه والاستغفار له بل قال النبي صلى الله عليه وسلم فيمن كان يمتنع عن الصلاة عليه وهو الغل وقاتل نفسه والمدين الذي لا وفاء له صلوا على صاحبكم وروى انه كان يستغفر للرجل في الباطن وان كان في الظاهر يدع ذلك زجراً عن مثل مذهبه كما روى في حديث علم بن جثامة وليس في الكتاب والسنة المظهرين للاسلام الاقسام مؤمن أو منافق فالنفاق في الدرك الاسفل من النار والآخر مؤمن ثم قد يكون ناقص الايمان فلا يتناول الاسم المطلق وقد يكون تام الايمان وهذا يأتي الكلام عليه ان شاء الله في مسألة الاسلام والايمان وأسماء الفساق من أهل الملة لكن المقصود هنا انه لا يجعل أحد بمجرد ذنب يذنبه ولا ببدعة ابتدئها ولو دعا الناس اليها كافرأ في الباطن الا اذا كان منافقاً فأما من كان في قلبه الايمان بالرسول وما جاء به وقد غلط في بعض ما تأوله من البدع فهذا ليس بكافر أصلاً والخواارج كانوا من أظهر الناس بدعة وقتلوا للامة وتكفيرا لها ولم يكن في الصحابة من يكفرهم لا على بن أبي طالب ولا غيره بل حكموا فيهم بحكمهم في المسلمين الظالمين المعتدين كما ذكرت الآثار عنهم بذلك في غير هذا الموضوع وكذلك سائر الثنتين وسبعين فرقة من كان منهم منافقاً فهو كافر في الباطن ومن لم يكن منافقاً بل كان مؤمناً بالله ورسوله في الباطن لم يكن كافرأ في الباطن وان أخطأ في التأويل كأنما كان خطأ وقد يكون في بعضهم شعبة من شعب النفاق ولا يكون فيه النفاق الذي يكون صاحبه في الدرك الاسفل من النار ومن قال ان الثنتين وسبعين فرقة كل واحد منهم يكفر كافرأ ينقل عن الملة فقد خالف الكتاب والسنة واجماع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بل واجماع الأئمة الاربعة وغير الاربعة فليس فيهم من كفر كل واحد من الثنتين وسبعين فرقة وانما يكفر بعضهم بعضاً ببعض المقالات كما قد بسط الكلام عليهم في غير هذا الموضوع وانما قال الأئمة بكفر هذا لان هذا فرض مالا يقع فيمتنع أن يكون الرجل لا يفعل شيئاً مما أمر به من الصلاة والزكاة والصيام والحج ويفعل ما يقدر عليه من المحرمات مثل الصلاة بلا وضوء والى غير القبلة

ونكاح الامهات وهو مع ذلك مؤمن في الباطن بل لا يفعل ذلك الا لعدم الايمان الذي في قلبه ولهذا كان  
أصحاب أبي حنيفة يكفرون أنواعا ممن يقول كذا وكذا لما فيه من الاستخفاف ويجهلونه مرتدا ببعض  
هذه الانواع مع النزاع اللفظي الذي بين أصحابه وبين الجمهور في العمل هل هو داخل في اسم الايمان  
أم لا ولهذا فرض متأخرو الفقهاء مسئلة يمتنع وقوعها وهو ان الرجل اذا كان مقرا بوجوب الصلاة  
فدعي اليها وامتنع واستتيب ثلاثا مع تهديده بالقتل فلم يصل حتى قتل هل يموت كافراً أو فاسقاً على قولين  
وهذا الفرض باطل فانه يمتنع في الفطرة أن يكون الرجل يعتقد ان الله فرضها عليه وانه يعاقبه على تركها  
ويصبر على القتل ولا يسجد لله سجدة من غير عنده له في ذلك هذا لا يفعله بشر قط بل ولا يضرب أحد  
ممن يقر بوجوب الصلاة الاصل لا ينتهي الامر الى القتل وسبب ذلك ان القتل ضرر عظيم لا يصبر عليه  
الانسان الا لامر عظيم مثل لزومه لدين يعتقد انه ان فارقه هلك فيصبر عليه حتى يقتل وسواء كان الدين  
حقاً أو باطلاً أما مع اعتقاده ان الفعل يجب عليه باطناً وظاهراً فلا يكون فعل الصلاة أصعب عليه من  
احتمال القتل قط ونظير هذا لو قيل ان رجلاً من أهل السنة قيل له ترض عن أبي بكر وعمر فامتنع عن  
ذلك حتى قتل مع محبته لهما واعتقاده فضلهما ومع عدم الاعذار المانعة من الترضي عنهما فهذا لا يقع قط  
وكذلك لو قيل ان رجلاً يشهد أن محمداً رسول الله باطناً وظاهراً وقد طلب منه ذلك وليس هناك رهبة  
ولا رغبة يمتنع لاجلها فامتنع منها حتى قتل فهذا يمتنع أن يكون في الباطن يشهد أن محمداً رسول الله ولهذا  
كان القول الظاهر من الايمان الذي لانبجاة للعبد الابن عند طاعة السلف والخلف من الأولين والآخريين  
الا الجهمية جهما ومن واقفه فانه اذا قدر انه معذور لكونه أخرس أو لكونه خائفاً من قوم ان أظهر  
الاسلام آذوه ونحو ذلك فهذا يمكن أن لا يتكلم مع إيمان في قلبه كالمكروه على كلمة الكفر قال الله تعالى  
(الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب  
عظيم) وهذه الآية مما يدل على فساد قول جهم فانه جعل كل من تكلم بالكفر من أهل وعيد الكفار  
الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان . فان قيل فقد قال تعالى (ولكن من شرح بالكفر صدرا) قيل وهذا  
موافق لأولها فانه من كفر من غير اكراه فقد شرح بالكفر صدرا والا تناقض أول الآية وآخرها ولو  
كان المراد من كفر هو الشارح صدره وذلك يكون بلا اكراه لم يستثن المكروه فقط بل كان يجب أن  
يستثنى المكروه وغير المكروه اذا لم يشرح صدره واذا تكلم بكلمة الكفر طوعا فقد شرح بها صدره وهي  
كفر وقد دل على ذلك قوله تعالى (يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا  
ان الله مخرج ما تخذرون ولئن سئلتهم ليقولن انما كنا نحوض ونلعب قال ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن  
لا تعذبوا قد كفرتم بعد إيمانكم ان لعنف عن طائفة منكم لعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين) فقد أخبر  
انهم كفروا بعد إيمانهم مع قولهم انا تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له بل كما نحوض ونلعب وبين ان  
الاستهزاء بآيات الله كفر ولا يكون هذا الا ممن شرح صدره بهذا الكلام ولو كان الايمان في قلبه منعه أن  
يتكلم بهذا الكلام والقرآن يبين ان إيمان القلب يستلزم العمل الظاهر بحسبه كقوله تعالى (ويقولون آمنا

بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين) إلى قوله (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) ففي الإيمان عمن تولى عن طاعة الرسول وأخبر أن المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم سسمعوا وأطعوا فيبين أن هذا من لوازم الإيمان

(فصل) فإن قيل فاذا كان الإيمان المطلق يتناول جميع ما أمر الله به ورسوله فحق ذهب بعض ذلك فيلزم تكفير أهل الذنوب كقول الخوارج أو تخليد هم في النار وسلبهم اسم الإيمان بالكيفية كما يقوله المعتزلة وكلا هذين القولين شر من قول المرجئة فإن المرجئة منهم جماعة من العلماء والعباد المذكورين عند الأمة بخير وأما الخوارج والمعتزلة فأهل السنة والجماعة من جميع الطوائف مطبقون على ذمهم قيل أولاً ينبغي أن يعرف أن القول الذي لم يوافق الخوارج والمعتزلة عليه أحد من أهل السنة هو القول بتخليد أهل الكبائر في النار فإن هذا القول من البدع المشهورة وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين على أنه لا يخلد في النار أحد ممن في قلبه مثقال ذرة من إيمان واتفقوا أيضاً على أن نبينا صلى الله عليه وسلم يشفع فيمن يأذن الله له بالشفاعة فيه من أهل الكبائر من أمته وفي الصحيحين عنه أنه قال لكل نبي دعوة مستجابة وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة وهذه الأحاديث المذكورة في مواضعها وقد نقل بعض الناس عن الصحابة في ذلك خلافاً كما روى عن ابن عباس أن القاتل لا توبة له وهذا غلط على الصحابة فإنه لم يقل أحد منهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يشفع لأهل الكبائر ولا قال أنهم يخلدون في النار ولكن ابن عباس في إحدى الروايتين عنه قال أن القاتل لا توبة له وعن أحمد بن حنبل في قبول توبة القاتل روايتان أيضاً والنزاع في التوبة غير النزاع في التخليد وذلك أن القتل يتعلق به حق آدمي فلماذا حصل فيه النزاع وأما قول القائل أن الإيمان إذا ذهب بعضه ذهب كله فهذا ممنوع وهذا هو الأصل الذي تفرعت عنه البدع في الإيمان فإنهم ظنوا أنه متى ذهب بعضه ذهب كله لم يبق منه شيء ثم قالت الخوارج والمعتزلة هو مجموع ما أمر الله به ورسوله وهو الإيمان المطلق كما قاله أهل الحديث قالوا فإذا ذهب شيء منه لم يبق مع صاحبه من الإيمان شيء فيخلد في النار وقالت المرجئة على اختلاف فرقهم لا تذهب الكبائر وترك الواجبات الظاهرة منه إذ لو ذهب شيء منه لم يبق منه شيء فيكون شيئاً واحداً يستوى فيه البر والفاجر ونصوص الرسول وأصحابه تدل على ذهاب بعضه وبقاء بعضه كقوله يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ولهذا كان أهل السنة والحديث على أنه يتفاضل وجمهورهم يقولون يزيد وينقص ومنهم من يقول يزيد ولا يقول ينقص كما روى عن مالك في إحدى الروايتين ومنهم من يقول يتفاضل كعبد الله بن المبارك وقد ثبت لفظ الزيادة والنقصان منه عن الصحابة ولم يعرف فيه مخالف من الصحابة فروى الناس من وجوه كثيرة مشهورة عن حماد بن سلمة عن أبي جعفر عن جده عمير بن حبيب الخطمي وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الإيمان يزيد وينقص قيل له وما زيادته وما نقصانه

قال إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فقلك زيادته وإذا غفلنا ونسينا فقلك نقصانه وروى اسمعيل بن عياش عن جرير بن عثمان عن الحارث بن محمد عن أبي الدرداء قال الإيمان يزيد وينقص وقال أحمد بن حنبل حدثنا يزيد حدثنا جرير بن عثمان قال سمعت أشياخنا أو بعض أشياخنا أن أبا الدرداء قال إن من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه ومن فقه العبد أن يعلم أن يزداد هوأم ينقص وإن من فقه الرجل أن يعلم نزغات الشيطان أني تأتيه وروى اسمعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو عن عبد الله بن ربيعة الحضرمي عن أبي هريرة قال الإيمان يزيد وينقص وقال أحمد بن حنبل حدثنا يزيد بن هرون حدثنا محمد بن طلحة عن زبيد عن ذر قال كان عمر بن الخطاب يقول لأصحابه هلموا نزداد إيماناً فيذكرون الله عز وجل وقال أبو عبيد في الغريب في حديث على أن الإيمان يبدو كقطعة في القلب كلما ازداد الإيمان ازدادت اللمظة يروي ذلك عن عثمان بن عبد الله عن عمرو بن هند الجملی الأصبهي اللمظة مثل النكتة أو نحوها وقال أحمد بن حنبل حدثنا وكيع عن شريك عن هلال عن عبد الله بن عكيم قال سمعت ابن مسعود يقول في دعائه اللهم زدنا إيماناً وبقينا وفقها وروى سفیان الثوري عن جامع بن شداد عن الأسود ابن هلال قال كان معاذ بن جبل يقول لرجل اجلس بنا نؤمن نذكر الله تعالى وروى أبو اليمان حدثنا صفوان عن شريح بن عبيد أن عبد الله بن رواحة كان يأخذ بيد الرجل من أصحابه فيقول قم بنا نؤمن ساعة فجلس في مجلس ذكر وهذه الزيادة اثبتها الصحابة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن كله وصح عن عمار بن ياسر أنه قال ثلاث من كن فيه فقد استكمل الإيمان الانصاف من نفسه والافتقار من الاقتار وبذل السلام للعالم ذكره البخاري في صحيحه وقال جندب بن عبد الله وابن عمر وغيرهما تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيماناً والآثار في هذا كثيرة رواها المصنفون في هذا الباب عن الصحابة والتابعين في كتب كثيرة معروفة والزيادة قد نطق بها القرآن في عدة آيات كقوله تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً) وهذه زيادة إذا تليت عليهم الآيات أي وقت تليت ليس هو تصديقهم بها عند النزول وهذا أمر يجده المؤمن إذا تليت عليه الآيات زاد في قلبه بفهم القرآن ومعرفة معانيه من علم الإيمان ما لم يكن حتى كأنه لم يسمع الآية إلا حينئذ ويحصل في قلبه من الرغبة في الخير والرغبة من الشر ما لم يكن فزاد علمه بالله ومحبه لطاعته وهذا زيادة الإيمان وقال تعالى (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) فهذه الزيادة عند تخوفهم بالعدو لم تكن عند آية نزلت فزادوا يقيناً وتوكلاً على الله وثباتاً على الجهاد وتوحيداً بأن لا يخافوا الخلق بل يخافون الخالق وحده وقال تعالى (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم) وهذه الزيادة ليست مجرد التصديق بأن الله أنزلها بل زادتهم إيماناً بحسب مقتضاها فإن كانت أمراً بالجهاد أو غيره ازدادوا رغبة وإن كانت نهياً عن شيء انتهوا عنه فكهوه ولهذا قال (وهم يستبشرون) والاستبشار غير مجرد التصديق وقال تعالى (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما

أنزل اليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه) والفرح بذلك من زيادة الايمان قال تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) وقال تعالى (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) وقال تعالى (وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين آمنوا ويزداد الذين آمنوا ايمانا) وقال تعالى (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) وهذه نزلت لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الحديدية فحمل السكينة موجبة لزيادة الايمان والسكينة طمأنينة في القلب غير علم القلب وتصديقه ولهذا قال يوم حنين (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها) وقال تعالى (ثاني اثنين اذا هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها) ولم يكن قد نزل يوم حنين قرآن ولا يوم الغار وانما أنزل سكينته وطمأنينته من خوف العدو فلما أنزل السكينة في قلوبهم مرجعهم من الحديدية ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم دل على ان الايمان المزيدي حال للقلب وصفة له وعمل مثل طمأنينته وسكونه ويقينه واليقين قد يكون بالعمل والطمأنينة كما يكون بالعلم والريب المنافي لليقين يكون ريباً في العلم وريباً في طمأنينة القلب ولهذا جاء في الدعاء المأثور اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تباهنا به الى جنتك ومن اليقين ما همون به علينا مصائب الدنيا وفي حديث الصديق الذي رواه أحمد والترمذي وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سلوا الله العافية واليقين فما أعطى أحد بعد اليقين شيئاً خيراً من العافية فسألوهما الله تعالى فاليقين عند المصائب بعد العلم بان الله قدرها سكينته القلب وطمأنينته وتسليمه وهذا من تمام الايمان بالقدر خيره وشره كما قال تعالى (ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه) قال علقمة ويروى عن ابن مسعود هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم انها من عند الله فيرضى ويسلم وقوله تعالى (يهد قلبه) هداة لقلبه هو زيادة في ايمانه كما قال تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى) وقال (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) ولفظ الايمان أكثر ما يذكر في القرآن مقيداً فلا يكون ذلك اللفظ متناولاً لجميع ما أمر الله به بل يشمل موجباته وتمام ما أمر به وحيثئذ يتناول الاسم المطلق قال تعالى (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعونكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخبر حكم من الظلمات الى النور) وقال تعالى في آخر السورة (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويعفر لكم الله غفور رحيم) • وقد قال بعض المفسرين في الآية الاولى انها خطاب لقريش وفي الثانية انها خطاب لليهود والنصارى وليس كذلك فان الله لم يقل قط للكفار (يا أيها الذين آمنوا) ثم قال بعد ذلك (لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدر على شيء من فضل الله) وهذه السورة مدنية باتفاق لم يخاطب بها المشركين بمكة وقد قال (وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعونكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين) وهذا لا يخاطب به كافر وكفار مكة لم يكن أخذ ميثاقهم وانما أخذ ميثاق المؤمنين ببيعهم له فان كل من كان مساماً مهاجراً كان يبائع النبي صلى

الله عليه وسلم كما بايعه الانصار ليلة العقبة وانما دعاهم الى تحقيق الايمان وتكميله باداء ما يجب من تمامه باطنياً وظاهراً كما نسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم في كل صلاة وان كان قد هدى المؤمنين للاقرار بما جاء به الرسول جملة لكن الهداية المفصلة في جميع ما يقولونه ويفعلونه في جميع أمورهم لم تحصل وجميع هذه الهداية المفصلة الخاصة هي من الايمان المأمور به وبذلك يخرجهم الله من الظلمات الى النور

﴿ فصل ﴾ وزيادة الايمان الذي أمر الله به والذي يكون من عبادة المؤمنين من وجوه • أحدها الاجمال والتفصيل فيما أمروا به فانه وان وجب على جميع الخلق الايمان بالله ورسوله ووجب على كل أمة التزام ما يأمر به رسولهم مجملاً فمعلوم أنه لا يجب في أول الامر ما وجب بعد نزول القرآن كله ولا يجب على كل عبد من الايمان المفصل مما أخبر به الرسول ما يجب على من بلغه غيره فمن عرف القرآن والسنة ومعانيها لزمه من الايمان المفصل بذلك ما لا يلزم غيره ولو آمن الرجل بالله وبالرسول باطنياً وظاهراً ثم مات قبل أن يعرف شرائع الدين مات مؤمناً بما وجب عليه من الايمان وليس ما وجب عليه ولا ما وقع عنه مثل ايمان من عرف الشرائع فأمن بها وعمل بها بل ايمان هذا أكمل وجوباً ووقوعاً فان ما وجب عليه من الايمان أكمل وما وقع منه أكمل وقوله تعالى ( اليوم أكملت لكم دينكم ) أي في التشريع بالامر والنهي ليس المراد أن كل واحد من الامة وجب عليه ما يجب على سائر الامة وانه فعل ذلك بل في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه وصف النساء بأنهن ناقصات عقل ودين وجمال نقصان عقلها ان شهادة امرأتين شهادة رجل واحد ونقصان دينها انها اذا حاضت لا تصوم ولا تصلي وهذا النقصان ليس هو نقص مما أمرت فلا تعاقب على هذا النقصان لكن من أمر بالصلاة والصوم ففعله كان دينه كاملاً بالنسبة الى هذه الناقصة الدين • • الوجه الثاني الاجمال والتفصيل فيما وقع منهم فمن آمن بما جاء به الرسول مطلقاً فلم يكذبه قط لكن أعرض عن معرفة أمره ونهيه وخبره وطلب العلم الواجب عليه فلم يعلم الواجب عليه ولم يعمل به بل اتبع هواه وآخر طلب علم ما أمر به فعمل به وآخر طلب علمه فعلمه وآمن به ولم يعمل به فهؤلاء وان اشتركوا في الوجوب لكن من طلب علم التفصيل وعمل به فإيمانه أكمل ممن عرف ما يجب عليه والتزمه وأقر به لكن لم يعمل بذلك كله وهذا المقر بما جاء به الرسول المعترف بذنبه الخائف من عقوبته على ترك العمل أكمل ايمانا ممن لم يطلب معرفة ما أمر به الرسول ولا عمل بذلك ولا هو خائف أن يعاقب بل هو في غفلة عن تفصيل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم مع انه مقر بنبوته باطنياً وظاهراً فكل ما علم القلب ما أخبر به الرسول فصدقته وما أمر به فالتمه كان ذلك زيادة في ايمانه على من لم يحصل له ذلك وان كان معه التزام عام واقرار عام وكذلك من عرف أسماء الله ومعانيها فأمن بها كان ايمانه أكمل ممن لم يعرف تلك الاسماء بل آمن بها ايمانا مجملاً أو عرف بعضها وكلما ازداد الانسان معرفة بأسماء الله وصفاته وآياته كان ايمانه به أكمل • • الثالث ان العلم والتصديق نفسه يكون بعضه أقوى من بعض وأثبت وأبعد عن الشك والريب وهذا أمر يشهد كل أحد من نفسه كما أن الحس الظاهر بالشيء الواحد مثل رؤية الناس للهلال وان اشتركوا فيها فبعضهم تكون رؤيته أتم من بعض

وكذلك سماع الصوت الواحد وشم الرائحة الواحدة وذوق النوع الواحد من الطعام فيكذلك معرفة القلب وتصديقه يتفاضل أعظم من ذلك من وجوه متعددة والمعاني التي يؤمن بها من معاني أسماء الرب وكلامه يتفاضل الناس في معرفتها أعظم من تفاضلهم في معرفة غيرها ٠٠ الرابع ان التصديق المستلزم لعمل القلب أكمل من التصديق الذي لا يستلزم عمله فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل من العلم الذي لا يعمل به وإذا كان شخصان يعملان أن الله حق ورسوله حق والجنة حق والنار حق وهذا علمه أوجب له محبة الله وخشيته والرغبة في الجنة والهرب من النار والآخرة علمه لم يوجب ذلك فعلم الاول أكمل فان قوة المسبب دل على قوة السبب وهذه الامور نشأت عن العلم فالعلم بالمحبوب يستلزم طلبه والعلم بالخوف يستلزم الهرب منه فاذا لم يحصل اللازم دل على ضعف الملزوم ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الخبير كالمعاني فان موسى لما أخبره ربه أن قومه عبدوا العجل لم يلق الا لوح فلما رأهم قد عبدوه ألقاها وليس ذلك لشك موسى في خبر الله لكن الخبر وان جزم بصديق الخبر فقد لا يتصور الخبر به في نفسه كما يتصوره اذا عينه بل يكون قلبه مشغولاً عن تصور الخبر به وان كان مصدقاً به ومعلوم انه عند المعاينة يحصل له من تصور الخبر به ما لم يكن عند الخبر فهذا التصديق أكمل من ذلك التصديق ٠٠ الخامس ان أعمال القلوب مثل محبة الله ورسوله وخشية الله تعالى ورجائه ونحو ذلك هي كلها من الايمان كما دل على ذلك الكتاب والسنة واتفاق السلف وهذه يتفاضل الناس فيها تفاضلاً عظيماً ٠٠ السادس ان الاعمال الظاهرة مع الباطنة هي أيضاً من الايمان والناس يتفاضلون فيها ٠٠ السابع ذكر الانسان بقلبه مأمراً الله به واستحضاره لذلك بحيث لا يكون غافلاً عنه أكمل ممن صدق به وغفل عنه فان الغفلة تضاد كمال العلم والتصديق والذكر والاستحضار يكمل العلم واليقين ٠٠ ولهذا قال عمر بن حبيب من الصحابة اذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فثلك زيادته واذا غفلنا ونسينا وضيعنا فثلك نقصانه وكان معاذ ابن جبل يقول لأصحابه اجلسوا بنا ساعة نؤمن قال تعالى ( ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه ) وقال تعالى ( واذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ) وقال تعالى ( سيدذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى ) ثم كما تذكر الانسان ما عرفه قبل ذلك وعمل به حصل له معرفة شيء آخر لم يكن عرفه قبل ذلك وعرف من معاني أسماء الله وآياته ما لم يكن عرفه قبل ذلك كما في الاثر من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وهذا أمر يجده في نفسه كل مؤمن ٠٠ وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت قال تعالى ( واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً ) وذلك انها تزيدهم علم ما لم يكونوا قبل ذلك علموه وتزيدهم عملاً بذلك العلم وتزيدهم تذكراً لما كانوا نسوه وعملاً بتلك التذكرة وكذلك ما يشاهده العباد من الآيات في الآفاق وفي أنفسهم قال تعالى ( سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ) أي ان القرآن حق ثم قال تعالى ( أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد ) فان الله شهيد في القرآن بما أخبر به فآمن به المؤمن ثم أراهم في الآفاق وفي أنفسهم من الآيات ما يدل على مثل ما أخبر به في القرآن فبينت لهم هذه الآيات ان القرآن حق مع ما كان قد حصل

لهم قبل ذلك وقال تعالى ( أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ) فالآيات المخلوقة والمثبوتة فيها تبصرة وفيها تذكرة تبصرة من العمى وتذكرة من الغفلة فيبصر من لم يكن عرف حتى يعرف ويذكر من عرف ونسى والانسان يقرأ السورة مراراً حتى سورة الفاتحة ويظهر له في أثناء الحال من معانيها ما لم يكن خطر له قبل ذلك حتى كأنها تلك الساعة نزلت فيؤمن بتلك المعاني ويزداد علمه وعمله وهذا موجود في كل من قرأ القرآن بتدبر بخلاف من قرأه مع الغفلة ثم كلما فعل شيئاً مما أمر به استحضر أنه أمر به فصدق الامر فحصل له في تلك الساعة من التصديق في قلبه ما كان غافلاً عنه وان لم يكن مكذباً . . . الثامن ان الانسان قد يكون مكذباً ومنكراً لامور لا يعلم أن الرسول أخبر بها وأمر بها ولو علم ذلك لم يكذب ولم ينكر بل قلبه جازم بأنه لا يخبر الا بصدق ولا يأمر الا بحق ثم يسمع الآية أو الحديث أو يتدبر ذلك أو يفسر له معناه أو يظهر له ذلك بوجه من الوجوه فيصدق بما كان مكذباً به ويعرف ما كان منكراً وهذا تصديق جديد وايمان جديد ازداد به ايمانه ولم يكن قبل ذلك كافراً بل جاهلاً وهذا وان أشبهه الجمل والمفصل لكون صاحب الجمل قد يكون قلبه سليماً عن تكذيب وتصديق لشي من التفاصيل وعن معرفة وانكار لشي من ذلك فيأتيه التفصيل بعد الاجمال على قلب ساذج وأما كثير من الناس بل من أهل العلوم والعبادات فيقوم بقلوبهم من التفصيل أمور كثيرة تخالف ما جاء به الرسول وهم لا يعرفون انها تخالف فاذا عرفوا رجعوا وكل من ابتدع في الدين قولاً أخطأ فيه أو عمل عملاً أخطأ فيه وهو مؤمن بالرسول أو عرف ما قاله وآمن به لم يعدل عنه هو من هذا الباب وكل مبتدع قصده متابعة الرسول فهو من هذا الباب فمن علم ما جاء به الرسول وعمل به أكمل ممن أخطأ ذلك ومن علم الصواب بعد الخطأ وعمل به فهو أكمل ممن لم يكن كذلك

﴿ فصل ﴾ وقد أثبت في القرآن اسلاماً بلا ايمان في قوله تعالى ( قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً ) . . . وقد ثبت في الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص قال أعطي النبي صلى الله عليه وسلم رهطاً وفي رواية قسم قسماً وترك فيهم من لم يعطه وهو أعجبهم الي فقلت يا رسول الله مالك عن فلان فوالله اني لأراه مؤمناً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مسلماً أقولها ثلاثاً ويردها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً ثم قال اني لاعطي الرجل وغيره أحب الي منه مخافة أن يكبه الله في النار وفي رواية فضرب بين عنقي وكنتي وقال أقتال أي سعد فهذا الاسلام الذي نفي الله عن أهله دخول الايمان في قلوبهم هل هو إسلام يثابون عليه أم هو من جنس اسلام المنافقين فيه قولان مشهوران للسلف والخلف احدهما انه اسلام يثابون عليه ويخرجهم من الكفر والنفاق وهذا مروى عن الحسن وابن سيرين وابراهيم النخعي وابي جعفر الباقر وهو قول حماد بن زيد وأحمد بن حنبل وشهيد بن عبد الله التستري وأبي طالب المكي وكثير من أهل الحديث والسنة والحقائق قال أحمد ابن حنبل حدثنا مؤمل عن عمار بن زيد قال

سمعت هشاما يقول كان الحسن ومحمد يقولان مسلم ويهابان مؤمن وقال أحمد بن حنبل حدثنا أبو سلمة الخزازي قال قال مالك وشريك وأبو بكر بن عياش وعبد العزيز بن أبي سلمة وحماد بن سلمة وحماد بن زيد الأيمان المعرفة والاقرار والعمل الا ان حماد بن زيد يفرق بين الإسلام والأيمان يجعل الأيمان خاصا والإسلام عاما. والقول الثاني ان هذا الإسلام هو الاستسلام خوف السبي والقتل مثل اسلام المنافقين قال وهؤلاء كفار فان الأيمان لم يدخل في قلوبهم ومن لم يدخل الأيمان في قلبه فهو كافر وهذا اختيار البخاري ومحمد بن نصر المروزي والسلف مختلفون في ذلك قال محمد بن نصر حدثنا اسحاق أنبأنا جرير عن مغيرة قال أتيت ابراهيم النخعي فقلت ان رجلا خاصمني يقال له سعيد العنبري فقال ابراهيم ليس بالعنبري ولكنه زبيدي قوله (قالت الاعراب آمنوا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) فقال هو الاستسلام فقال ابراهيم لاهو الإسلام وقال حدثنا محمد بن يحيى حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن مجاهد قالت الاعراب آمنوا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا قال استسلمنا خوف السبي والقتل ولكن هذا منقطع سفيان لم يدرك مجاهداً والذين قالوا ان هذا الإسلام هو كاسلام المنافقين لا يتأبون عليه قالوا لان الله نفي عنهم الأيمان ومن نفي عنه الأيمان فهو كافر وقال هؤلاء الإسلام هو الأيمان وكل مسلم مؤمن وكل مؤمن مسلم ومن جعل الفساق مسلمين غير مؤمنين لزمه أن لا يجعلهم داخلين في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة) وفي قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة) وأمثال ذلك فانهم ادعوا باسم الأيمان لا باسم الإسلام فمن لم يكن مؤمناً لم يدخل في ذلك وجواب هذا أن يقال الذين قالوا من السلف انهم خرجوا من الأيمان الى الإسلام لم يقولوا انه لم يبق معهم من الأيمان شيء بل هذا قول الخوارج والمعتزلة وأهل السنة الذين قالوا هذا يقولون الفساق يخرجون من النار بالشفاعة وان معهم ايمان يخرجون به من النار لكن لا يطلق عليهم اسم الأيمان لان الأيمان المطلق هو الذي يستحق صاحبه الثواب ودخول الجنة وهؤلاء ليسوا من أهله وهم يدخلون في الخطاب بالأيمان لان الخطاب بذلك هو لمن دخل في الأيمان وان لم يستكمله فانه انما خوطب ليفعل تمام الأيمان فكيف يكون قد آتمه قبل الخطاب والا كنا قد تبينا ان هذا المأمور من الأيمان قبل الخطاب وانما صار من الأيمان بعد ان أمروا به فالخطاب بآيها الذين آمنوا غير قوله (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) ونظائرهم فان الخطاب بآيها الذين آمنوا يدخل فيه من أظهر الأيمان وان كان منافقاً في الباطن يدخل فيه في الظاهر فكيف لا يدخل فيه من لم يكن منافقاً وان لم يكن من المؤمنين حتماً وحقيقة ان من لم يكن من المؤمنين حقاً يقال فيه انه مسلم ومعه ايمان يمنع الخلود في النار وهذا متفق عليه بين أهل السنة لكن هل يطلق عليه اسم الأيمان هذا هو الذي تنازعوا فيه فقيل يقال مسلم ولا يقال مؤمن وقيل بل يقال مؤمن والتحقيق أن يقال انه مؤمن ناقص الأيمان مؤمن بايمانه فاسق بكبيرته ولا يعطي الاسم المطلق فان الكتاب والسنة نفيًا عنه الاسم المطلق واسم الأيمان يتناوله فيما أمر الله به ورسوله لان ذلك ايجاب عليه وتحريم عليه وهو لازم له كما يلزمه غيره وانما الكلام في اسم المدح المطلق وعلى هذا فالخطاب بالأيمان يدخل فيه

ثلاث طوائف يدخل فيه المؤمن حقاً ويدخل فيه المنافق في أحكامه الظاهرة وان كانوا في الآخرة في الدرك الاسفل من النار وهو في الباطن ينفي عنه الاسلام والايمان وفي الظاهر يثبت له الاسلام والايمان الظاهر ويدخل فيه الذين أسلموا ولم يدخل حقيقة الايمان في قلوبهم لكن معهم جزء من الايمان واسلام يثابون عليه ثم قد يكونون مفرطين فيما فرض عليهم وليس معهم من الكبار ما يعاقبون عليه كأهل الكبار لكن يعاقبون على ترك المفروضات وهؤلاء كالأعراب المذكورين في الآية وغيرهم فانهم قالوا آمنا من غير قيام منهم بما أمروا به باطنياً وظاهراً فلا دخلت حقيقة الايمان في قلوبهم ولا جاهدوا في سبيل الله وقد كان دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الجهاد وقد يكونون من أهل الكبار المعرضين للوعيد كالذين يصلون ويذكرون ويجاهدون ويأتون الكبار وهؤلاء لا يخرجون من الاسلام بل هم مسلمون ولكن بينهم نزاع لفظي هل يقال انهم مؤمنون كما سنده ان شاء الله وأما الخوارج والمعتزلة فيخرجونهم من اسم الايمان والاسلام فان الايمان والاسلام عندهم واحد فاذا خرجوا عندهم من الايمان خرجوا من الاسلام لكن الخوارج تقول هم كفار والمعتزلة تقول لا مسلمون ولا كفار ينزلونهم منزلة بين المنزلتين والدليل على ان الاسلام المذكور في الآية هو اسلام يثابون عليه وانهم ليسوا منافقين انه قال (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم) ثم قال (وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً) فدل انهم اذا أطاعوا الله ورسوله مع هذا الاسلام أجرهم الله على الطاعة والمنافق عمله حابط في الآخرة وأيضاً فانه وصفهم بخلاف صفات المنافقين وصفهم بكفر في قلوبهم وانهم يبطنون خلاف ما يظهرون كما قال تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً) الآيات (وقال اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) فلنناقون يصفهم في القرآن بالكذب وانهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم وبان في قلوبهم من الكفر ما يعاقبون عليه وهؤلاء لم يصفهم بشئ من ذلك لكن لما ادعوا الايمان قال للرسول قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً) . . . واني الايمان المطلق لا يستلزم أن يكونوا منافقين كما في قوله (يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين) ثم اقل (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى رءسهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً) ومعلوم انه ليس من لم يكن كذلك يكون منافقاً من أهل الدرك الاسفل من النار بل لا يكون قد أتى بالايمان الواجب فنفي عنه كما ينفي سائر الاسماء عن ترك بعض ما يجب فيها فكذلك الاعراب لم يأتوا بالايمان الواجب فنفي عنهم لذلك وان كانوا مسلمين معهم من الايمان ما يثابون عليه وهذا حال أكثر الداخلين في الاسلام ابتداء بل حال أكثر من لم يعرف حقائق الايمان فان الرجل اذا قوتل حتى أسلم كما كان الكفار يقتلون حتى

يسلموا أو أسلم بعد الاسر وسمع بالاسلام فجاء فأسلم فانه مسلم ملتزم طاعة الرسول ولم تدخل الى قلبه المعرفة بمحائق الايمان فان هذا انما يحصل لمن تيسرت له أسباب ذلك اما بفهم القرآن واما بمباشرة أهل الايمان والافتداء بما يصدر عنهم من الأقوال والاعمال واما بهداية خاصة من الله يهديه بها والانسان قد يظهر له من محاسن الاسلام ما يدعوه الى الدخول فيه وان كان قد ولد عليه وتربى بين أهله فانه يجب فقد ظهر له بعض محاسنه وبعض مساوى الكفار وكثير من هؤلاء قد يرتاب اذا سمع الشبه القادحة فيه ولا يجاهد في سبيل الله فليس هو داخلا في قوله (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) وليس هو منافقاً في الباطن مضمراً للكفر فلا هو من المؤمنين حقاً ولا هو من المنافقين ولا هو أيضاً من أصحاب الكبائر بل يأتي بالطاعات الظاهرة ولا يأتي بمحائق الايمان التي يكون بها من المؤمنين حقاً فهذا معه ايمان وليس هو من المؤمنين حقاً وبشأن على ما فعل من الطاعات ولهذا قال تعالى (ولكن قولوا أسلمنا) ولهذا قال (يؤمنون عليك أن أسلموا قل لا تمدوا على إسلامكم بلى الله يئن عليكم أن هذا كم للايمان ان كنتم صادقين) يعنى في قوله آمنا يقول ان كنتم صادقين فانه يئن عليكم أن هذا كم للايمان وهذا يقتضى انهم قد يكونون صادقين في قولهم آمنا ثم صدقهم اما أن يراد به اتصافهم بأنهم آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون واما أن يراد به انهم لم يكونوا كلنافاقين بلى معهم ايمان وان لم يكن لهم أن يدعوا مطلق الايمان وهذا أشبه والله أعلم لان النسوة الممتحنات قال فيهن (فان علمتهن مؤمنات فلا ترجعهن الى الكفار) ولا يمكن نفي الريب عنهن في المستقبل ولان الله انما كذب المنافقين لم يكذب غيرهم وهؤلاء لم يكنهم ولكن قال لم تؤمنوا كما قال لا يؤمن أحدكم حتى يحب لآخيه ما يحب لنفسه وقوله لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه وهؤلاء ليسوا منافقين . . . وسياق الآية يدل على أن الله ذمهم لكونهم منوا باسلامهم لجهلهم وجمائهم وأظهروا ما في أنفسهم مع علم الله به فان الله تعالى قال (قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض) فلو لم يكن في قلوبهم شيء من الدين لم يكونوا يعلمون الله بدينهم فان الاسلام الظاهر يعرفه كل أحد ودخلت الباء في قوله أتعلمون الله بدينكم لأنه ضمن معنى يخبرون ويحدثون كأنه قال أخبرونه وتحدثونه بدينكم وهو يعلم ما في السموات وما في الارض وسياق الآية يدل على أن الذين أخبروا به الله هو ما ذكره الله عنهم من قولهم آمنا فانهم أخبروا عما في قلوبهم . . . وقد ذكر المفسرون انه لما نزلت هاتان الآيتان أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلفون انهم مؤمنون صادقون فنزل قوله تعالى (قل أتعلمون الله بدينكم) وهذا يدل على انهم كانوا صادقين أولاً في دخولهم في الدين لانه لم تجدد لهم بعد نزول الآية جهاد حتى يدخلوا في الآية انما هو كلام قالوه وهو سبحانه قال ولما يدخل الايمان في قلوبكم ولفظ لما ينفي به ما يقرب حصوله ويحصل غالباً فقوله (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) وقد قال السدي نزلت هذه الآية في أعراب مزينة وجهينة وأسلم وأشجع وغفار وهم الذين ذكرهم الله في سورة الفتح وكانوا يقولون

آمنوا بالله ليؤمنوا على أنفسهم فلما استنفروا الى الحديدية تخلفوا فنزلت فيهم هذه الآية وعن مقاتل كانت منازلهم بين مكة والمدينة وكانوا اذا صرت بهم سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا آمنة ليؤمنوا على دمائهم وأموالهم فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحديدية استنفروهم فلم ينفروا معه وقال مجاهد نزلت في أصحاب بني أسد بن خزيمة ووصف غيره حالهم فقالوا قدموا المدينة في سنة مجدبة فأظهروا الاسلام ولم يكونوا مؤمنين وأفسدوا طريق المدينة بالهدرات وأغلوا أسعارهم وكانوا يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون أئينك بالانقال والعيال فنزلت فيهم هذه الآية وقد قال قتادة في قوله ( يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هذا كم للايمان ان كنتم صادقين ) قال منوا على النبي صلى الله عليه وسلم حين جاؤا فقالوا انا أسلمنا بغير قتال لم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان فقال الله لنبيه ( يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هذا كم للايمان ) وقال مقاتل بن حيان هم أصحاب بني أسد بن خزيمة قالوا يارسول الله أئينك بغير قتال وتركنا العشائر والاموال وكل قبيلة من العرب قاتلتك حتى دخلوا كرها في الاسلام فلنا بذلك عليك حق فأنزل الله تعالى ( يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هذا كم للايمان ان كنتم صادقين ) فله بذلك المن عليكم وفيهم أنزل ( ولا تبطلوا أعمالكم ) ويقال من الكبائر التي ختمت بنا كل موجبة من ركبها ومات عليها لم يتب منها • وهذا كله يبين انهم لم يكونوا كفارا في الباطن ولا كانوا قد دخلوا فيما يجب من الايمان وسورة الحجرات قد ذكرت هذه الاصناف فقال ( ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ) ولم يصفهم بكفر ولا نفاق لكن هؤلاء يخشي عليهم الكفر والنفاق ولهذا ارتد بعضهم لانهم لم يحالطوا الايمان بشاشة قلوبهم وقال بعد ذلك ( يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنياً فتبينوا ) وهذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة وكان قد كذب فيما أخبر قال المفسرون نزلت هذه الآية في الوليد بن عقبة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق ليقبض صدقاتهم وقد كانت بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فسار بعض الطريق ثم رجع فقال انهم منعوا الصدقة وأرادوا قتلي فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فنزلت هذه الآية وهذه الآية معروفة من وجوه كثيرة ثم قال تعالى في تمامها ( واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ) وقال تعالى ( وان طائفتان من المؤمنين أقتلتا فأصلحا بينهما فان بغت احدهما على الاخرى ) الآية ثم نهاهم عن أن يسخر بعضهم ببعض وعن اللمز والتناز بالالقب وقال ( بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ) وقد قيل معناه لاتسميه فاسقاً ولا كافراً بعد ايمانه وهذا ضعيف بل المراد بئس الاسم أن تكونوا فساقا بعد ايمانكم كما قال تعالى في الذي كذب ( ان جاءكم فاسق بنياً فتبينوا ) فسماء فاسقاً • وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سباب المسلم فسوق وقتاله كفر يقول فاذا سابتهم المسلم وسخرتم منه ولمزتموه استحققتهم أن تسموا فساقا وقد قال في آية القذف ( ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون ) يقول فاذا أتيتهم بهذه الامور التي تستحقون بها ان تسموا فساقا كنتم قد استحققتهم اسم الفسوق بعد

الايمان والا فهم في تنازهم ما كانوا يقولون فاسق كافر فان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وبعضهم  
 يلقب بعضاً وقد قال طائفة من المفسرين في هذه الآية لا تسميه بعد الاسلام بذنبه قبل الاسلام كقوله  
 لليهودى اذا أسلم يهودى وهذا مروى عن ابن عباس وطائفة من التابعين كالحسن وسعيد بن جبير  
 وعطاء الخراساني والقرظي وقال عكرمة هو قول الرجل يا كافر يا منافق وقال عبد الرحمن بن زيد هو  
 تسميته بالاعمال كقوله يازانى ياسارق يافاسق وفي تفسير العوفى عن ابن عباس قال هو تعبير الثائب بسينات  
 كان قد عملها ومعلوم ان اسم الكفر واليهودية والزانى والسارق وغير ذلك من السيئات ليست هي اسم  
 الفاسق فعلم ان قوله بأس الاسم الفسوق لم يرد به تسمية المسبوب باسم الفاسق فان تسميته كافراً أعظم بل  
 ان الساب يصير فاسقاً لقوله سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ثم قال ومن لم يتب فأوائك هم الظالمون فجعلهم  
 ظالمين اذا لم يتوبوا من ذلك وان كانوا يدخلون في اسم المؤمنين ثم ذكر النهي عن الغيبة ثم ذكر النهي  
 عن التفاخر بالاحساب وقال ( ان أكرمكم عند الله أتقاكم ) ثم ذكر قول الاعراب آمنا فالسورة تنهى  
 عن هذه المعاصى والذنوب التى فيها تعد على الرسول وعلى المؤمنين فالاعراب المذكورون فيها من جنس  
 المنافقين وأهل السباب والفسوق والمنادين من وراء الحجرات وأمثالهم ليسوا من المنافقين ولهذا قال  
 المفسرون انهم الذين استنفروا عم الحديدية وأولئك وان كانوا من أهل الكبر فم يكونوا فى الباطن  
 كفاراً منافقين قال ابن اسحق لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم العمرة عمرة الحديدية استنفر من  
 حول المدينة من أهل البوادي والاعراب ليخرجوا معه خوفاً من قومه أن يعرضوا له بحرب أو بصد  
 فشاقل عنه كثير منهم فهم الذين عنى الله بقوله ( سيقول لك الخلفون من الاعراب شغلتما أموالنا وأهلونا  
 فاستغفرلنا ) أي ادع الله أن يغفر لنا تخلفنا عنك ( يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ) أي ما يباليون استغفرت  
 لهم أم لم تستغفر لهم وهذا حال الفاسق الذى لا يبالي بالذنب والمنافقون قال فيهم ( واذا قيل لهم تعالوا  
 يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورأيهم يصدون وهم مستكبرون سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر  
 لهم لن يغفر الله لهم ) ولم يقل مثل هذا فى هؤلاء الاعراب بل الآية دليل على أنهم لو صدقوا فى طلب  
 الاستغفار فغفر الله عنهم استغفار الرسول ثم قال ( ستدعون الى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فان  
 تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً وان تتولوا كما توليت من قبله يعذبكم عذاباً أليماً ) فوعدهم الله بالثواب  
 على طاعة الداعى الى الجهاد وتوعدهم بالتولى عن طاعته وهذا خطاب أمثالهم من أهل الذنوب والكبائر  
 بخلاف من هو كافر فى الباطن فانه لا يستحق الثواب بمجرد طاعة الامر حتى يؤمن أولاً ووعيده ليس  
 على مجرد توليه عن الطاعة فى الجهاد فان كفره أعظم من هذا فهذا كله يدل على ان هؤلاء من فساق الملة  
 فان الفسق يكون تارة بترك الفرائض وتارة بفعل المحرمات وهؤلاء لما تركوا ما فرض الله عليهم من الجهاد  
 وحصل عندهم نوع من الريب الذى أضعف ايمانهم لم يكونوا من الصادقين الذين وصفهم وان كانوا  
 صادقين فى أنهم فى الباطن متدينين بدين الاسلام وقول المفسرين لم يكونوا مؤمنين نفي لما نفاه الله عنهم  
 من الايمان كما نفاه عن الزانى والسارق والشارب وعن لا يأمن جاره بوائقه وعن لا يحب لآخيه من

الخبير ما يجيب لنفسه وعمن لا يجيب الى حكم الله ورسوله وأمثال هؤلاء وقد يحتج على ذلك بقوله بئس  
 الاسم الفسوق بعد الايمان كما قال سبب المسلم فسوق وقتاله كفر فدم من استبدل اسم الفسوق بعد  
 الايمان فدل على ان الفاسق لا يسمى مؤمناً فدل ذلك على ان هؤلاء الاعراب من جلس أهل الكبار  
 لا من جلس المنافقين ٥٠ وأما ما نقل من انهم أسلموا خوف القتل والسب فهكذا كان اسلام غير المهاجرين  
 والانصار أسلموا رغبة ورهبة كاسلام الطلقاء من قريش بعد ان قهرهم النبي صلى الله عليه وسلم واسلام  
 المؤلفه قلوبهم من هؤلاء ومن أهل نجد وليس كل من أسلم لرغبة أو رهبة كان من المنافقين الذين هم في  
 الدرك الاسفل من النار بل يدخلون في الاسلام والطاعة وليس في قلوبهم تكذيب ومعاداة للرسول ولا  
 استنارت قلوبهم بنور الايمان واستبصروا فيه وهؤلاء قديحسب اسلام أحدهم فيصير من المؤمنين كأكثر  
 الطلقاء وقديحسب من فساق الملة ومنهم من يصير منافقاً مرتاباً اذا قال له منكر ونكير ما تقول في هذا الرجل  
 الذي بعث فيكم فيقول هاهاه لأدرى سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته وقد تقدم قول من قال انهم أسلموا  
 بغير قتال فهؤلاء كانوا أحسن اسلاماً من غيرهم وان الله انما ذمهم لكونهم منوا بالاسلام وأنزل فيهم ولا  
 تبطلوا أعمالكم وانهم من جنس أهل الكبار وأيضاً قوله (ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم)  
 ولما انما ينتفي بها ما ينتظر ويكون حصوله مترقباً كقوله (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين  
 جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) وقوله (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتيكم مثل الذين خلوا من قبلكم)  
 فقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم يدل على ان دخول الايمان منتظر منهم فان الذي يدخل في الاسلام  
 ابتداء لا يكون قد حصل في قلبه الايمان لكنه يحصل فيما بعد كما في الحديث كان الرجل يسلم أول النهار  
 رغبة في الدنيا فلا يجيء آخر النهار الا والاسلام أحب اليه مما طلعت عليه الشمس ولهذا كان عامة الذين  
 أسلموا رغبة ورهبة دخل الايمان في قلوبهم بعد ذلك وقوله (ولكن قولوا أسلمنا) أمرهم بأن يقولوا ذلك  
 والمنافق لا يؤمر بشيء ثم قال (وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً) والمنافق لا تنفعه  
 طاعة الله ورسوله حتى يؤمن أولاً ٥٥ وهذه الآية مما احتج بها أحمد بن حنبل وغيره على انه يستثني في  
 الايمان دون الاسلام وان أصحاب الكبار يخرجون من الايمان الى الاسلام قال الميموني سألت أحمد بن  
 حنبل عن رأيه في أنا مؤمن ان شاء الله فقال أقول مؤمن ان شاء الله وأقول مسلم ولا استثنى قال قلت لأحمد  
 تفرق بين الاسلام والايمان فقال لي نعم فقلت له بأي شيء تحتج قال لي (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن  
 قولوا أسلمنا) وذكر أشياء وقال الشاذلي سألت أحمد بن حنبل عن قول مؤمن عند نفسه من طريق الاحكام  
 والموارث ولا أعلم ما أنا عند الله قال ليس بمرجيء ٥٥ وقال أبو أيوب سليمان بن داود الهاشمي الاستثناء  
 جائز ومن قال أنا مؤمن حقاً ولم يقل عند الله ولم يستثن ذلك عندي جائز وليس بمرجيء وبه قال  
 أبو خيشمة وابن أبي شيبة وذكر الشاذلي انه سأل أحمد بن حنبل عن المصر على الكبار يطلبه بجهده  
 أي يطلب الذنب بجهده الا أنه لم يترك الصلاة والزكاة والصوم هل يكون مصرأ من كانت هذه حاله قال  
 هو مصر مثل قوله لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن يخرج من الايمان ويقع في الاسلام ومن نحو

قوله ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ومن نحو قول ابن عباس في قوله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون فقلت له ما هذا الكفر قال كفر لا ينتقل عن الملة مثل الايمان بعضه دون بعض فكذلك الكفر حتى يجيء من ذلك أمر لا يختلف فيه وقال ابن أبي شيبة لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن لا يكون مستكمل الايمان يكون ناقصاً من ايمانه . . قال الشاذلي وسألت أحمد عن الايمان والاسلام فقال الايمان قول وعمل والاسلام اقرار قال وبه قال أبو خيشمة وقال ابن أبي شيبة لا يكون اسلام الا بايمان ولا ايمان الا باسلام واذا كان على المخاطبة فقال قد قبلت الايمان فهو داخل في الاسلام واذا قال قد قبلت الاسلام فهو داخل في الايمان . . وقال محمد بن نصر المروزي وحكي غير هؤلاء أنه سأل أحمد بن حنبل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن فقال من أتى هذه الاربعة أو مثلهن أو فوقهن فهو مسلم ولا أسميه مؤمناً ومن أتى دون ذلك يريد دون الكبائر أسميه مؤمناً ناقص الايمان . . قلت أحمد بن حنبل كان يقول تارة بهذا الفرق وتارة كان يذكر الاختلاف ويتوقف وهو المتأخر عنه قال أبو بكر الأثرم في السنة سمعت أبا عبد الله يسأل عن الاستثناء في الايمان ما تقول فيه فقال أما أنا فلا أعيبه أي من الناس من يعيبه قال أبو عبد الله اذا كان يقول ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص فاستثنى مخافة واحتياطاً ليس كما يقولون على الشك انما يستثنى للعمل قال أبو عبد الله قال الله تعالي ( لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله ) أي ان هذا استثناء بغير شك وقال النبي صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون أي لم يكن يشك في هذا وقد استثناء وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم وعليها نبعث ان شاء الله يعني من القبر وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم اني لأرجو أن أكون أخشاكم لله قال هذا كله تقوية للاستثناء في الايمان . . قلت لأبي عبد الله وكأنك لا ترى بأساً أن لا يستثنى فقال اذا كان ممن يقول الايمان قول وعمل يزيد وينقص فهو أسهل عندي ثم قال أبو عبد الله ان قوما تضعف قلوبهم عن الاستثناء كالتعجب منهم وسمعت أبا عبد الله وقيل له شباة أي شيء تقول فقال شباة كان يدعى الارغاء قال وحكي عن شباة قول أخبت من هذه الاقاويل ما سمعت عن أحمد بمثله قال أبو عبد الله قال شباة اذا قال فقد عمل بلسانه كما يقولون فاذا قال فقد عمل بجارحته أي بلسانه حين تكلم به ثم قال أبو عبد الله هذا قول خبيث ما سمعت أحداً يقول به ولا بلغني قيل لأبي عبد الله كنت كتبت عن شباة شيئاً فقال نعم كنت كتبت عنه قديماً يسيراً قبل أن نعلم أنه يقول بهذا قلت لابي عبد الله (١)

كتبت عنه قال لا ولا حرف قيل لابي عبد الله يزعمون ان سفيان كان يذهب الى الاستثناء في الايمان فقال هذا مذهب سفيان المعروف به الاستثناء قلت لابي عبد الله من يرويه عن سفيان فقال كل من حكي عن سفيان في هذا حكاية كان يستثنى قال وقال وكيع عن سفيان الناس عندنا مؤمنون في الاحكام والمواريث ولا ندرى ما هم عند الله قلت لابي عبد الله فأنت بأى شيء تقول فقال نحن نذهب الى الاستثناء قلت

(١) بياض في الاصل ولعله أبعد هذا

لابي عبد الله فاما اذا قال أنا مسلم فلا يستثنى فقال نعم لا يستثنى اذا قال أنا مسلم قلت لابي عبد الله أقول  
 هذا مسلم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وأنا أعلم انه لا يسلم  
 الناس منه فذكر حديث معمر عن الزهري فزى ان الاسلام الكلمة والايمان العمل قال أبو عبد الله  
 حدثناه عبدالرزاق عن معمر عن الزهري قيل لابي عبد الله فنقول الايمان يزيد وينقص فقال حديث  
 النبي صلى الله عليه وسلم يدل على ذلك فذكر قوله اخرجوا من كان في قلبه مثقال كذا اخرجوا من كان  
 في قلبه مثقال كذا فهو يدل على ذلك . . . وذكر عند أبي عبد الله عيسى الاحمر وقوله في الارزاء فقال  
 نعم وذاك خبيث القول . . . وقال أبو عبد الله حدثنا مؤمل حدثنا حماد بن زيد سمعت هشاما يقول كان  
 الحسن ومحمد يقولان مسلم ويهابان مؤمن . . . قلت لابي عبد الله رواه غير سويد قال ما علمت بذلك  
 وسمعت أبا عبد الله يقول الايمان قول وعمل قلت لابي عبد الله فالحديث الذي يروي أعتقها فانها  
 مؤمنة قال ليس كل أحد يقول انها مؤمنة يقولون أعتقها قال ومالك سمعه من هذا الشيخ هلال  
 ابن علي لا يقول فانها مؤمنة قال وقد قال بعضهم بانها مؤمنة فهي تفر بذلك فحكها حكم المؤمنة  
 هذا معناه قلت لابي عبد الله تفرق بين الايمان والاسلام فقال قد اختلف الناس فيه وكان حماد  
 ابن زيد زعموا يفرق بين الايمان والاسلام قيل له من المرجئة قال الذين يقولون الايمان قول بلا عمل  
 قلت فأحمد بن حنبل لم يرد قط انه سلب جميع الايمان فلم يبق معه منه شيء كما تقوله الخوارج والمعتزلة  
 فانه قد صرح في غير موضع بان أهل الكبار معهم ايمان يخرجون به من النار واحتج بقول النبي صلى الله  
 عليه وسلم اخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان وليس هذا قوله ولا قول أحد من  
 أئمة أهل السنة بل كلهم متفقون على ان الفساق الذين ليسوا منافقين معهم شيء من الايمان يخرجون به  
 من النار هو الفارق بينهم وبين الكفار والمنافقين لكن اذا كان معه بعض الايمان لم يلزم أن يدخل في  
 الاسم المطلق الممدوح وصاحب الشرع قد نفي الاسم عن هؤلاء فقال لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن  
 وقال لا يؤمن أحدكم حتى يحب لآخيه من الخير ما يحب لنفسه وقال لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه  
 واقسم على ذلك مرات وقال المؤمن من أمنه الناس على دماءهم وأموالهم والمعتزلة ينفون عنه اسم الايمان  
 بالكلمة واسم الاسلام أيضاً ويقولون ليس معه شيء من الايمان والاسلام ويقولون ننزله منزلة بين منزلتين  
 فهم يقولون انه يخلد في النار لا يخرج منها بالشفاعة وهذا هو الذي أنكر عليهم والا لو نفوا مطلق الاسم  
 وأثبتوا معه شيئاً من الايمان يخرج به من النار لم يكونوا مبتدعة وكل أهل السنة متفقون على انه قد سلب  
 كمال الايمان الواجب فزال بعض ايمانه الواجب لكنه من أهل الوعيد وانما ينازع في ذلك من يقول  
 الايمان لا يتبع من الجهمية والمرجئة فيقولون انه كامل الايمان فالذي ينفي اطلاق الاسم يقول الاسم  
 المطلق مقرون بالمدح واستحقاق الثواب كقولنا متق وبرو على الصراط المستقيم فاذا كان الفاسق لا تطلق  
 عليه هذه الاسماء فكذلك اسم الايمان وأما دخوله في الخطاب فلأن الخطاب باسم الايمان كل من معه  
 شيء منه لانه أمر لهم فعاصيهم لا تسقط عنهم وأما ما ذكره أحمد في الاسلام فاتبع فيه الزهري حيث قال

فكانوا يرون الاسلام الكلمة والايمان العمل في حديث سعد بن أبي وقاص وهذا على وجهين فانه قد يراد به الكلمة بتوابعها من الاعمال الظاهرة وهذا هو الاسلام الذي بينه النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت وقد تراد الكلمة فقط من غير فعل الواجبات الظاهرة وليس هذا هو الذي جمعه النبي صلى الله عليه وسلم الايمان لكن قد يقال اسلام الاعراب كان من هذا فيقال الاعراب وغيرهم كانوا اذا أسلموا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم الزموا بالاعمال الظاهرة الصلاة والزكاة والصيام والحج ولم يكن أحد يترك بمجرد الكلمة بل كان من أظهر المعصية يعاقب عليها وأحمد ان كان أراد في هذه الرواية ان الاسلام هو الشهادتان فقط فكل من قالها فهو مسلم فهذه احدى الروايات عنه والرواية الاخرى لا يكون مسلماً حتى يأتي بها ويصلي فاذا لم يصل كان كافراً والثالثة انه كافر بترك الزكاة أيضاً والرابعة انه يكفر بترك الزكاة اذا قاتل الامام عليها دون ما اذا لم يقاتله وعنده انه لو قال أنا أؤديها ولا أدفعها الى الامام لم يكن للامام أن يقتله وكذلك عنه رواية انه يكفر بترك الصيام والحج اذا عزم انه لا يحج أبداً ومعلوم انه على القول بكفر تارك المباني يمتنع أن يكون الاسلام مجرد الكلمة بل المراد انه اذا أتى بالكلمة دخل في الاسلام وهذا صحيح فانه يشهد له بالاسلام ولا يشهد له بالايمان الذي في القلب ولا يستثنى في هذا الاسلام لانه أمر مشهور لكن الاسلام الذي هو أداء الخمس كما أمر به يقبل الاستثناء فالاسلام الذي لا يستثنى فيه الشهادتان باللسان فقط فانها لا تزيد ولا تنقص فلا استثناء فيه وقد صار الناس في مسمى الاسلام على ثلاثة أقوال قيل هو الايمان وهو اسمان لمسمى واحد وقيل هو الكلمة وهذان القولان لهما وجه سند كره لكن التحقيق ابتداء هو ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الاسلام والايمان ففسر الاسلام بالاعمال الظاهرة والايمان بالايمان بالاصول الخمسة فليس لنا اذا جمعنا بين الاسلام والايمان ان نجيب بغير ما أجاب به النبي صلى الله عليه وسلم وأما اذا افرد اسم الايمان فانه يتضمن الاسلام واذا افرد الاسلام فقد يكون مع الاسلام مؤمناً بلا نزاع وهذا هو الواجب وهل يكون مسلماً ولا يقال له مؤمن قد تقدم الكلام فيه وكذلك هل يستلزم الاسلام للايمان هذا فيه النزاع المذكور وسنبينه والوعده الذي في القرآن بالجنة وبالنجاة من العذاب انما هو معلق باسم الايمان وأما اسم الاسلام مجرداً فما علق به في القرآن دخول الجنة لكنه فرضه وأخبر انه دينه الذي لا يقبل من أحد سواه وبالاسلام بعث الله جميع النبيين قال تعالى (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) وقال (ان الدين عند الله الاسلام) وقال نوح (يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بايات الله فعلى الله توكلت فاجموا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم افضوا الى ولا تنظروني فان توليتهم فاسألتكم من أجر إن أجري الاعلى الله وأمرت أن أكون من المسلمين) وقد أخبر انه لم ينج من العذاب الا المؤمنون فقال (فلنا أحمل فيهم من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول منهم ومن آمن وما آمن معه الا قليل) وقال (وأوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن) وقال نوح (وما أنا بطارد الذين آمنوا) وكذلك أخبر عن ابراهيم ان دينه الاسلام

فقال تعالى (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون) وقال (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفاً واتخذ الله ابراهيم خليلاً) وبمجموع هذين الوصفين علق السعادة فقال (بي من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) كما علقه بالايمان باليوم الآخر والعمل الصالح في قوله ( ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وهذا يدل على ان الاسلام الذي هو اخلاص الدين لله مع الاحسان وهو العمل الصالح الذي أمر الله به هو والايمان المقرون بالعمل الصالح متلازمان فان الوعد على الوصفين وعد واحد وهو الثواب وانتفاء العقاب فان انتفاء الخوف علة تقتضي انتفاء ما يخافه ولهذا قال لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لم يقل لا يخافون فهم لا خوف عليهم وان كانوا يخافون الله ونفى عنهم أن يحزنوا لان الحزن انما يكون على ماض فهم لا يحزنون بحال لا في القبر ولا في عرصات القيامة بخلاف الخوف فانه قد يحصل لهم قبل دخول الجنة ولا خوف عليهم في الباطن كما قال تعالى (الان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون) وأما الاسلام المطلق المجرد فليس في كتاب الله تعليق دخول الجنة به كما في كتاب الله تعليق دخول الجنة بالايمان المطلق المجرد كقوله (سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله) وقال (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم) وقد وصف الخليل ومن اتبعه بالايمان كقوله (فأمن له لوط) ووصفه بذلك فقال (فأى الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون) وقال تعالى (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) ووصفه بأعلى طبقات الايمان وهو أفضل البرية بعد محمد صلى الله عليه وسلم والخليل انما دعا بالرزق للمؤمنين خاصة فقال (وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر) وقال ( واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ) وقال موسى (يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) بعد قوله (فأامن لموسى الاذرية من قومه على خوف من فرعون وملأهم أن يفتنهم) وقال ( وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين ) وقد ذكرنا البشري المطلقة للمؤمنين في قوله ( ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشري للمسلمين ) وقد وصف الله السحرة بالاسلام والايمان معا فقالوا (آمنا برب العالمين رب موسى وهارون) وقالوا ( وما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا) وقالوا ( انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا أول المؤمنين) وقالوا (ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين) • ووصف الله أنبياء بني اسرائيل بالاسلام في قوله ( انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا) والانباء كلهم مؤمنون • • ووصف الحواريين بالايمان والاسلام فقال تعالى ( واذا أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون

قال الحواريون نحن أنصار الله آمننا بالله وأشهد بأننا مسلمون ) • وحقيقة الفرق أن الاسلام دين والدين مصدر دان يدين ديناً اذا خضع وذل ودين الاسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسوله هو الاستسلام لله وحده فأصله في القلب هو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ماسواه فمن عبده وعبده معه الهأ آخر لم يكن مسلماً ومن لم يعبده بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلماً والاسلام هو الاستسلام لله وهو الخضوع له والعبودية له هكذا قال أهل اللغة اسلم الرجل اذا استسلم فالاسلام في الاصل من باب العمل عمل القلب والجوارح •• وأما الايمان فأصله تصديق وقرار ومعرفة فهو من باب قول القلب المتضمن عمل القلب والاصل فيه التصديق والعمل تابع له فلهدنا فسر النبي صلى الله عليه وسلم الايمان بايمان القلب وبخضوعه وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله وفسر الاسلام باستسلام مخصوص وهو المباني الخمس وهكذا في سائر كلامه صلى الله عليه وسلم يفسر الايمان بذلك النوع ويفسر الاسلام بهذا وذلك النوع أعلى •• ولهدنا قال النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام علانية والايمان في القلب فان الاعمال الظاهرة يراها الناس وأما مافي القلب من تصديق ومعرفة وحب وخشية ورجاء فهذا باطن لكن له لوازم قد تدل عليه واللازم لا يدل الا اذا كان ملزوماً فلهدنا كان من لوازمه مايفعله المؤمن والمنافق فلا يدل (١) ففي حديث عبد الله بن عمرو وأبي هريرة جميعاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من آمنه الناس على دمائهم وأموالهم ففسر المسلم بأمر ظاهر وهو سلامة الناس منه وفسر المؤمن بأمر باطن وهو أن يأمنوه على دمائهم وأموالهم وهذه الصفة أعلى من تلك فان من كان مأموناً سلم الناس منه وليس كل من سلموا منه يكون مأموناً فقد يترك أذاهم وهم لا يأمنون اليه خوفاً أن يكون ترك أذاهم لرغبة ورهبة لا لايمان في قلبه وفي حديث عبيد بن عمير عن عمرو بن عبسة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم ماالاسلام قال اطعام الطعام ولين الكلام قال فما الايمان قال السماحة والصبر فاطعام الطعام عمل ظاهر يفعله الانسان لمقاصد متعددة وكذلك لين الكلام وأما السماحة والصبر فخلقان في النفس قال تعالى ( وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة ) وهذا أعلى من ذلك وهو أن يكون صباراً شكوراً فيه سماحة بالرحمة للانسان وصبر على المكروه وهذا ضد الذي خلق هلوفا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا فان ذاك ليس فيه سماحة عند النعمة ولا صبر عند المصيبة وتام الحديث فأى الاسلام أفضل قال من سلم المسلمون من لسانه ويده قال يارسول الله أى المؤمنين أكمل ايمانا قال أحسنهم خلقاً قال يارسول الله أى القتل أشرف قال من أريق دمه وعقر جواده قال يارسول الله فأى الجهاد أفضل قال الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله قال يارسول الله فأى الصدقة أفضل قال جهد المقل قال يارسول الله فأى الصلاة أفضل قال طول القنوت قال يارسول الله فأى الهجرة أفضل قال من هجر السوء وهذا محفوظ عن عبيد بن عمير تارة يروي مرسلات وتارة يروي مسنداً وفي رواية أي الساعات أفضل قال جوف الليل الغابر وقوله أفضل الايمان السماحة والصبر

(١) بياض بالاصل

يروى من وجه آخر عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم ٥٥ وهكذا في سائر الاحاديث انما يفسر  
الاسلام بالاستسلام لله بالقلب مع الاعمال الظاهرة كما في الحديث المعروف الذي رواه أحمد عن بهز بن  
حكيم عن أبيه عن جده أنه قال والله يارسول الله ما أتيتك حتى حلفت عدد أصابعي هذه أن لا آتيتك  
فبالذي بعثك بالحق ما بعثك به قال الاسلام قال وما الاسلام قال أن تسلم قلبك لله وأن توجه وجهك الى  
الله وأن تصلي الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة اخوان نصيران لا يقبل الله من عبد أشرك بعد  
اسلامه وفي رواية قال أن تقول أسلمت وجهي لله وتخلت وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة وكل مسلم على  
مسلم محرم وفي لفظ تقول أسلمت نفسي لله وخلصت وجهي اليه ٥٥ وروى محمد بن نصر من حديث  
خالد بن معدان عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للاسلام ضوءاً ومناراً كمنار  
الطريق من ذلك ان تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وأن تقيم الصلاة وتؤدي الزكاة وتصوم رمضان والامر  
بالمعروف والنهي عن المنكر وتسلم على بني آدم اذا لقيتهم فان ردوا عليك ردت عليك وعليهم الملائكة  
وان لم يردوا عليك ردت عليك الملائكة ولعنتم ان سكت عنهم وتسليمك على اهل بيتك اذا دخلت عليهم  
فمن استقص منهم شيئاً فهو سهم في الاسلام تركه ومن تركه فقد نبذ الاسلام وراء ظهره وقد قال تعالى  
(يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) قال مجاهد وقتادة نزلت في المسلمين يأمرهم بالدخول في شرائع  
الاسلام كلها وهذا لا ينافي قول من قال نزلت فيمن أسلم من اهل الكتاب أو فيمن لم يسلم لان هؤلاء  
كلهم مأمورون أيضاً بذلك والجمهور يقولون في السلم أي في الاسلام وقالت طائفة هو الطاعة وكلاهما  
مأثور عن ابن عباس وكلاهما حق فان الاسلام هو الطاعة كما تقدم انه من باب الاعمال ٥٥ وأما قوله  
كافة فقد قيل المراد ادخلوا كلكم وقيل المراد به ادخلوا في الاسلام جميعه وهذا هو الصحيح فان  
الانسان لا يؤمر بعمل غيره وانما يؤمر بما يقدر عليه وقوله ادخلوا خطاب لهم كلهم فقوله كافة ان أريد  
به مجتمعين لزم أن يترك الانسان الاسلام حتى يسلم غيره فلا يكون الاسلام مأموراً به الا بشرط الغير  
له كالجعة وهذا لا يقوله مسلم وان أريد بكافة أي ادخلوا جميعكم فكل أو امر القرآن كقوله (آمنا بالله  
ورسوله وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) كلها من هذا الباب وما قيل فيها كافة وقوله تعالى (قاتلوا المشركين  
كافة) أي قاتلوهم كلهم لا تدعوا مشركاً حتى تقتلوه فانها أنزلت بعد نبذ اليهود ليس المراد قاتلوهم مجتمعين  
أو جميعكم فان هذا لا يجب بل يقاتلون بحسب المصلحة والجهاد فرض على الكفاية فاذا كانت فرائض  
الاعيان لم يؤكده المأمورين فيها بكافة فكيف يؤكده كذلك في فروض الكفاية وانما المقصود تعميم المقاتلين  
وقوله (كما يقاتلونكم كافة) احتمالان ٥٥ والمقصود ان الله أمر بالدخول في جميع الاسلام كما دل عليه  
هذا الحديث فكل ما كان من الاسلام وجب الدخول فيه فان كان واجباً على الاعيان لزمه فعله وان كان  
واجباً على الكفاية اعتقد وجوبه وعزم عليه اذا تعين أو أخذ بالفضل ففعله وان كان مستحباً اعتقد  
حسنه وأحب فعله وفي حديث جرير أن رجلاً قال يارسول الله صف لي الاسلام قال تشهد أن لا اله الا  
الله وتقر بما جاء من عند الله وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت قال أقررت في قصة

طويلة فيها انه وقع في أخاقيق جردان وانه قتل وكان جائعاً وملكان يدسان في شدقه من ثمار الجنة فقوله  
وتقر بما جاء من عند الله هو الاقرار بأن محمداً رسول الله فانه هو الذي جاء بذلك وفي الحديث الذي  
يرويه أبو سليمان الداراني حديث الوفد الذين قالوا نحن المؤمنون قل فما علامة ايمانكم قالوا خمس عشرة  
خصلة خمس أمرتنا رسولك أن نعمل بهن وخمس أمرتنا رسولك أن نؤمن بهن وخمس تخلقنا بها في الجاهلية  
ونحن عليها في الاسلام الا أن تكره منها شيئاً قال فما الخمس التي أمرتكم رسولك أن تعملوا بها قالوا أن  
نشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت قال  
وما الخمس التي أمرتكم أن تؤمنوا بها قالوا أمرتنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله والبعث بعد  
الموت قال وما الخمس التي تخلقتم بها في الجاهلية وثبت عليها في الاسلام قالوا الصبر عند البلاء والشكر  
عند الرخاء والرضى بمر القضاء والصدق في مواطن اللقاء وترك الشهامة بالاعداء فقال النبي صلى الله عليه  
وسلم علماء حكماة كادوا من صدقهم أن يكونوا أنبياء فقال صلى الله عليه وسلم وأنا أزيدكم خمساً فتم لكم  
عشرون خصلة ان كنتم كما تقولون فلا تجمعوا مالا تأكلون ولا تبنوا مالا تسكنون ولا تنافسوا فيما أنتم  
عنه منتقلون واتقوا الله الذي اليه ترجعون وعليه تعرضون وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون فقد  
فرقوا بين الخمس التي يعمل بها فجعلوها الاسلام والخمس التي يؤمن بها فجعلوها الايمان وجميع الاحاديث  
المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم تدل على مثل هذا وفي الحديث الذي رواه أحمد من حديث أيوب  
عن أبي قلابة عن رجل من أهل الشام عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له أسلم تسلم قال وما  
الاسلام قال أن تسلم قلبك الله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك قال فأبى الاسلام أفضل قال الايمان قال  
وما الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله وبالبعث بعد الموت قال فأبى الايمان أفضل قال  
الهجرة قال وما الهجرة قال أن تهجر السوء قال فأبى الهجرة أفضل قال الجهاد قال وما الجهاد قال أن  
تجاهد الكفار اذا لقيتهم ولا تغلب ولا تخبث ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عملان هما أفضل  
الاعمال الا من عمل بمثلها قالها ثلاثا حجة مبرورة أو عمرة وقوله ما أفضل الاعمال أي بعد الجهاد لقوله  
ثم عملان ففي الحديث جعل الايمان خصوصاً في الاسلام والاسلام أعم منه كما جعل الهجرة خصوصاً  
في الايمان والايان أعم منه وجعل الجهاد خصوصاً من الهجرة والمهاجر أعم منه فالاسلام أن تعبد الله  
وحده لا شريك له مخلصاً له الدين وهذا دين الله الذي لا يقبل من أحد غيره لا من الاولين ولا من  
الآخرين ولا تكون عبادته مع ارسال الرسل اليها الا بما أمرت به رسوله لا بما يضاد ذلك فان ضد ذلك  
معصية وقد ختم الله الرسل بمحمد صلى الله عليه وسلم فلا يكون مسلماً الا من شهد أن لا اله الا الله  
وأن محمداً عبده ورسوله .. وهذه الكلمة بها يدخل الانسان في الاسلام فمن قال الاسلام الكلمة وأراد  
هذا فقد صدق ثم لا بد من التزام ما أمر به الرسول من الاعمال الظاهرة كلباني الخمس ومن ترك من  
ذلك شيئاً نقص اسلامه بقدر ما نقص من ذلك كما في الحديث من انتقص منهن شيئاً فهو سهم من الاسلام  
تركه وهذه الاعمال اذا عملها الانسان مخلصاً لله تعالى فانه يثيبه عليها ولا يكون ذلك الا مع اقراره بقلبه

أنه لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله فيكون معه من الايمان هذا الاقرار وهذا الاقرار لا يستلزم أن يكون صاحبه معه من اليقين ما لا يقبله الريب ولا أن يكون مجاهداً ولا سائر ما يميز به المؤمن عن المسلم الذي ليس بمؤمن وخلق كثير من المسلمين باطنياً وظاهراً معهم هذا الاسلام بلوازمه من الايمان ولم يصلوا الى اليقين والجهاد فهو لاء يثابون على اسلامهم واقرارهم بالرسول مجمل لا يعرفون أنه جاء بكتاب وقد لا يعرفون أنه جاءه ملك ولا أنه أخبر بكذا وإذا لم يبلغهم أن الرسول أخبر بذلك لم يكن عليهم الاقرار المفصل به لكن لا بد من الاقرار بأنه رسول الله وأنه صادق في كل ما يخبر به عن الله ثم الايمان الذي يمتاز به فيه تفصيل وفيه طمأنينة ويقين فهذا متميز بصفته وقدره في الكمية والكيفية فان أولئك معهم من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله وتفصيل المعاد والقدر ما لا يعرفه هؤلاء وأيضاً في قلوبهم من اليقين والثبات ولزوم التصديق لقلوبهم ما ليس مع هؤلاء وأولئك هم المؤمنون حقاً وكل مؤمن لا بد أن يكون مسلماً فان الايمان يستلزم الاعمال وليس كل مسلم مؤمناً هذا الايمان المطلق لان الاستسلام لله والعمل له لا يتوقف على هذا الايمان الخالص وهذا الفرق يجده الانسان من نفسه ويعرفه من غيره فعامه الناس اذا أسلموا بعد كفر وولدوا على الاسلام والتزموا شرائعه وكانوا من أهل الطاعة لله ورسوله فهم مسلمون ومعهم ايمان مجمل ولكن دخول حتمية الايمان الي قلوبهم انما يحصل شيئاً فشيئاً ان أعطاهم الله ذلك والا فكثير من الناس لا يصلون لا الي اليقين ولا الي الجهاد ولو شككوا الشكوا ولو أسروا بالجهاد لما جاهدوا وليسوا كفاراً ولا منافقين بل ليس عندهم من علم القلب ومعرفة و يقينه ما يدركه الريب ولا عندهم من قوة الحب لله ولرسوله ما يقدمونه على الامل والمال وهؤلاء ان عرفوا من الجنة وماتوا دخلوا الجنة وان ابتلوا بمن يورد عليهم شبهات توجب ريبيهم فان لم ينعم الله عليهم بما يزيل الريب والاصاروا مرتابين وانتقلوا الى نوع من النفاق وكذلك اذا تعين عليهم الجهاد ولم يجاهدوا كانوا من أهل الوعيد ولهذا لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أسلم عامة أهلها فلما جاءت الحنة والابتلاء نافق من نافق فلو مات هؤلاء قبل الامتحان لما اتوا على الاسلام ودخلوا الجنة ولم يكونوا من المؤمنين حقاً الذين ابتلوا فظهر صدقهم قال تعالى ( ألم حسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ) وقال تعالى ( ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ) وقال ( ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمان به وان أصابه فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ) ولهذا ذم المنافقين بأنهم دخلوا في الايمان ثم خرجوا منه بقوله تعالى ( ان المنافقين لكاذبون اتخذوا ان ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله الى قوله ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ) وقال في الآية الاخرى ( يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة الى قوله قل بالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعتف عن طائفة منكم لعتب طائفة بأنهم كانوا مجرمين ) فقد أمره ان يقول لهم قد كفرتم بعد ايمانكم وقول من يقول عن مثل هذه الآيات انهم كفروا بعد ايمانهم بلسانهم مع كفرهم أولاً بقلوبهم لا يصح لان الايمان باللسان مع

كفر القلب قد قارنه الكفر فلا يقال قد كفرتم بعد ايمانكم فانهم لم يزالوا كافرين في نفس الامر وان  
أريد انكم أظهرتم الكفر بعد اظهاركم الايمان فهم لم يظهروا للناس الا خواصهم وهم مع خواصهم ما زالوا  
هكذا بل لما نافقوا وحذروا ان تنزل سورة تبين ما في قلوبهم من النفاق وتكلموا بالاستهزاء صاروا كافرين  
بعد ايمانهم ولا يدل اللفظ على انهم ما زالوا منافقين وقد قال تعالى ( يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين  
واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم  
وهو ما لم ينالوا وما نعموا الا ان أغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا بك خيراً لهم وان يتولوا  
يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة ) فهنا قال كفروا بعد اسلامهم فهذا الاسلام قد يكون من جنس  
اسلام الاعراب فيكون قوله بعد ايمانهم وبعد اسلامهم سواء وقد يكونون ما زالوا منافقين فلم يكن لهم  
حال كان معهم فيها من الايمان شيء لكنهم أظهروا الكفر والردة . . ولهذا دعاهم الى التوبة فقال  
فان يتوبوا بك خيراً لهم وان يتولوا بعد التوبة عن التوبة يعذبهم عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة وهذا  
انما هو كمن أظهر الكفر فيجاهده الرسول باقامة الحد والعقوبة . . ولهذا ذكر هذا في سياق قوله  
( جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ) ولهذا قال في تمامها ( وما لهم في الارض من ولي ولا نصير )  
. . وهؤلاء الصنف الذين كفروا بعد اسلامهم غير الذين كفروا بعد ايمانهم فان هؤلاء حلفوا بالله  
ما قالوا وقد قالوا كلمة الكفر التي كفروا بها بعد اسلامهم وهو ما لم ينالوه وهو يدل على أنهم سعوا  
في ذلك فلم يصلوا الى مقصودهم فانه لم يقل هموا بما لم يفعلوا لكن بما لم ينالوا فصدر منهم قول وفعل  
قال تعالى ( ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب ) فاعترفوا واعتذروا ولهذا قيل ( لا تعتذروا  
قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعتف عن طائفة منكم نعتب طائفة ) فدل على أنهم لم يكونوا عند أنفسهم قد  
أنوا كفرة بل ظنوا أن ذلك ليس بكفر فبين أن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر يكفر به صاحبه  
بعد ايمانه فدل على انه كان عندهم ايمان ضعيف ففعلوا هذا المحرم الذي عرفوا أنه محرم ولكن لم يظنوه  
كفرة وكان كفرة كفروا به فانهم لم يعتقدوا جوازه وهكذا قال غير واحد من السلف في صفة  
المنافقين الذين ضرب لهم المثل في سورة البقرة انهم أبصروا ثم عموا وعرفوا ثم انكروا وآمنوا ثم  
كفروا ولذلك قال قتادة ومجاهد ضرب المثل لاقبالهم على المؤمنين وسماعهم ما جاء به  
الرسول وذهب نورهم قال مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله  
ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمى فهم لا يرجعون الي ما كانوا عليه . . وأما  
قول من قال المراد بالنور ما حصل في الدنيا من حقن دماهم وأموالهم فاذا ماتوا سلبوا ذلك الضوء  
كما سلب ذلك النور ضوءه فلغظ الآية يدل على خلاف ذلك فانه قال ( وتركهم في ظلمات لا يبصرون  
صم بكم عمى فهم لا يرجعون ) ويوم القيامة يكونون في العذاب كما قال تعالى ( يوم يقول المنافقون  
والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسورله  
باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب يتادونهم ألم تكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم )

الآية وقد قال غير واحد من السلف ان المنافق يعطى يوم القيامة نوراً ثم يطفأ ولهذا قال تعالي ( يوم لا يحزى الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسمى بين أيديهم وبأيمنهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا ) قال المفسرون اذا رأى المؤمنون نور المنافقين يطفأ سألوا الله أن يتم لهم نورهم ويبلغهم به الجنة قال ابن عباس ليس أحد من المسلمين الا يعطى نوراً يوم القيامة فأما المنافق فيطفى نوره والمؤمن يشفق مما رأى من اطفاء نور المنافق فهو يقول ربنا أتمم لنا نورنا وهو كما قال فقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وهو ثابت من وجوه أخر عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه مسلم من حديث جابر وهو معروف من حديث ابن مسعود وهو أطولها ومن حديث أبي موسى في الحديث الطويل الذي يذكر فيه انه ينادى يوم القيامة ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه وفي رواية فيكشف عن ساقه وفي رواية فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا أذن له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد أنفاً ورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه فيبين أن المنافقين يحشرون مع المؤمنين في الظاهر كما كانوا معهم في الدنيا ثم وقت الحقيقة هؤلاء يسجدون لربهم وأولئك لا يتكلمون من السجود فانهم لم يسجدوا في الدنيا له بل قصدوا الرياء للناس والجزاء في الآخرة هو من جلس العمل في الدنيا فهذا أعطوا نوراً ثم طفى لانهم في الدنيا دخلوا في الايمان ثم خرجوا . . . ولهذا ضرب الله لهم المثل بهذا بذلك وهذا المثل هولم كان فيهم آمن ثم كفر وهؤلاء الذين يعطون في الآخرة نوراً ثم يطفى . ولهذا قال فهم لا يرجعون قال قتادة ومقاتل لا يرجعون عن ضلالهم وقال السدي لا يرجعون الى الاسلام يعني في الباطن والا فهم يظهرونه وهذا المثل انما يكون في الدنيا وهذا المثل مضروب لبعضهم وهم الذين آمنوا ثم كفروا وأما الذين لم يزالوا منافقين فضرب لهم المثل الآخر وهو قوله ( أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ) وهذا أصح القولين فان المفسرين اختلفوا هل المثلان مضروبان لهم كلهم أو هذا المثل لبعضهم على قولين والثاني هو الصواب لأنه قال أو كصيب وانما ثبت بها أحد الامرين فدل ذلك على أنهم مثلهم هذا وهذا فانهم لا يخرجون عن المثلين بل بعضهم يشبه هذا وبعضهم يشبه هذا ولو كانوا كلهم يشبهون المثلين لم يذكر أو بل يذكر الواو العاطفة وقول من قال أو ههنا للتخيير كقولهم جالس الحسن أو ابن سيرين ليس بشيء لان التخيير يكون في الامر لا يكون في الخبر وهذا خبر وكذلك قول من قال أو بمعنى الواو أو لتشكيك المخاطبين أو الابهام عليهم ليس بشيء فان الله يريد بالامثال البيان والتفهم لا يريد التشكيك والابهام . . . والمقصود تفهيم المؤمنين حالهم ويدل على ذلك انه قال في المثل الاول ( ضم بكم عمى ) وقال في الثاني ( يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق

حذر الموت والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ان الله على كل شيء قدير ) فبين في المثل الثاني انهم يسمعون ويبصرون ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم وفي الاول كانوا يبصرون ثم صاروا في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمى وفي الثاني اذا اصابهم البرق مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا فلمهم حالان حال ضياء وحال ظلام والاولون بقوا في الظلمة فالاول حال من كان في ضوء فصار في ظلمة والثاني حال من لم يستقر لاني ضوء ولا في ظلمة بل تختلف عليه الاحوال التي توجب مقامه واسترابته يبين هذا انه سبحانه ضرب للكفار ايضاً مثلين مجرف أو فقال (والذين كفروا اعماهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتي اذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات في بحر لحي يغشاه موج من فوقه موج سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ) فالاول مثل الكفر الذي يحسب صاحبه انه على حق وهو على باطل كمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فانه لا يعلم ولا يعلم انه لا يعلم فلهمذا مثل بسراب بقيعة والثاني مثل الكفر الذي لا يعتقد صاحبه شيئاً بل هو في ظلمات بعضها فوق بعض من عظم جهله لم يكن معه اعتقاد انه على حق بل لم يزل جاهلاً ضالاً في ظلمات متراكمة . . . وايضاً فقد يكون المنافق والكافر تارة متصفاً بهذا الوصف فيكون التقسيم في المثليين لنوع الاشخاص ولتنوع احوالهم وبكل حال فليس ما ضرب له هذا المثل هو مماثل لما ضرب له هذا المثل لاختلاف المثليين صورة ومعنى ولهذا لم يضرب للايمان الا مثل واحد لأن الحق واحد فضرب مثله بالنور وأولئك ضرب لهم المثل بضوء لا حقيقة له كالسراب بالبيعة أو بالظلمات المتراكمة وكذلك المنافق يضرب له المثل بمن ابصر ثم عمى أو هو مضطرب يسمع ويبصر ما لا ينتفع به فتبين أن من المنافقين من كان آمن ثم كفر باطناً وهذا مما استفاض به النقل عند أهل العلم بالحديث والتفسير والسيرة انه كان رجال قد آمنوا ثم ناققوا وكان يجري ذلك لاسباب منها أمر القبلة لما حولت ارتد عن الايمان لاجل ذلك طائفة وكانت محنة امتحن الله بها الناس قال تعالى ( وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ) قال أي اذا حولت والمعنى أن الكعبة هي القبلة التي كان في علمنا أن نجعلها قبلة لكم فان الكعبة ومسجدها وحرمها أفضل بكثير من بيت المقدس وهي بيت العتيق وقبلة ابراهيم وغيره من الانبياء ولم يأمر الله قط أحداً أن يصلي الي بيت المقدس لا موسى ولا عيسى ولا غيرهما فلم نكن لنجعلها قبلة دائماً ولكن جعلناها أولاً قبلة لنتمحن بتحويلك منها الناس فيمتبين من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه فكان في شرعها هذه الحكمة . . . وكذلك أيضاً لما انهزم المسلمون يوم أحد وشجع وجه النبي صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته ارتد طائفة ناققوا قال تعالى ( ولا تنهوا ولا تمننوا واتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ولينحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ) وقال تعالى ( وما اصابكم يوم النقي الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنون وليعلم الذين ناققوا وقيل لهم تعالوا

قاتلوا في سبيل الله أو أوقفوا قالوا لو نعلم قتالا لا تبغنا كم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون) فقوله وليعلم الذين نافقوا ظاهر فيمن أحدث نفاقا وهو يتناول من لم ينافق قبل ومن نافق ثم جدد نفاقا نائياً وقوله هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يبين أنهم لم يكونوا قبل ذلك أقرب منهم بل إما أن يتساوا وإما أن يكونوا الايمان أقرب وكذلك كان فان ابن أبي لما انخزل عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد انخزل ثلث الناس قالوا كانوا نحو ثلاثمائة وهؤلاء لم يكونوا قبل ذلك كلهم منافقين في الباطن إذ لم يكن لهم داع الى النفاق فان ابن أبي كان مظهرا لطاعة النبي صلى الله عليه وسلم والايمان به وكان كل يوم جمعة يقوم خطيباً في المسجد بأمر باتباع النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن مافي قلبه يظهر الا لقليل من الناس ان ظهر وكان معظما في قومه كانوا قد عزموا على أن يتوجه ويجهلوه مثل الملك عليهم فلما جاءت النبوة بطل ذلك فحمله الحسد على النفاق والا فلم يكن هو في الباطن على دين يدعو اليه وانما كان هذا في اليهود فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم بدينه وقد ظهر حسنه ونوره مالت اليه القلوب لاسيما لما نصره الله يوم بدر ونصره من يهود بني قينقاع صار معه الدين والدينا فكان المقتضى للايمان في عامة الانصار قائماً وكان كثير منهم يعظم ابن أبي تعظيماً كثيراً ويواليه ولم يكن ابن أبي أظهر مخالفة توجب الامتياز فلما انخزل يوم أحد وقال يدع رأبي ورأيه ويأخذ برأي الصبيان أو كما قال انخزل معه خلق كثير منهم من لم ينافق قبل ذلك . . . وفي الجملة في الاخبار عن نفاق بعد ايمانه ما يطول ذكره هنا فأولئك كانوا مسلمين وكان معهم ايمان هو الضوء الذي ضرب الله به المثل فلو ماتوا قبل الحنة والنفاق ماتوا على هذا الاسلام الذي يثابون عليه ولم يكونوا من المؤمنين حقاً الذين امتحنوا فثبتوا على الايمان ولا من المنافقين حقاً الذين ارتدوا عن الايمان بالحنة وهذا حال كثير من المسلمين في زماننا وأكثرتهم اذا ابتلوا بالحن التي يتضعف فيها أهل الايمان ينقص ايمانهم كثيراً وينافق كثير منهم ومنهم من يظهر الردة اذا كان العدو غالباً وقد رأينا ورأى غيرنا من هذا ما فيه عبرة واذا كانت العافية أو كان المسلمون ظاهرين على عدوهم كانوا مسلمين وهم مؤمنون بالرسول باطناً وظاهراً لكن ايماناً لا يثبت على الحنة . ولهذا يكثر في هؤلاء ترك الفرائض وانهاك الحارم وهؤلاء من الذين قالوا آمنا فقبل لهم قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم أى الايمان المطلق الذي أهله هم المؤمنون حقاً فان هذا هو الايمان اذا أطلق في كتاب الله تعالى كما دل عليه الكتاب والسنة ولهذا قال تعالى ( انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ) فلم يحصل لهم ريب عند الحن التي تقلقل الايمان في القلوب والريب يكون في علم القاب وفي عمل القاب بخلاف الشك فانه لا يكون الا في العلم ولهذا لا يوصف باليقين الا من اطمان قلبه علماً وعملاً والا فاذا كان علماً بالحق ولكن المصيبة او الخوف اورثه جزاً عظيماً لم يكن صاحب يقين قال تعالى ( هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً ) وكثيراً ما يعرض للمؤمن شعبة من شعب النفاق ثم يتوب الله عليه وقد يرد على قلبه بعض ما يوجب النفاق ويدفعه الله عنه والمؤمن يتلى بوساوس الشيطان بوساوس الكفر التي

يضيق بها صدره كما قالت الصحابة يارسول الله ان احدنا ليجد في نفسه مالمئن يخر من السماء الى الارض  
أحب اليه من أن يتكلم به فقال ذلك صريح الايمان وفي رواية مايتعاضم أن يتكلم به قال الحمد لله الذي  
رد كيده الى الوسوسة أي حصول هذا الوسواس مع هذه الكراهة العظيمة له ودفعه عن القلب هو من  
صريح الايمان كالمجاهد الذي جاءه العدو فدافعه حتى غلبه فهذا عظيم الجهاد والصريح الخالص كاللبن  
الصريح وانما صار صريحاً لما كرهوا تلك الوسوس الشيطانية ودفعوها بخلص الايمان فصار صريحاً ٥٥  
ولا بد لعامة الخلق من هذه الوسوس فمن الناس من يجيها فيصير كافراً أو منافقاً ومنهم من قد غمر قلبه  
الشهوات والذنوب فلا يجيها الا اذا طلب الدين فاما أن يصير مؤمناً واما أن يصير منافقاً ولهذا يعرض  
للناس من الوسوس في الصلاة مالا يعرض لهم اذا لم يصلوا لان الشيطان يكثر تعرضه للعبد اذا اراد الانابة  
الى ربه والتقرب اليه والاتصال به فلهذا يعرض للمصلين مالا يعرض لغيرهم ويعرض للخاصة أهل العلم  
والدين أكثر مما يعرض للعامة ولهذا يوجد عند طلاب العلم والعبادة من الوسوس والشبهات ما ليس عند  
غيرهم لانه لم يسلك شرع الله ومنهاجه بل هو مقبل على هواه في غفلة عن ذكر ربه وهذا مطلوب  
الشيطان بخلاف المتوجهين الى ربهم بالعلم والعبادة فانه عدوهم يطلب صدمهم عن الله قال تعالى ( ان  
الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ) ولهذا أمر قارئ القرآن أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم فان  
قراءة القرآن على الوجه المأمور به تورث القلب الايمان العظيم وتزيده يقيناً وطمانينة وشفاء وقال تعالى  
( ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خساراً ) وقال تعالى ( هذا بيان  
للناس وهدى وموعظة للمتقين ) وقال تعالى ( هدى للمتقين ) وقال تعالى ( فأما الذين آمنوا فزادتهم  
ايماناً وهم يستبشرون ) وهذا مما يجده كل مؤمن من نفسه فالشيطان يريد بوسوسه أن يشغل القلب عن  
الانتفاع بالقرآن فأمر الله القارئ اذا قرأ القرآن أن يستعيذ منه قال تعالى ( فاذا قرأت القرآن فاستعذ  
بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين  
يتولونه والذين هم به مشركون ) فان المستعيذ بالله مستجير به لاجيء اليه مستغيث به من الشيطان فالعائذ  
بغيره مستجير به فاذا عاذ العبد بربه متوكلاً عليه فيعيذه الله من الشيطان ويحيره منه ولذلك قال الله تعالى  
( ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها  
الا ذو حظ عظيم واما ينزغك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ) ٥٥ وفي الصحيحين  
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اتى لاءلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم  
فأمر سبحانه بالاستعاذة عند طلب العبد الخير لئلا يعوقه عنه وعند ما يعرض عليه من الشر ليدفعه عنه  
عند ارادة العبد للحسنات وعند ما يأمره الشيطان بالسيئات ٥٥ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم  
لا يزال الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق الله فمن وجد  
ذلك فليستعذ بالله ولينته فأمر بالاستعاذة عند ما يطلب الشيطان أن يوقعه في شر أو يمنعه من خير كما  
يفعل العدو مع عدوه وكلما كان الانسان أعظم رغبة في العلم والعبادة وأقدر على ذلك من غيره بحيث

تكون قوته على ذلك أقوى ورغبته وارادته في ذلك أتم كان ما يحصل له ان سامه الله من الشيطان أعظم وكان ما يفتن به ان تمكن منه الشيطان أعظم .. ولهذا قال الشعبي كل أمة علماءها شرارها الا المسلمين فان علماءهم خيارهم .. وأهل السنة في الاسلام كالاسلام في الملل وذلك ان كل أمة غير المسلمين فهم ضالون وانما يضلهم علماءهم فعلماءهم شرارهم والمسلمون على هدى وانما يتبين الهدى بعلمائهم فعلماءهم خيارهم وكذلك أهل السنة أتمهم خيار الامة وأمة أهل البدع أضر على الامة من أهل الذنوب .. ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الخوارج ونهى عن قتال الولاة الظالمة وأولئك لهم نعمة في العلم والعبادة فصار يعرض لهم من الوسوس التي تضلهم وهم يظنونها هدي فيطيعونها مالا يعرض لغيرهم ومن سلم من ذلك منهم كان من أمة المتقين مصابيح الهدى وينابيع العلم كما قال ابن مسعود لاصحابه كونوا ينابيع العلم مصابيح الحكمة سرج الليل جدد القلوب أحلاس البيوت خلقان الثياب تعرفون في أهل السماء وتحفون على أهل الارض

﴿ فصل ﴾ ومما ينبغي أن يعلم أن الالفاظ الموجودة في القرآن والحديث اذا صرف تفسيرها وما أريد بها من جهة النبي صلى الله عليه وسلم لم يحتج في ذلك الى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم ولهذا قال الفقهاء الاسماء ثلاثة أنواع نوع يعرف حده بالشرع كالصلاة والزكاة ونوع يعرف حده باللغة كالشمس والقمر ونوع يعرف حده بالعرف كلفظ القبض ولفظ المعروف في قوله ( وعاشروهن بالمعروف ونحو ذلك ) وروي عن ابن عباس أنه قال تفسير القرآن على أربعة أوجه تفسير تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله من ادعى علمه فهو كاذب فاسم الصلاة والزكاة والصيام والحج ونحو ذلك قد بين الرسول صلى الله عليه وسلم ما يراد بها في كلام الله ورسوله وكذلك لفظ الخمر وغيرها ومن هناك يعرف معناها فلو أراد أحد أن يفسرها بغير ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل منه وأما الكلام في اشتقاقها ووجه دلالتها فذاك من جنس علم البيان وتعليل الاحكام هو زيادة في العلم وبيان حكمة الالفاظ القرآن لكن معرفة المراد بها لا يتوقف على هذا واسم الايمان والاسلام والنفاق والكفر هي أعظم من هذا كله فالنبي صلى الله عليه وسلم قد بين المراد بهذه الالفاظ بيانا لا يحتاج معه الى الاستدلال على ذلك بالاشتقاق وشواهد استعمال العرب ونحو ذلك فلماذا يجب الرجوع في مسميات هذه الاسماء الى بيان الله ورسوله فإنه شاف كاف بل معاني هذه الاسماء معلومة من حيث الجملة للخاصة والعامة بل كل من تأمل ما تقول الخوارج والمرجئة في معنى الايمان علم بالاضطرار أنه مخالف للرسول ويعلم بالاضطرار أن طاعة الله ورسوله من تمام الايمان وأنه لم يكن يجعل كل من أذنب ذنباً كافراً ويعلم أنه لو قدر أن قوما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم نحن نؤمن بما جئتنا به بقلوبنا من غير شك ونقر بالسنتنا بالشهادتين الا أنا لا نطيعك في شيء مما أمرت به ونهيت عنه فلا نصل ولا نصوم ولا نحج ولا نصدق الحديث ولا نؤدى الامانة ولا نفي بالعهد ولا نصل الرحم ولا نفعل شيئاً من الخير الذي أمرت به ونشرب الخمر ونسكح ذوات المحارم بالزنا الظاهر وقتل من قدرنا عليه من أصحابك

وأمتك وتأخذ أموالهم بل نقتلك أيضاً ونقاتلك مع أعدائك هل كان يتوهم عاقل أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول لهم أنتم مؤمنون كاملو الايمان وأنتم من أهل شفاعتي يوم القيامة ويرجي لكم أن لا يدخل أحد منكم النار بل كل مسلم يعلم بالاضطرار أنه يقول لهم أنتم أكفر الناس بما جئت به ويضرب رقابهم ان لم يتوبوا من ذلك وكذلك كل مسلم يعلم أن شارب الخمر والزاني والقاذف والسارق لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يجعلهم مرتدين يجب قتلهم بل القرآن والنقل المتواتر عنه يبين أن هؤلاء لهم عقوبات غير عقوبة المرتد عن الاسلام كما ذكر الله في القرآن جلد القاذف والزاني وقطع السارق وهذا متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولو كانوا مرتد لقتلهم فكلا القولين مما يعلم فساد بالاضطرار من دين الرسول صلى الله عليه وسلم . . . وأهل البدع انما دخل عليهم الداخل لانهم أعرضوا عن هذه الطريق وصاروا يبنون دين الاسلام على مقدمات يظنون صحتها إما في دلالة الالفاظ وإما في المعاني المعقولة ولا يتأملون بيان الله ورسوله وكل مقدمات تخالف بيان الله ورسوله فانها تكون ضلالاً ولهذا تكلم أحمد في رسالته المعروفة في الرد على من يتمسك بما يظهر له من القرآن من غير استدلال ببيان الرسول والصحابة والتابعين وكذلك ذكر في رسالته الى أبي عبد الرحمن الجرجاني في الرد على المرجئة وهذه طريقة سائر أئمة المسادين لا يعدلون عن بيان الرسول اذا وجدوا الى ذلك سبيلاً ومن عدل عن سبيلهم وقع في البدع التي مضمونها أنه يقول على الله ورسوله مالا يعلم أو غير الحق وهذا مما حرمه الله ورسوله وقال تعالى في الشيطان (انما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) وقال تعالى (لم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله الا الحق) وهذا من تفسير القرآن بالرأى الذي جاء فيه الحديث من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار . . . مثال ذلك ان المرجئة لما عدلوا عن معرفة كلام الله ورسوله أخذوا يتكلمون في معنى الايمان والاسلام وغيرهما بطرق ابتدعوها مثل أن يقولوا الايمان في اللغة هو التصديق والرسول انما خاطب الناس بلغة العرب لم يغيرها فيكون مراده بالايمان التصديق ثم قالوا والتصديق انما يكون بالقلب واللسان أو بالقلب فالاعمال ليست من الايمان ثم عمدتهم في أن الايمان هو التصديق قوله (وما أنت بمؤمن لنا) أي بمصدق لنا . . . فيقال لهم اسم الايمان قد تكرر ذكره في القرآن أكثر من ذكر سائر الالفاظ وهو أصل الدين وبه يخرج الناس من الظلمات الى النور ويفرق بين السعداء والاشقياء ومن يوالى ومن يعادى والذين كله تابع لهذا وكل مسلم محتاج الى معرفة ذلك فيجوز أن يكون الرسول قد أهمل بيان هذا ووكله الى هاتين المقدمتين ومعلوم أن الشاهد الذي استشهدوا به على أن الايمان هو التصديق انه من القرآن ونقل معنى الايمان متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم وأعظم من تواتر لفظ الكلمة فان الايمان محتاج الى معرفة جميع الامة فينقلونه بخلاف كلمة من سورة فأكثر المؤمنين لم يكونوا يحفظون هذه السورة فلا يجوز أن يجعل بيان أصل الدين مبتدعاً على مثل هذه المقدمات ولهذا كثر النزاع والاضطراب بين الذين عدلوا عن صراط الله المستقيم وسلكوا السبل وصاروا من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ومن الذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات فهذا كلام عام

مطلق ٠٠ ثم يقال هاتان المقدمتان كلاهما ممنوعة فمن الذي قال أن لفظ الايمان مرادف لفظ التصديق وهب أن المعنى يصح اذا -تعمل في هذا الموضوع فلم قلت انه يوجب الترادف ولو قلت ماأنت بمسلم لنا ماأنت بمؤمن لنا صح المعنى لكن لم قلت ان هذا هو المراد بلفظ مؤمن واذا قال الله أقيموا الصلاة ولو قال القائل أتوموا الصلاة ولازموا الصلاة التزموا الصلاة افعلوا الصلاة كان المعنى صحيحاً لكن لايدل هذا على معنى أقيموا فكون اللفظ يرادف اللفظ يراد دلالة على ذلك ثم يقال ليس هو مرادف له وذلك من وجوه ٠٠ أحدها أن يقال للخبر اذا صدقته صدقه ولا يقال آمنه وآمن به بل يقال آمن له كما قال ( فأمن له لوط ) وقال ( فما آمن لموسى الا ذرية من قومه ) وقال فرعون ( آمنتم له قبله ان آذن لكم ) وقالوا النوح ( أنؤمن لك واتبعك الارذلون ) وقال تعالى ( قل أذن خير لكم بالله ويؤمن للمؤمنين ) وقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ) وقال ( وان لم تؤمنوا لي فاعزلون ) ٠٠ فان قيل فقد يقال ماأنت بمصدق لنا ٠٠ قيل اللام تدخل على ما يتعدي بنفسه اذا ضعف عمله اما بتأخيره أو بكونه اسم فاعل أو مصدرأ أو باجتماعهما فيقال فلان يعبد الله ويخافه ويتقيه ثم اذا ذكر باسم الفاعل قيل هو عابد لربه متق لربه خائف لربه وكذلك تقول فلان يهرب الله ثم تقول هو راهب لربه واذا ذكرت الفعل وأخرته تقويه باللام كقوله ( وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ) وقد قال ( فايبي فارهبون ) فعناه بنفسه وهناك ذكر اللام فان هنا قوله فايبي أتم من قوله في وقوله هناك لربهم أتم من قوله ربهم فان الضمير المنفصل المنصوب أكمل من ضمير الجر بالباء وهناك اسم ظاهر فتقويه باللام أولى وأتم من تجربده ومن هذا قوله ( ان كنتم للرؤيا تعبرون ) ويقال عبرت رؤياه وكذلك قوله ( وانهم لنا لغائظون ) وانما يقال غظته لا يقال غظت له ومثله كثير فيقول القائل ماأنت بمصدق لنا أدخل فيه اللام كونه اسم فاعل والا فانما يقال صدقته لا يقال صدقت له ولو ذكروا الفعل لقالوا ما صدقتنا وهذا بخلاف لفظ الايمان فانه تعدي الى الخبر باللام دائماً لا يقال آمنته قط وانما يقال آمنت له كما يقال أقررت فكان تفسيره بلفظ الاقرار أقرب من تفسيره بلفظ التصديق مع أن بينهما فرقا ٠٠ الثاني انه ليس مرادفاً للفظ التصديق في المعنى فان كل مخبر عن مشاهدة أو غيب يقال له في اللغة صدقت كما يقال كذبت فمن قال السماء فوقنا قيل له صدق كما يقال كذب وأما لفظ الايمان فلا يستعمل الا في الخبر عن غائب لم يوجد في الكلام ان من أخبر عن مشاهدة كقوله طلعت الشمس وغربت انه يقال آمنا كما يقال صدقتنا ولهذا المحدثون والشهود ونحوهم يقال صدقتناهم وما يقال آمنا لهم فان الايمان مشتق من الامن فانما يستعمل في خبر يؤتمن عليه الخبر كالأمر الغائب الذي يؤتمن عليه الخبر ولهذا لم يوجد قط في القرآن وغيره لفظ آمن له الا في هذا النوع والاشنان اذا اشتركا في معرفة الشيء يقال صدق أحدهما صاحبه ولا يقال آمن له لانه لم يكن غائباً عنه ائتمنه عليه ولهذا قال ( فأمن له لوط ) أنؤمن لبشرين مثلنا آمنتم له ( يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ) فيصدقهم فيما أخبروا به بما غاب عنه وهو ماأون عنده على ذلك فاللفظ متضمن مع التصديق معنى الاثمان والامانة كما يدل عليه الاستعمال والاشتقاق ولهذا قالوا ( ماأنت بمؤمن لنا ) أي

لا تفر بجزئنا ولا تشق به ولا تطمئن اليه ولو كنا صادقين لانهم لم يكونوا عنده ممن يؤمن على ذلك فلو صدقوا لم يأمن لهم . . الثالث ان لفظ الايمان في اللغة لم يقابل بالتكذيب كلفظ التصديق فانه من المعلوم في اللغة أن كل مخبر يقل له صدقت أو كذبت ويقال صدقناه أو كذبناه ولا يقال لكل مخبر آمنا له أو كذبناه ولا يقال أنت مؤمن له أو مكذب له بل المعروف في مقابلة الايمان لفظ الكفر يقال هو مؤمن أو كافر والكفر لا يختص بالتكذيب بل لو قال أنا أعلم أنك صادق لكن لا أتبعك بل أعاديك وأبغضك وأخالفك ولا أوافقك لكان كفره أعظم فلو كان الكفر المقابل للايمان ليس هو التكذيب فقط علم أن الايمان ليس هو التصديق فقط بل اذا كان الكفر يكون تكديبا ويكون مخالفة ومعادة وامتناعا بلا تكذيب فلا بد أن يكون الايمان تصديقا مع موافقة وموالاتة وانقياد لا يكفي مجرد التصديق فيكون الاسلام جزء مسمي الايمان كما كان الامتناع من الاقياد مع التصديق جزء مسمي الكفر فيجب أن يكون كل مؤمن مسلما منقادا للأمر وهذا هو العمل . . فان قيل فالرسول صلى الله عليه وسلم فسر الايمان بما يؤمن به . . قيل فالرسول ذكر ما يؤمن به لم يذكر ما يؤمن له وهو نفسه يجب أن يؤمن به ويؤمن له فلايمان به من حيث ثبوته غيب عنا أخبرنا بها وليس كل غيب آمنا به علينا أن نطيعه وأما ما يجب من الايمان له فهو الذي يوجب طاعته والرسول يجب الايمان به وله فينبغي أن يعرف هذا وأيضا فان طاعته طاعة لله وطاعة الله من تمام الايمان به . . الرابع ان من الناس من يقول الايمان أصله في اللغة من الامن الذي هو ضد الخوف فآمن أي صار داخل في الامن وأنشدوا . . . . . وأما المقدمة الثانية فيقال انه اذا فرض انه مرادف للتصديق فقوله ان التصديق لا يكون الا بالقلب أو اللسان عنه جوابان . . أحدهما المنع بل الافعال تسمي تصديقا كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال العينان تزنيان وزناهما النظر والاذن تزني وزناها السمع واليد تزني وزناها البطش والرجل تزني وزناها المشي والقلب يتنى ذلك ويشتهى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه وكذلك قل أهل اللغة وطوائف من السلف والخلف قال الجوهري والصدوق مثال الفسيق الدائم التصديق ويكون الذي يصدق قوله بالعمل وقال الحسن البصري ليس الايمان بالتحلى ولا بالتمنى ولكنه ما وقر في القلوب وصدقته الاعمال وهذا مشهور عن الحسن يروى عنه من غير وجه كما رواه عباس الدوري حدثنا حجاج حدثنا أبو عبيدة الناجي عن الحسن قال ليس الايمان بالتحلى ولا بالتمنى ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الاعمال من قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالحا رفعه العمل ذلك بأن الله يقول (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) ورواه ابن بطنة من الوجهين وقوله ليس الايمان بالتمنى يعني الكلام وقوله بالتحلى يعني أن يصير حلية ظاهرة له فيظهره من غير حقيقة من قلبه ومعناه ليس هو ما يظهر من القول ولا من الحلية الظاهرة ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الاعمال فالعمل يصدق أن في القلب ايمانا واذا لم يكن عمل كذب أن في قلبه ايمانا لان ما في القلب مستلزم للعمل الظاهر وانتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم وقد روى محمد بن نصر المروزي بإسناده أن عبد الملك بن مروان كتب الى سعيد بن جبير

يسأله عن هذه المسائل فأجابه عنها . . سألت عن الايمان فلايمان هو التصديق أن يصدق العبد بالله وملائكته وما أنزل من كتاب وما أرسل من رسول وباليوم الآخر وسألت عن التصديق والتصديق أن يعمل العبد بما صدق به من القرآن وما ضعف عن شيء منه وفرط فيه عرف أنه ذنب واستغفر الله وتاب منه ولم يصبر عليه فذلك هو التصديق وتساءل عن الدين فالدين هو العبادة فانك ان تجد رجلا من أهل الدين ترك عبادة أهل دين ثم لا يدخل في دين آخر الا صار لادين له وتساءل عن العبادة والعبادة هي الطاعة ذلك انه من أطاع الله فيما أمره به وفيما نهاه عنه فقد آثر عبادة الله ومن أطاع الشيطان في دينه وعمله فقد عبد الشيطان ألا تري أن الله قال للذين فرطوا ( ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان ) وانما كانت عبادتهم الشيطان انهم أطاعوه في دينهم . . وقال أسد بن موسى حدثنا الوليد بن مسلم عن الاوزاعي حدثنا حسان بن عطية قال الايمان في كتاب الله صار الى العمل قال الله تعالى ( انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ) الآية ثم صيرهم الى العمل فقال ( الذين يقيمون الصلاة وعمارزقناهم ينفقون ) قال وسمعت الاوزاعي يقول قال الله تعالى ( فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين ) والايمان بالله باللسان والتصديق به العمل . . وقال معمر بن الزهري كنا نقول الاسلام بالاقرار والايمان بالعمل والايمان قول وعمل قرينان لا ينفع أحدهما الا بالآخر وما من أحد الا يوزن قوله وعمله فان كان عمله أوزن من قوله سعد الى الله وان كان كلامه أوزن من عمله لم يصعد الى الله ورواه أبو عمر الطلمنكي باستاده المعروف وقال معاوية بن عمرو عن أبي اسحاق الفزاري عن الاوزاعي قال لا يستقيم الايمان الا بالقول ولا يستقيم الايمان والقول الا بالعمل ولا يستقيم الايمان والقول والعمل الا بنية موافقة للسنة . . وكان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الايمان والعمل العمل من الايمان والايمان من العمل وانما الايمان اسم يجمع كما يجمع هذه الاديان اسمها ويصدق العمل فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه وصدق بعمله فذلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها ومن قال بلسانه ولم يعرف بقلبه ولم يصدق بعمله كان في الآخرة من الخاسرين . . وهذا معروف عن غير واحد من السلف والخلف انهم يجعلون العمل مصدقا للقول ورووا ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه معاذ بن أسد حدثنا الفضيل بن عياض عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد أن أبا ذر سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال الايمان الاقرار والتصديق بالعمل ثم تلا ( ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الى قوله وأولئك هم المتقون ) قلت حديث أبي ذر هذا مروى من غير وجه فان كان هذا اللفظ هو لفظ الرسول فلا كلام وان كانوا رووه بالمعنى دل على انه من المعروف في لغتهم انه يقال صدق قوله بعمله وكذلك قال شيخ الاسلام الهروي الايمان تصديق كله . . وكذلك الجواب الثاني انه اذا كان أصله التصديق فهو تصديق مخصوص كما ان الصلاة دعاء مخصوص والحج قصد مخصوص والصيام امسك مخصوص وهذا التصديق له لوازم صارت لوازمه داخلية في مسماه عند الاطلاق فان انتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم ويبقى النزاع لفظياً هل الايمان دال على العمل بالمتضمن أو باللزم وبما ينبغي أن يعرف أن

أكثر التنازع بين أهل السنة في هذه المسئلة هو نزاع لفظي والأفالقائلون بأن الإيمان قول من الفقهاء كحماد بن أبي سليمان وهو أول من قال ذلك ومن اتبعه من أهل الكوفة وغيرهم متفقون مع جميع علماء السنة على أن أصحاب الذنوب داخلون تحت الذم والوعيد وإن قالوا إن إيمانهم كامل كإيمان جبرائيل فهم يقولون إن الإيمان بدون العمل المفروض ومع فعل المحرمات يكون صاحبه مستحقاً للذم والعقاب كما تقوله الجماعة ويقولون أيضاً بأن من أهل الكبائر من يدخل النار كما تقوله الجماعة والذين ينفون عن الفاسق اسم الإيمان من أهل السنة متفقون على أنه لا يدخل في النار فليس بين فقهاء المسئلة نزاع في أصحاب الذنوب إذا كانوا مقرين بظناً وظاهراً بما جاء به الرسول وما تواتر عنه أنهم من أهل الوعيد وأنه يدخل النار منهم من أخرج الله ورسوله بدخوله إليها ولا يدخل منهم فيها أحد ولا يكونون مرتدين مباحي الدماء ولكن الأقوال المتعرفة قول من يقول بتخليد هم في النار كالخوارج والمعتزلة وقول غلاة المرجئة الذين يقولون ما نعلم أن أحداً منهم يدخل النار بل تقف في هذا كله .. وحكى عن بعض غلاة المرجئة الجزم بالنفي العام ويقال للخوارج الذي نفي عن السارق والزاني والشارب وغيرهم الإيمان هو لم يجعلهم مرتدين عن الإسلام بل عاقب هذا بالجلد وهذا بالقطع ولم يقتل أحداً إلا الزاني المحسن ولم يقتله قتل المرتد فإن المرتد يقتل بالسيف بعد الاستنابة وهذا يرحم بالحجارة بلا استنابة فدل ذلك على أنه وإن نفي عنهم الإيمان فليسوا عنده مرتدين عن الإسلام مع ظهور ذنوبهم وليسوا كلنا فقيين الذين كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر فأولئك لم يعاقبهم إلا على ذنب ظاهر .. وبسبب الكلام في مسألة الإيمان تنازع الناس هل في اللغة أسماء شرعية نقلها الشارع عن مسماها في اللغة أو أنها باقية في الشرع على ما كانت عليه في اللغة لكن الشارع زاد في أحكامها لا في معنى الأسماء وهكذا قالوا في اسم الصلاة والزكاة والصيام والحج أنها باقية في كلام الشارع على معناها اللغوي لكن زاد في أحكامها ومقصودهم أن الإيمان هو مجرد التصديق وذلك يحصل بالقلب واللسان وذهبت طائفة ثالثة إلى أن الشارع تصرف فيها تصرف أهل العرف فهي بالنسبة إلى اللغة مجاز وبالنسبة إلى عرف الشارع حنيقة .. والتحقق أن الشارع لم ينقلها ولم يغيرها ولكن استعملها مقيدة لا مطلقة كما يستعمل نظائرها كقوله تعالى ( والله على الناس حج البيت ) فذكر حجاً خاصاً وهو حج البيت وكذلك قوله ( فمن حج البيت أو اعتمر ) فلم يكن لفظ الحج متناولاً لكل قصد بل لقصد مخصوص دل عليه اللفظ نفسه من غير تغيير اللغة والشاهر إذا قال

وأشهد من عوف حولاً كثيرة يحجون سب الزبرقان المزعفرا

كان متكلماً باللغة .. وقد قيل لفظة يحج سب الزبرقان المزعفرا .. ومعلوم أن ذلك الحج المخصوص دلت عليه الإضافة فكذلك الحج المخصوص الذي أمر الله به دلت عليه الإضافة أو التثنية باللام فإذا قيل الحج فرض عليك كانت لام العهد تبين أنه حج البيت وكذلك الزكاة هي اسم لما تزكو به النفس وزكاة النفس زيادة خيرها وذهاب شرها والاحسان إلى الناس من أعظم ما تزكو به النفس كما قال تعالى ( خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها ) وكذلك ترك الفواحش مما تزكو به قال تعالى ( ولولا

فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبداً) وأصل زكاتها بالتوحيد وإخلاص الدين لله قال تعالى  
( وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة ) وهي عند المفسرين التوحيد . . . وقد بين النبي صلى الله عليه  
وسلم مقدار الواجب وسماها الزكاة المفروضة فصار لفظ الزكاة إذا عرف باللام ينصرف إليها لأجل العهد  
ومن الأسماء ما يكون أهل العرف نقلوه وينسبون ذلك إلى الشارع مثل لفظ التيمم فان الله تعالى قال  
( فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ) فلفظ التيمم استعمل في معناه المعروف في اللغة  
فانه أمر بتيمم الصعيد ثم أمر بمسح الوجوه والأيدي منه فصار لفظ التيمم في عرف الفقهاء يدخل فيه  
هذا المسح وليس هو لغة الشارع بل الشارع فرق بين تيمم الصعيد وبين المسح الذي يكون بعده ولفظ  
الايان أمر به مقيداً بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وكذلك لفظ الاسلام بالاستسلام لله رب العالمين  
وكذلك لفظ الكفر مقيداً ولكن لفظ النفاق قد قيل انه لم تكن العرب تكلمت به لكنه مأخوذ من  
كلامهم فان نفاق يشبه خرج ومنه نفقت الدابة اذا ماتت ومنه نفاق اليربوع والنفاق في الارض قال تعالى  
( فان استطعت أن تتبغى نفاقاً في الارض ) فالنفاق هو الذي خرج من الإيمان باطناً بعد دخوله فيه  
ظاهراً وقيد النفاق بأنه نفاق من الإيمان ومن الناس من يسمى من خرج عن طاعة الملك منافقاً عليه  
لكن النفاق الذي في القرآن هو النفاق على الرسول نخطاب الله ورسوله للناس بهذه الأسماء نخطاب  
الناس بغيرها وهو خطاب مقيد خاص لا مطلق يشمل أنواعاً . . . وقد بين الرسول تلك الخصائص والاسم  
دل عليها فلا يقال إنها منقولة ولا أنه زيد في الحكم دون الاسم بل الاسم إنما استعمل على وجه يختص  
بمراد الشارع لم يستعمل مطلقاً وهو إنما قال أقيموا الصلاة بعد أن عرفهم الصلاة المأمور بها فكان التعريف  
منصرفاً إلى الصلاة التي يعرفونها لم ينزل لفظ الصلاة وهم لا يعرفون معناه ولهذا قال من قال في لفظ  
الصلاة انه عام للمعنى اللغوي أو أنه مجمل لترده بين المعنى اللغوي والشرعي ونحو ذلك فأقولهم ضعيفة  
فان هذا اللفظ إنما ورد خبراً أو أمراً فالخبر كقوله ( أرأيت الذي ينهى عبداً اذا صلى ) وسورة اقرأ من  
أول ما نزل من القرآن وكان بعض الكفار إما أبو جهل أو غيره قد نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن  
الصلاة وقال لئن رأيتني يصلي لأطأن عنقه فلما رآه ساجداً رأى من الهول ما أوجب نكوصه على عقبيه  
فاذا قيل أرأيت الذي ينهى عبداً اذا صلى فقد علمت تلك الصلاة الواقعة بلا اجمال في اللفظ ولا عموم  
ثم انه لما فرضت الصلوات الخمس ليلة المعراج أقام النبي صلى الله عليه وسلم لهم الصلوات بمواقيتها صبيحة  
ذلك اليوم وكان جبرائيل يوم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون يأتون بالنبي صلى الله عليه وسلم فاذا  
قيل لهم أقيموا الصلاة عرفوا أنها تلك الصلاة وقيل انه قبل ذلك كانت له صلاتان طرفي النهار فكانت  
أيضاً فلم يخاطبوا باسم من هذه الأسماء الا ومسماه معلوم عندهم فلا اجمال في ذلك ولا يتناول كل ما يسمى  
حجاً ودعاء وصوماً فان هذا إنما يكون اذا كان اللفظ مطلقاً وذلك لم يرد . . . وكذلك الإيمان والاسلام  
وقد كان معنى ذلك عندهم من أظهر الامور وانما سأل جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وهم  
يسمعون وقال هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم ليسين لهم كال هذه الأسماء وحققها التي ينبغي أن

تقصدا لئلا يقتصروا على أدنى مسمياتها وهذا كما في الحديث الصحيح انه قال ليس المسكين هذا الطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان والنمرة والتمران ولكن المسكين الذي لا يجد غناء يغنيه ولا يفتن له فيتصدق عليه ولا يسأل الناس الخافاً فهم كانوا يعرفون المسكين وانه المحتاج وكان ذلك مشهوراً عندهم فيمن يظهر حاجته بالسؤال فينبئ النبي صلى الله عليه وسلم ان الذي يظهر حاجته بالسؤال والناس يعطونه نزول مسكنته باعطاء الناس له والسؤال له بمنزلة الحرفة وهو وان كان مسكيناً يستحق من الزكاة اذا لم يعط من غيرها كفايته فهو اذا وجد من يعطيه كفايته لم يبق مسكيناً وانما المسكين المحتاج الذي لا يسأل ولا يعرف فيعطى فهذا هو الذي يجب أن يقدم في العطاء فانه مسكين قطعاً وذاك مسكنته تندفع بعطاء من يسأله وكذلك قوله الاسلام هو الخمس يريد ان هذا كله واجب داخل في الاسلام فليس للانسان أن يكتبي بالاقرار بالشهادتين وكذلك الايمان يجب أن يكون على هذا الوجه المفصل لا يكتبي فيه بالايمان الجمل ولهذا وصف الاسلام بهذا . . . وقد اتفق المسلمون على أنه من لم يأت بالشهادتين فهو كافر وأما الاعمال الاربعة فاختلّفوا في تكفير تاركها ونحن اذا قلنا أهل السنة متفقون على انه لا يكفر بالذنب فانما يريد به المعاصي كالزنا والشرب وأما هذه المباني ففي تكفير تاركها نزاع مشهور وعن أحمد في ذلك نزاع واحدى الروايات عنه انه يكفر من ترك واحدة منها وهو اختيار أبي بكر وطائفة من أصحاب مالك كابن حبيب وعنه رواية ثانية لا يكفر الا بترك الصلاة والزكاة فقط ورواية ثالثة لا يكفر الا بترك الصلاة والزكاة اذا قاتل الامام عليها واربعة لا يكفر الا بترك الصلاة وخامسة لا يكفر بترك شيء منهن . وهذه أقوال معروفة للسلف قال الحكم بن عتيبة من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر ومن ترك الزكاة متعمداً فقد كفر ومن ترك الحج متعمداً فقد كفر ومن ترك الصوم رمضان متعمداً فقد كفر وقال سعيد بن جبير من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر بالله ومن ترك الزكاة متعمداً فقد كفر بالله ومن ترك الصوم رمضان متعمداً فقد كفر بالله وقال الضحاك لا ترفع الصلاة الا بالزكاة وقال عبد الله بن مسعود من أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة فلا صلاة له رواه أسد بن موسى وقال عبد الله بن عمرو من شرب الخمر مسمياً أصبح مشركاً ومن شربه مصباحاً أمسى مشركاً فقيل لابراهيم النخعي كيف ذلك قال لانه يترك الصلاة قال أبو عبد الله الاخنس في كتابه من شرب المسكر فقد تعرض لترك الصلاة ومن ترك الصلاة فقد خرج من الايمان ومما يوضح ذلك ان جبريل لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الاسلام والايمان والاحسان كان في آخر الامر بمد فرض الحج والحج انما فرض سنة تسع أو عشر . . . وقد اتفق الناس على انه لم يفرض قبل ست من الهجرة ومعلوم ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأمر الناس بالايمان ولم يبين لهم معناه الى ذلك الوقت بل كانوا يعرفون أصل معناه وهذه المسائل لبسطها موضع آخر . . . والمقصود هنا ان من نفي عنه الرسول اسم الايمان أو الاسلام فلا بد أن يكون قد ترك بعض الواجبات فيه وان بقي بعضها ولهذا كان الصحابة والسلف يقولون انه يكون في العبد ايمان ونفاق قال أبو داود السجستاني حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا وكيع عن الاعمش عن شقيق عن أبي المقدم عن أبي يحيى قال سئل حذيفة

عن المنافق قال الذي يصف الاسلام ولا يعمل به وقال أبو دود حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير  
 عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البحتري عن حذيفة قال القلوب أربعة قلب أغلف فذلك قلب  
 الكافر وقلب مصفح وذلك قلب المنافق وقلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب فيه ايمان  
 ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل شجرة يمدها ماء طيب ومثل النفاق مثل قرحة يمدها قيح ودم فأيهما غلب  
 عليه غلب وقد روى مرفوعا وهو في المسند مرفوعا وهذا الذي قاله حذيفة يدل عليه قوله تعالى (هم  
 للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان) فقد كان قبل ذلك فيهم نفاق مغلوب فلما كان يوم أحد غلب نفاقهم فصاروا  
 إلى الكفر أقرب وروى عبد الله بن المبارك عن عوف بن أبي جميلة عن عبد الله بن عمرو بن هند عن  
 علي بن أبي طالب قال ان الايمان يبدو لمظة بيضاء في القلب فكلمها ازداد العبد ايمانا ازداد القلب بياضا  
 حتى اذا استكمل الايمان أبيض القلب كله وان النفاق يبدو لمظة سوداء في القلب فكلمها ازداد العبد نفاقا  
 ازداد القلب سوادا حتى اذا استكمل النفاق اسود القلب وايم الله لوشققتم عن قلب المؤمن لو جدتموه  
 أبيض ولو شققتم عن قلب المنافق والكافر لو جدتموه اسود وقال ابن مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب  
 كما ينبت الماء البقل رواه أحمد وغيره وهذا كبير في كلام السلف يثبتون ان القلب قد يكون فيه ايمان  
 ونفاق والكتاب والسنة يدلان على ذلك فان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر شعب الايمان وذكر شعب  
 النفاق وقال من كانت فيه شعبة منهن كانت فيه شعبة من النفاق حتى يدعها وتلك الشعبة قد يكون معها  
 كثير من شعب الايمان ولهذا قال يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان فعلم ان من كان  
 معه من الايمان أقل القليل لم يخلد في النار وان كان معه كثير من النفاق فهو يعذب في النار على قدر  
 ما معه من ذلك ثم يخرج من النار وعلى هذا فقوله للاعراب (لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل  
 الايمان في قلوبكم) نفي حقيقة دخول الايمان في قلوبهم وذلك لا يمنع أن يكون معهم شعبة منه كما نفاه عن  
 الزاني والسارق ومن لا يجب لآخيه ما يجب لنفسه ومن لا يأمن جاره بوائقه وغير ذلك كما تقدم ذكره  
 فان في القرآن والحديث من نفي عنه الايمان لترك بعض الواجبات شيء كثير وحيثما فنقول من قال من  
 السلف أسلمنا أي استسلمنا خوف السيف وقول من قال هو الاسلام الجميع صحيح فان هذا انما أراد  
 الدخول في الاسلام والاسلام الظاهر يدخل فيه المنافقون فيدخل فيه من كان في قلبه ايمان ونفاق وقد  
 علم انه يخرج من النار في قلبه مثقال ذرة من ايمان بخلاف المنافق المحض الذي قلبه كله اسود فهذا هو الذي  
 يكون في الدرك الأسفل من النار ولهذا كان الصحابة يخشون النفاق على أنفسهم ولم يخافوا التكذيب لله  
 ورسوله فان المؤمن يعلم من نفسه انه لا يكذب الله ورسوله يقينا وهذا مستند من قال أنا مؤمن حقا فانه  
 انما أراد بذلك ما يعلمه من نفسه من التصديق الجازم ولكن الايمان ليس مجرد التصديق بل لا بد من  
 أعمال قلبية تستلزم أعمال ظاهرة كما تقدم حب الله ورسوله من الايمان وحب ما أمر الله به وبغض ما نهى  
 عنه وهذا من أخص الامور بالايمان ولهذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث ان من سرته  
 حسنته وسأته سيئته فهو مؤمن فهذا يجب الحسنة ويفرح بها ويبغض السيئة ويسوؤه فعلها وان فعلها

بشهوة غالبية وهذا الحب والبغض من خصائص الايمان ومعلوم ان الزاني حين يزني انما يزني لحب نفسه  
 لذلك الفعل فلو قام بقلبه خشية الله التي تقهر الشهوة أو حب الله الذي يغلبها لم يزن ولهذا قال تعالى  
 عن يوسف عليه السلام ( كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين ) فمن كان مخلصاً  
 لله حق الاخلاص لم يزن وانما يزني لخلوه عن ذلك وهذا هو الايمان الذي ينزع منه لم ينزع منه نفس  
 التصديق ولهذا قيل هو مسلم وليس بمؤمن فان المسلم المستحق للثواب لا بد أن يكون مصدقاً والا كان منافقاً  
 ليكن ليس كل من صدق قام بقلبه من الاحوال الايمانية الواجبة مثل كمال محبة الله ورسوله ومثل خشية  
 الله والاخلاص له في الاعمال والتوكل عليه بل يكون الرجل مصدقاً بما جاء به الرسول وهو مع ذلك  
 يرأى بأعماله ويكون أهله وماله أحب اليه من الله ورسوله والجهاد في سبيله وقد خوطب بهذا المؤمنون  
 في آخر الامر في سورة براءة فقيل لهم ( ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال  
 أقتنتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا  
 حتى يأتي الله بأمره ان الله لا يهدي القوم الفاسقين ) ومعلوم ان كثيراً من المسلمين أو أكثرهم بهذه  
 الصفة وقد ثبت انه لا يكون الرجل مؤمناً حتى يكون الله ورسوله أحب اية مما سواهما وانما المؤمن من  
 لم يرتب وجاهد بماله ونفسه في سبيل الله فمن لم تقم بقلبه الاحوال الواجبة في الايمان هو الذي نفي عنه  
 الرسول الايمان وان كان معه التصديق والتصديق من الايمان ولا بد أن يكون مع التصديق شيء من حب  
 الله وخشية الله والا فالتصديق الذي لا يكون معه شيء من ذلك ليس ايماناً البتة بل هو كتصديق فرعون  
 واليهود وابليس وهذا هو الذي أنكره السلف على الجهمية قال الحميدي سمعت وكيعاً يقول أهل السنة  
 يقولون الايمان قول وعمل والمرجئة يقولون الايمان قول والجهمية يقولون الايمان المعرفة وفي رواية  
 أخرى عنه وهذا كفر قال محمد بن عمر الكلابي سمعت وكيعاً يقول الجهمية شر من القدرية قال وقال  
 وكيع المرجئة الذين يقولون الاقرار يجزى من العمل ومن قال هذا فقد هلك ومن قال النية تجزى من  
 العمل فهو كفر وهو قول جهم وكذلك قال أحمد بن حنبل ولهذا كان القول ان الايمان قول وعمل عند  
 أهل السنة من شعائر السنة وحكي غير واحد الاجماع على ذلك وقد ذكرنا عن الشافعي رضى الله عنه  
 ما ذكره من الاجماع على ذلك قوله في الام وكان الاجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم  
 يقولون ان الايمان قول وعمل ونية لا يجزى واحد من الثلاثة الا بالآخر وذكر ابن أبي حاتم في مناقبه  
 سمعت حرمة يقول اجتمع حفص الفرد ومصطلان الاباضي عند الشافعي في دار الجروى فتناظرا معه في  
 الايمان فاجتج مصطلان في الزيادة والنقصان يعني وخالاه حفص الفرد فحى الشافعي وتقد المسئلة على ان  
 الايمان قول وعمل يزيد وينقص فطحن حفص الفرد وقطعه وروى أبو عمر الطائفي باسناده المعروف  
 عن موسى بن هارون الجمال قال أملى علينا اسحاق بن راهويه ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص لاشك  
 ان ذلك كما وصفنا وانما عقابنا هذا بالرويات الصحيحة والآثار العامة المحكمة وآحاد أصحاب رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم والتابعين وهم جرا على ذلك وكذلك بعد التابعين من أهل العلم على شيء واحد

لا يختلفون فيه وكذلك في عهد الازاعي بالشام وسفيان الثوري بالعراق ومالك بن أنس بالحجاز ومعمر  
 باليمن على ما فسرنا وبيننا ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص وقال اسحق من ترك الصلاة متمعداً حتى  
 ذهب وقتها الظهر الى المغرب والمغرب الى نصف الليل فانه كافر بالله العظيم يستتاب ثلاثة ايام فان لم يرجع  
 وقال تركها لا يكون كفراً ضربت عنقه يعني تركها وقال ذلك وأما اذا صلى وقال ذلك فهذه مسألة اجتهاد  
 قال واتبعهم على ما وصفنا من بعدهم من عصرنا هذا أهل العلم الا من بين الجماعة واتبع الاهواء المختلفة  
 فأولئك قوم لا يعبأ الله بهم لما بينوا الجماعة . . قال أبو عبيد القاسم بن سلام الامام وله كتاب مصنف في  
 الايمان قال هذه تسمية من كان يقول الايمان قول وعمل يزيد وينقص . . من أهل مكة عبيد بن عمير الليثي  
 عطاء بن أبي رباح مجاهد بن جبراء بن أبي مليكة عمرو بن دينار ابن أبي نجيح عبيد الله بن عمر عبد الله بن  
 عمرو بن عثمان عبد الملك بن جريج نافع بن جبير داود بن عبد الرحمن العطار عبد الله بن رجاء . . ومن  
 أهل المدينة محمد بن شهاب الزهري ربيعة بن أبي عبد الرحمن أبو حازم الاعرج سعيد بن ابراهيم بن عبد  
 الرحمن يحيى بن سعيد الانصاري هشام بن عمرو بن الزبير عبد الله بن عمر العمري مالك بن أنس محمد بن  
 أبي ذئب سليمان بن بلال عبد العزيز بن عبد الله يعني الماجشون عبد العزيز بن أبي حازم . . ومن أهل اليمن  
 طاوس اليمني وهب بن منبه معمر بن راشد عبد الرزاق بن همام . . ومن أهل مصر والشام مكحول  
 الازاعي سعيد بن عبد العزيز الوليد بن مسلم يونس بن يزيد الايلي يزيد بن أبي حبيب يزيد بن شريح  
 سعيد بن أبي أيوب الليث بن سعد عبد الله بن أبي جعفر معاوية بن صالح حيوة بن شريح عبد الله بن وهب  
 . . ومن سكن العواصم وغيرها من الجزيرة ميمون بن مهران يحيى بن عبد الكريم معقل بن عبيد الله عبيد  
 الله بن عمرو الرقي عبد الملك بن مالك المعاذ بن عمران محمد بن سلمة الحراني أبو اسحق الفزاري مخلد بن الحسين  
 علي بن بكر يوسف بن اسباط عطاء بن مسلم محمد بن كثير الهيثم بن جميل . . ومن أهل الكوفة علقمة  
 الاسود بن يزيد أبو وائل سعيد بن جبير الربيع بن خيثم حاصر الشعبي ابراهيم النخعي الحكم بن عيينة  
 طلحة بن مصرف منصور بن المعتمر سلمة بن كهيل مغيرة الضبي عطاء بن السائب اسمعيل بن أبي خالد  
 أبو حيان يحيى بن سعيد سليمان بن مهران الاعمش يزيد بن أبي زياد سفيان بن سعيد انثوري سفيان بن عيينة  
 الفضيل بن عياض أبو المقدم ثابت بن العجلان ابن شبرمة ابن أبي ليلى زهير شريك بن عبد الله الحسن بن  
 صالح حفص بن غياث أبو بكر بن عياش أبو الاحوص وكيع بن الجراح عبد الله بن نمير أبو اسامة عبد الله  
 ابن ادريس زيد بن الحباب الحسين بن علي الجمفي محمد بن بشر العبدي يحيى بن آدم ومحمد ويعلى وعمرو  
 بنو عبيد . . ومن أهل البصرة الحسن بن أبي الحسن محمد بن سيرين قتادة بن دعامة بكر بن عبد الله  
 المزني أيوب السختياني يونس بن عبيد عبد الله بن عون سليمان التيمي هشام بن حسان الدستوائي شعبة  
 ابن الحجاج حماد بن سلمة حماد بن زيد أبو الاشهب يزيد بن ابراهيم أبو عوانة وهيب بن خالد عبد  
 الوارث بن سعيد معتمر بن سليمان التيمي يحيى بن سعيد القطان عبد الرحمن بن مهدي بشر بن المفضل  
 يزيد بن ذريع المؤمّل بن اسمعيل خالد بن الحارث معاذ بن مهاذ أبو عبد الرحمن المقرئ . . ومن

أهل واسط هشيم بن بشير خالد بن عبد الله على بن عاصم يزيد بن هرون صالح بن عمر عاصم بن علي  
 ٥٥ ومن أهل المشرق الضحاك بن مزاحم أبو حمزة نصر بن عمران عبد الله بن المبارك النضر بن شميل  
 جرير بن عبد الحميد الضبي ٥٥ قال أبو عبيد هؤلاء جميعا يقولون الايمان قول وعمل يزيد وينتص وهو  
 قول أهل السنة المعمول به عندنا ٥٥ قلت ذكر من الكوفيين من قال ذلك أكثر مما ذكر من غيرهم  
 لان الارزاء في أهل الكوفة وكان أول من قاله حماد بن أبي سليمان فاحتاج علماءها ان يظهروا انكار  
 ذلك فكثرت منهم من قال ذلك كما ان التجهم وتعطيل الصفات لما كان ابتداء حدوته من خراسان كثر من  
 علماء خراسان ذلك الوقت من الانكار على الجهمية ما لم يوجد لمن لم تكن هذه البدعة في بلده ولا سمع  
 بها كما جاء في حديث ان لله عند كل بدعة يكاد بها الاسلام وأهله من يتكلم بعلمات الاسلام فاعتنموا  
 تلك المجالس فان الرحمة تنزل على أهلها أو كما قال ٥٥ واذا كان من قول السلف ان الانسان يكون فيه  
 ايمان ونفاق فكذلك في قولهم انه يكون فيه ايمان وكفر ليس هو الكفر الذي ينزل عن الملة كما قال ابن  
 عباس وأصحابه في قوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قالوا كفر لا ينقل عن  
 الملة وقد اتبعهم على ذلك احمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة ٥٥ قال الامام محمد بن نصر المروزي في  
 كتاب الصلوات اختلف الناس في تفسير حديث جبرائيل هذا فقال طائفة من أصحابنا قول النبي صلى الله عليه  
 وسلم الايمان ان تؤمن بالله وما ذكر معه كلام جامع مختصر له غور وقد أوهمت المرجئة في تفسيره فتأولوه  
 على غير تأويله قلته معرفة منهم بلسان العرب وغور كلام النبي صلى الله عليه وسلم الذي قد أعطي جوامع الحكم  
 وفوائحه واختصر له الحديث اختصارا أما قوله الايمان ان تؤمن بالله فان توحيده وتصديق به بالقلب واللسان  
 وتخضع له ولا امره باعطاء العزم للأداء لما أمر مجانباً للاستسكاف والاستكبار والمعاندة فاذا فعلت  
 ذلك لزمته محابه واجتنبت مساخطه وأما قوله وملائكته فان تؤمن بمن سمي الله لك منهم في كتابه  
 وتؤمن بان لله ملائكة سواهم لا يعرف أسماهم وعددهم الا الذي خلقهم وأما قوله وكتبه فان تؤمن  
 بما سمي الله من كتبه في كتابه من التوراة والانجيل والزبور خاصة وتؤمن بان لله سوي ذلك كتباً  
 أنزلها على أنبيائه لا يعرف أسماءها وعددها الا الذي أنزلها وتؤمن بالفرقان وإيمانك به غير إيمانك بسائر  
 الكتب إيمانك بغيره من الكتب اقرارك به بالقلب واللسان وإيمانك بالفرقان اقرارك به واتباعك ما فيه  
 وأما قوله ورسله فان تؤمن بما سمي الله في كتابه من رسله وتؤمن بان لله سواهم رسلا وأنبياء لا يعلم  
 أسماءهم الا الذي أرسلهم وتؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وإيمانك به غير إيمانك بسائر الرسل إيمانك  
 بسائر الرسل اقرارك بهم وإيمانك بمحمد اقرارك به وتصديقك إياه دائماً على ما جاء به فاذا اتبعت ما جاء  
 به أدت الفرائض وأحلت الحلال وحرمت الحرام ووقفت عند الشهات وسارعت في الخيرات وأما  
 قوله واليوم الآخر فان تؤمن بالبعث بعد الموت والحساب والميزان والثواب والعقاب والجنة والنار  
 وبكل ما وصف الله به يوم القيامة وأما قوله وتؤمن بالقدر خيره وشره فان تؤمن بان ما أصابك لم يكن  
 ليخطئك وان ما أخطأك لم يكن ليصيبك ولا تقل لو كان كذا لم يكن كذا ولولا كذا وكذا لم يكن كذا

وكذا قال فهذا هو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر

(فصل) وما يسأل عنه انه اذا كان ما أوجبه الله من الأعمال الظاهرة أكثر من هذه الخمس فلما ذا قال الاسلام هذه الخمس وقد أجاب بعض الناس بان هذه أظهر شعائر الاسلام وأعظمها وقيام العبد بها يتم استسلامه وتركها لها يشعر بانحلال قيد انقياده والتحقيق ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الدين الذي هو استسلام العبد لربه مطلقاً الذي يجب لله عبادة محضة على الأعيان فيجب على كل من كان قادراً عليه ليعبد الله بها مخلصاً له الدين وهذه هي الخمس وما سوى ذلك فانما يجب بأسباب لمصالح فلا يعم وجوبها جميع الناس بل إما أن يكون فرضاً على الكفاية كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما يتبع ذلك من امارة وحكم وقتيا واقراء وتحديث وغير ذلك وإما أن يجب بسبب حقاً للآدميين يختص به من وجب له وعليه وقد يسقط باسقاطه ٠٠٠٠٠٠٠٠ واذا حصلت المصلحة أو الإبراء لإماماً بارئاً وإماماً بحصول المصلحة فحقوق العباد مثل قضاء الديون ورد الفسوق والمواري والودائع والانصاف من المظالم من الدماء والأموال والاعراض انما هي حقوق الآدميين واذا أبرؤا منها سقطت وتجب على شخص دون شخص في حال دون حال لم تجب عبادة محضة لله على كل عبد قادر ولهذا يشترك فيها المسلمون واليهود والنصارى بخلاف الخمسة فانها من خصائص المسلمين وكذلك ما يجب من صلة الأرحام وحقوق الزوجة والأولاد والجيران والشركاء والفقراء وما يجب من أداء الشهادة والفتيا والقضاء والامارة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد كل ذلك يجب بأسباب عارضة على بعض الناس دون بعض لجلب منافع ودفع مضار لو حصلت بدون فعل الانسان لم تجب فما كان مشتركاً فهو واجب على الكفاية وما كان مختصاً فانما يجب على زيد دون عمرو ولا يشترك الناس في وجوب عمل بعينه على كل أحد قادر سوى الخمس فان زوجة زيد وأقاربه ليس زوجة عمرو وأقاربه فليس الواجب على هذا مثل الواجب على هذا بخلاف صوم شهر رمضان وحج البيت والصلوات الخمس والزكاة فان الزكاة وان كانت حقاً مالياً فانها واجبة لله والأصناف الثمانية مصارفها ولهذا وجب فيها النية ولم يجز أن يفعلها الغير عنه بلا اذنه ولم تطلب من الكفار وحقوق العباد لا يشترط لها النية ولو أداها غيره عنه بغير اذنه برئت ذمته ويطلب بها الكفار وما يجب حقاً لله تعالى كالكفارات هو بسبب من العبد وفيها شوب العقوبات فان الواجب لله ثلاثة أنواع عبادة محضة كالصلوات وعقوبات محضة كالحدود وما يشبهها كالكفارات وكذلك كفارات الحج وما يجب بالنذر فان ذلك يجب بسبب فعل من العبد وهو واجب في ذمته وأما الزكاة فانها تجب حقاً لله في ماله ولهذا يقال ليس في المال حق سوى الزكاة أي ليس فيه حق يجب بسبب المال سوى الزكاة وإلا ففيه واجبات بغير سبب المال كما تجب النفقات للأقارب والزوجة والرقيق والبهائم ويجب حمل العاقلة ويجب قضاء الديون ويجب الاعطاء في النائية ويجب اطعام الجائع وكسوة العاري فرضاً على الكفاية الى غير ذلك من الواجبات المالية لكن بسبب عارض والمال شرط في وجوبها كالاستطاعة في الحج فان البدن سبب الوجوب والاستطاعة شرط والمال في الزكاة هو السبب والوجوب معه حق لو لم يكن في

بلده من يستحقها حملها الى بلد اخرى وهي حق وجب لله تعالى ولهذا قال من قال من الفقهاء ان التكليف شرط فيها فلا تجب على الصغير والمجنون وأما عامة الصحابة والجمهور كمالك والشافعي وأحمد فأوجبوها في مال الصغير والمجنون لان ما لهما من جنس مال غيرهما ووليهما يقوم مقامهما بخلاف بدنهما فانه انما يتصرف بعقلهما وعقلهما ناقص وصار هذا كما يجب العشر في أرضهما مع انه انما يستحقه الثمانية وكذلك ايجاب الكفارة في ما لهما والصلاة والصيام انما تسقط له جز العقل عن الايجاب لا سيما اذا انضم الى عجز البدن كالصغير وهذا المعنى منتف في المال فان الولي قام مقامهما في الفهم كما يقوم مقامهما في جميع ما يجب في المال وأما بدنهما فلا يجب عليهما فيه شيء

﴿ فصل ﴾ قال محمد بن نصر واستدلوا على أن الايمان هو ما ذكره بالآيات التي تلونها عند ذكر تسمية الله الصلاة وسائر الطاعات ايمانا واستدلوا أيضاً بما قص الله من نبأ ابليس حين غصى ربه في سجدة واحدة أمر أن يسجدها لآدم فأبأها فكيف جحد ابليس ربه وهو يقول رب بما أغويتني ويقول رب أنظرني الى يوم يبعثون ايمانا منه بالبعث وايمانا بنفاذ قدرته في انظاره اياه الى يوم يبعثون وهل جحد أحداً من أنبيائه أو أنكر شيئاً من سلطانه وهو يخالف بعزته وهل كان كفره الا بترك سجدة واحدة أمر بها فأبأها . . . قال واستدلوا أيضاً بما قص الله علينا من نبأ ابني آدم اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر الى قوله فأصبح من الخاسرين . . . قال وهل جحد ربه وكيف يجحده وهو يقرب القربان قالوا قال الله تعالى ( انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجداً وسبجوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون ) ولم يقل اذا ذكروا بها أفروا بها فقط وقال الذين ( آييناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ) يعنى يتبعونه حتى اتبعه . . . فان قيل فهل مع ما ذكرت من سنة ثابتة تبين أن العمل داخل في الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله . . . قيل نعم عامة السنن والآثار تنطق بذلك منها حديث وفد عبد القيس وذكر حديث شعبة وقره بن خالد عن أبي حمزة عن ابن عباس كما تقدم ولفظه أمركم بالايمان بالله وحده ثم قال هل تدرون ما الايمان بالله وحده قالوا الله ورسوله أعلم قال شهادة أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وان تعطوا خمس ما غنمتم وذكر أحاديث كثيرة توجب دخول الاعمال في الايمان مثل قوله في حديث

لما سئل صلى الله عليه وسلم . . . ثم قال أبو عبد الله محمد بن نصر اختلف أصحابنا

في تفسير قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن فقالت طائفة منهم انما أراد النبي صلى الله عليه وسلم ازالة اسم الايمان عنه من غير أن يخرج من الاسلام ولا يزيل عنه اسمه وفرقوا بين الاسلام والايمان بقوله قالت الاعراب آئنا الآية فقالوا الايمان خاص يثبت الاسم به بالعمل مع التوحيد والاسلام عام يثبت الاسم بالتوحيد والخروج من ملل الكفر واحتجوا بحديث سعد بن أبي وقاص وذكره عن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطي رجلاً ولم يعط رجلاً منهم شيئاً فقالت

يا رسول الله أعطيت فلانا وفلانا ولم تعط فلانا وهو مؤمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مسلم  
أعادها فلانا والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أو مسلم ثم قال اني لاعطى رجلا وأمنع آخرين وهم أحب  
الي منهم مخافة أن يكبوا على وجوههم في النار • قال الزهري فزى أن الاسلام الكلمة والايان العمل  
• قال محمد بن نصر واحتجوا بانكار عبد الله بن مسعود على من شهد لنفسه بالايان فقال أنا مؤمن  
من غير استثناء وكذلك أصحابه من بعده وجل علماء الكوفة واحتجوا بحديث أبي هريرة يخرج منه  
الايان فان رجوع اليه وبما أشبه ذلك من الأخبار وبما روى عن الحسن ومحمد بن سيرين أنهما  
كانا يقولان مسلم ويهايان مؤمن واحتجوا بقول أبي جعفر الذي حدثناه اسحق بن ابراهيم أنبأنا وهب  
ابن جرير بن حازم حدثني أبي عن فضيل بن يسار عن أبي جعفر محمد بن علي انه سئل عن قول النبي  
صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن فقال أبو جعفر هذا الاسلام ودوردارة واسعة  
وهذا الايمان ودوردارة صغيرة في وسط الكبيرة فاذا زني أو سرق خرج من الايمان الى الاسلام ولا  
يخرجه من الاسلام الا الكفر بالله واحتجوا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أسلم الناس وآمن  
عمرو بن العاص حدثنا بذلك يحيى بن يحيى حدثنا ابن لهيعة عن شريح بن هاني عن عقبه بن عامر الجهني  
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص وذكر عن حماد بن زيد أنه كان  
يفرق بين الايمان والاسلام فجعل الايمان خاصاً والاسلام عاماً قل فلنا في هؤلاء إسوة وبهم قدوة مع  
ما ثبت ذلك من النظر وذلك أن الله جعل اسم المؤمن اسم ثناء وتزكية ومدحة أوجب عليه الجنة  
فقال ( وكان بالمؤمنين رحيماً تحييتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجراً كريماً ) وقال ( وبشر المؤمنين  
بأن لهم من الله فضلاً كبيراً ) وقال ( وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ) وقال ( يوم  
ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ) وقال ( الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من  
الظلمات الى النور ) وقال ( وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار )  
• قال ثم أوجب الله النار على الكفار فدل بذلك على أن اسم الايمان زائل عن أي كبيرة • قالوا ولم  
نجد أوجب الجنة باسم الاسلام فثبت أن اسم الاسلام له ثابت على حاله واسم الايمان زائل عنه • فان  
قيل لهم في قولهم هذا ليس الايمان ضد الكفر قالوا الكفر ضد أصل الايمان لان للايمان أصلا وفروعا  
فلا يثبت الكفر حتى يزول أصل الايمان الذي هو ضد الكفر • فان قيل لهم فالذي زعمتم أن النبي صلى  
الله عليه وسلم أزال عنهم اسم الايمان هل فيه من الايمان شيء قالوا نعم أصله ثابت ولولا ذلك لكفروا ألم  
تسمع الى ابن مسعود أنكروا على الذي شهد أنه مؤمن ثم قال لكننا نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله  
يخبرك أنه قد آمن من جهة أنه صدق وأنه لا يستحق اسم المؤمن اذا كان يعلم أنه مقصر لانه لا يستحق  
هذا الاسم عنده الا من أدي ما وجب عليه وانتهى عما حرم عليه من الموجبات للنار التي هي الكفار •  
قالوا فلما أبان الله ان هذا الاسم يستحقه من قد استحق الجنة وأن الله قد أوجب الجنة عليه وعلمنا أنه  
قد آمننا وصدقنا لأنه لا يخرج من التصديق الا بالكذب واسنا بشاكين ولا مكذابين وعلمنا أنا حاصون

له مستوجبون للعذاب وهو ضد الثواب الذي حكم الله به للمؤمنين على اسم الايمان علمنا أنا قد آمننا  
وأمسكنا عن الاسم الذي أثبت الله عليه الحكم بالجنة وهو من الله اسم ثناء وتزكية وقد نهانا الله أن  
نزي أنفسنا وأمرنا بالخوف على أنفسنا وأوجب لنا العذاب بعصياننا فعلمنا أنا لسنا بمستحقين بأن نسمي  
مؤمنين إذ أوجب الله على اسم الايمان الثناء والبركة والرافة والرحمة والمغفرة والجنة وأوجب على  
الكبائر النار وهذان حكمان متضادان • فان قيل فكيف أمسكتم عن اسم الايمان أن تسموا به وأنتم  
تزعمون ان أصل الايمان في قلوبكم وهو التصديق بأن الله حق وما قاله صدق • قالوا ان الله ورسوله  
وجاعة المسلمين سمو الاشياء بما غلب عليها من الاسماء فسموا الزاني فاسقاً والقاذف فاسقاً وشارب الخمر  
فاسقاً ولم يسموا واحداً من هؤلاء متقياً ولا ورعاً وقد أجمع المسلمون ان فيه أصل التقوى والورع  
وذلك أنه يتقى ان يكفر أو يشرك بالله شيئاً وكذلك يتقى الله أن يترك الغسل من الجنابة أو الصلاة ويتقى  
أن يأتي أمه فهو في جميع ذلك متقٍ وقد أجمع المسلمون من الموافقين والمخالفين أنهم لا يسمونه متقياً ولا  
ورعاً اذا كان يأتي بالفجور فلما أجمعوا أن أصل التقى والورع ثابت فيه وأنه قد يزيد فيه فروعاً بعد  
الأصل كتورعه عن آتيان المحارم ثم لا يسمونه متقياً ولا ورعاً مع آتيانه بعض الكبائر بل سموه فاسقاً  
وفاجراً مع علمهم أنه قد أتى بعض التقى والورع فمنعهم من ذلك أن اسم التقى اسم ثناء وتزكية وأن الله  
قد أوجب عليه المغفرة والجنة قالوا فلذلك لا نسميه مؤمناً ونسميه فاسقاً زانياً وان كان في قلبه أصل  
اسم الايمان لأن الايمان اسم أثبت الله به على المؤمنين وزكاهم به وأوجب عليه الجنة فمن ثم قلنا مسلم ولم  
نقل مؤمن قالوا ولو كان أحد من المسلمين الموحدين يستحق أن لا يكون في قلبه ايمان ولا اسلام لكان  
أحق الناس بذلك أهل النار الذين دخلوها فلما وجدنا النبي صلى الله عليه وسلم يخبر أن الله يقول اخرجوا  
من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ثبت أن شر المسلمين في قلبه ايمان ولما وجدنا الأمة تحكم  
عليه بالأحكام التي ألزمها الله للمسلمين ولا يكفرونهم ولا يشهدون لهم بالجنة ثبت أنهم مسلمون إذ أجمعوا  
أن يمضوا عليهم أحكام المسلمين وأنهم لا يستحقون أن يسموا مؤمنين إذ كان الاسلام ثبتاً للملة التي يخرج  
بها الانسان من جميع الملل فتزول عنه أسماء الملل لا اسم الاسلام وتثبت أحكام الاسلام عليه وتزول عنه  
أحكام جميع الملل • فان قال لهم قائل لم لم تقولوا كافر ان شاء الله تريدون به كمال الكفر كما قلتم مؤمن  
ان شاء الله تريدون به كمال الايمان • قالوا لأن الكافر منكر للحق والمؤمن أصل إيمانه الاقرار والانكار  
لا أول له ولا آخر فننتظر به الحقائق والايمان أصله التصديق والاقرار ينتظر به حقائق الاداء لما أقر  
والتحقيق لما صدق ومثل ذلك كمثل رجلين عليهما حق لرجل فسأل أحدهما حقه فقال ليس لك عندي  
حق فأنكر وجحد فلم يبق له منزلة يحق بها ما قال اذا جحد وأنكر وسأل الآخر حقه فقال نعم لك  
على كذا وكذا فليس اقراره بالذي يصل اليه بذلك حقه دون أن يوفيه فهو منتظر له أن يحق ما قال  
بالاداء وتصديق اقراره بالوفاء ولو أقر ثم لم يؤد اليه حقه كان كمن جحد في المعنى اذا استوثب في الترك  
للاداء فله حقيقة ما قال أن يؤدى اليه حقه فان أدى جزءاً منه حقه بعض ما قال ووفى ببعض ما أقر به

وكما أدى جزءا ازداد تحقيقاً لما أقر به وعلى المؤمن الاداء أبدأ بما أقر به حتى يموت فمن ثم قلنا مؤمن  
ان شاء الله ولم نقل كافر ان شاء الله . قال محمد بن نصر وقالت طائفة أخرى من أصحاب الحديث  
بمثل مقالة هؤلاء الا أنهم سموه مسلماً لخروجه من ممل الكفر ولاقراره بالله وبما قال ولم يسموه  
مؤمناً وزعموا أنهم مع تسميتهم اياه بالاسلام كافر لا كافر بالله ولكن كافر من طريق العمل وقالوا كافر  
لا يتقل عن الملة وقالوا محال أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن  
والكفر ضد الايمان فلا يزول عنه اسم الايمان الا واسم الكفر لازم له لأن الكفر ضد الايمان الا ان الكفر  
كفران كفر هو جحد بالله وبما قال فذلك ضده الاقرار بالله والتصديق به وبما قال وكفر هو عمل فهو ضد  
الايمان الذي هو عمل ألا ترى الى ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يؤمن من لا يأمن  
جاره بوائقه قالوا فاذا لم يؤمن فقد كفر ولا يجوز غير ذلك الا أنه كفر من جهة العمل اذ لم يؤمن من  
جهة العمل لأنه لا يضيع ما فرض عليه ويركب الكبائر الا من قلة خوفاً وقلة تعظيمه لله ووعيده فقد  
ترك من الايمان التعظيم الذي عنه الخوف والورع عن الخوف فأقسم النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يؤمن  
اذا لم يأمن جاره بوائقه . ثم قد روى جماعة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سباب المسلم فسوق  
وقتاله كفر وأنه قال اذا قال المسلم لآخيه يا كافر فلم يكن كذلك باه بالكفر فقد سماه النبي صلى الله عليه  
وسلم بقتاله أخاه كافراً وبقوله له يا كافر كافراً وهذه الكلمة دون الزنى والسرقة قالوا فأما قول من احتج  
علينا فزعم انا اذا سميناه كافراً لزمنا أن نحكم عليه بحكم الكافرين بالله فنستنيبه ونبطل الحدود عنه  
لانه اذا كفر فقد زالت عنه أحكام المؤمنين وحدودهم وفي ذلك اسقاط الحدود واحكام المؤمنين على  
كل من أتى كبيرة فانا لم نذهب في ذلك الى حيث ذهبوا ولكننا نقول للايمان أصل وفرع وضد الايمان  
الكفر في كل معنى فاصل الايمان الاقرار والتصديق وفرعه اكمال العمل بالقلب والبدن فصد الاقرار  
والتصديق الذي هو أصل الايمان الكفر بالله وبما قال وترك التصديق به وله ضد الايمان الذي هو عمل  
وليس هو اقرار كفر ليس بكفر بالله يتقل عن الملة ولكن كفر تضييع العمل كما كان العمل ايمانا وليس  
هو الايمان الذي هو اقرار بالله فلما كان من ترك الايمان الذي هو اقرار بالله كافراً يستتاب ومن ترك  
الايمان الذي هو عمل مثل الزكاة والحج والصوم أو ترك الورع عن شرب الخمر والزنا قد زال عنه بعض  
الايمان ولا يجب أن يستتاب عندنا ولا عند من خالفنا من أهل السنة وأهل البدع ممن قال ان الايمان  
تصديق وعمل الا الخوارج وحدها فكذلك لا يجب بقولنا كافر من جهة تضييع العمل أن يستتاب ولا  
يزول عنه الحدود كما لم يكن بزوال الايمان الذي هو عمل استتابته ولا ازالة الحدود عنه اذ لم يزل أصل  
الايمان عنه فكذلك لا يجب علينا استتابته وازالة الحدود والاحكام عنه باثباتنا له اسم الكفر من قبل  
العمل اذالم يأت بأصل الكفر الذي هو جحد بالله أو بما قال قالوا ولما كان العلم بالله ايمانا والجهل به كافراً  
وكان العمل بالفرائض ايمانا والجهل بها قبل نزولها ليس بكفر لان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وقد أقروا بالله أول ما بعث الله رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم ولم يعلموا الفرائض التي افترضت

عليهم بعد ذلك فلم يكن جهلهم بذلك كفرة ثم أنزل عليهم الفرائض فكان اقرارهم بها والقيام بها ايمانا  
وانما يكفر من جهدها لتكذيبه خبر الله ولو لم يأت خبر من الله ما كان بجهلها كافراً وبعد مجيء الخبر  
من لم يسمع بالخبر من المسلمين لم يكن بجهلها كافراً والجهل بالله في كل حال كفر قبل الخبر وبعد الخبر  
قالوا ومن ثم قلنا ان ترك التصديق بالله كفر وان ترك الفرائض مع تصديق الله انه قد أوجها كفر ليس  
بكفر بالله انما هو كفر من جهة ترك الحق كما يقول القائل كفرتني حتى ولعمري يريد ضيعت حتى وضعت  
شكر نعمتي قالوا ولنا في هذا قدوة بمن روى عنهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين  
اذ جعلوا للكفر فروعا دون أصله لا ينزل صاحبه عن ملة الاسلام كما أثبتوا للايمان من جهة العمل فروعا  
للأصل لا ينزل تركه عن ملة الاسلام من ذلك قول ابن عباس في قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك  
هم الكافرون) قال محمد بن نصر حدثنا يحيى حدثنا سفيان بن عيينة عن هشام بن يحيى عن ابن جبير عن طاوس  
عن ابن عباس (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) ليس بالكفر الذي يذهبون اليه حدثنا  
محمد بن يحيى ومحمد بن رافع حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال سئل ابن عباس  
عن قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قال هي به كفر قال ابن طاوس وليس كمن  
كفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله حدثنا اسحاق أنبأنا وكيع عن سفيان عن معمر عن ابن طاوس عن  
أبيه عن ابن عباس قال هو به كفر وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله وبه أنبأنا وكيع عن  
سفيان عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال قلت لابن عباس ومن لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر قال  
هو به كفر وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر وملائكته وكتبه ورسوله حدثنا محمد بن يحيى حدثنا عبد  
الرزاق عن سفيان عن رجل عن طاوس عن ابن عباس قال كفر لا ينقل عن الملة حدثنا اسحاق أنبأنا  
وكيع عن سفيان عن سعيد المديني عن طاوس قال ليس بكفر ينقل عن الملة حدثنا اسحاق أنبأنا وكيع  
عن ابن جريج عن عطاء قال كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق قال محمد بن نصر قالوا  
وقد صدق عطاء قد يسمى الكافر ظلماً ويسمى العاصي من المسلمين ظلماً فظلم ينقل عن ملة الاسلام وظلم  
لا ينقل قال الله تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) وقال (ان الشرك لظلم عظيم) وذكر حديث  
ابن مسعود المتفق عليه قال لما نزلت (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله  
عليه وسلم وقالوا أينما لم يظلم نفسه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بذلك ألم تسمعوا الي قول العبد  
الصالح ان الشرك لظلم عظيم انما هو الشرك حدثنا محمد بن يحيى حدثنا الحجاج بن المنهال عن حماد بن سلمة  
عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس ان عمر بن الخطاب كان اذا دخل بيته نشر  
المصحف قرأ فدخل ذات يوم قرأ فأتى على هذه الآية (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) الى آخر  
الآية فاتمعت وأخذ رداءه ثم أتى بن كعب فقال يا أبا المنذر آتيت قبل على هذه الآية (الذين آمنوا ولم  
يلبسوا ايمانهم بظلم) وقد تربي انا نظلم ونفعل فقال يأمر المؤمنين ان هذا ليس بذلك يقول الله (ان الشرك  
لظلم عظيم) انما ذلك الشرك قال محمد بن نصر وكذلك الفسق فسقان فسق ينقل عن الملة فيسحق الكافر

فاسقاً والفاسيق من المسلمين فاسقاً ذكر الله ابليس فقال (فسق عن أمره) وكان ذلك الفسق منه كفراً  
وقال الله تعالى (وأما الذين فسقوا فأوهم النار) يريد الكفار دل على ذلك قوله (كلما أرادوا أن يخرجوا  
منها أعيدها فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) وسعي الفاسق من المسلمين فاسقاً ولم  
يخرجه من الاسلام قال الله تعالى (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة  
ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون) وقال تعالى (فن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا  
جدال في الحج) فقالت العلماء في تفسير الفسوق هاهنا هي المعاصي قالوا فلما كان الظلم ظاهراً والفسق  
فسقاً كذلك الكفر كفران أحدهما ينقل عن الملة والآخر لا ينقل عن الملة وكذلك الشرك شركان  
شرك في التوحيد ينقل عن الملة وشرك في العمل لا ينقل عن الملة وهو الريا قال الله تعالى (فن كان يرجو  
لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) يريد بذلك المراآة بالاعمال الصالحة وقال النبي  
صلى الله عليه وسلم الطيرة شرك قال محمد بن نصر فهذان مذهبان هما في الجملة محكيان عن أحمد بن حنبل  
في موافقيه من أصحاب الحديث حكى الشاذلي اسماعيل بن سعيد انه سأل أحمد بن حنبل عن المصر  
على الكبائر يطلبه بجهده الا انه لم يترك الصلاة والزكاة والصيام هل يكون مصرأ من كانت هذه حاله قال  
هو مصر مثل قوله لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن يخرج من الايمان ويقع في الاسلام ومن نحو  
قوله لا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ومن نحو قول ابن عباس  
في قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) فقلت له ما هذا الكفر فقال كفر لا ينقل عن  
الملة مثل الايمان بعضه دون بعض وكذلك الكفر حتى يجيء من ذلك أمر لا يختلف فيه وقال ابن أبي  
شيبه لا يزني حين يزني وهو مؤمن لا يكون مستكمل الايمان يكون ناقصاً من ايمانه قال وسألت أحمد بن  
حنبل عن الاسلام والايمان فقال الايمان قول وعمل والاسلام اقرار قال وبه قال أبو خزيمة لا يكون الاسلام  
الا بايمان ولا ايمان الا باسلام قلت وقد تقدم تمام الكلام بتلازمهما وان كان مسمى أحدهما ليس هو مسمى  
الآخر وقد حكى غير واحد اجماع أهل السنة والحديث على ان الايمان قول وعمل قال أبو عمر بن عبد البر  
في التمهيد أجمع أهل النقة والحديث على ان الايمان قول وعمل ولا عمل الا بنية والايمان عندهم يزيد بالطاعة  
وينقص بالمعصية والطاعات كلها عندهم ايمان الا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه فانهم ذهبوا الى ان الطاعات  
لا تسمى ايماناً قالوا انما الايمان التصديق والاقرار ومنهم من زاد المعرفة وذكر ما احتجوا به الى ان قال  
وأما سائر الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز والعراق والشام ومصر منهم مالك بن أنس والليث بن  
سعد وسفيان الثوري والاوزاعي والشافعي وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وأبي عبيد القاسم بن  
سلام وداد بن علي والطبري ومن سلك سبيلهم فقالوا الايمان قول وعمل قول باللسان وهو الاقرار  
والاعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح مع الاخلاص بالنية الصادقة قالوا وكل ما يطاع الله عز وجل به من  
فريضة ونافلة فهو من الايمان والايمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي وأهل الذنوب عندهم مؤمنون غير  
مستكملوا الايمان من أجل ذنوبهم وانما صاروا ناقصي الايمان بارتكابهم الكبائر ألا ترى الى قول النبي

صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن الحديث يريد مستكمل الايمان ولم يرد به نفي  
 جميع الايمان عن فاعله ذلك بدليل الاجماع على تورث الزاني والسارق وشارب الخمر اذا صلوا الى القبلة  
 واتحلوا دعوة الاسلام من قرباتهم المؤمنين الذين ليسوا بتلك الاحوال واحتج على ذلك ثم قال وأكثروا  
 أصحاب مالك على ان الايمان والاسلام شيء واحد . . . قال وأما المعتزلة فالايان عندهم جماع الطاعات  
 ومن قصر منها عن شيء فهو فاسق لا مؤمن ولا كافر وهؤلاء المتحققون بالاعتزال أصحاب المنزلة بين  
 المنزلتين الى ان قال على ان الايمان يزيد وينقص بالعبادة وينقص بالمعصية جماعة أهل الآثار والفقهاء  
 أهل الفتيا في الامصار وروي ابن القاسم عن مالك ان الايمان يزيد وتوقف في نقصانه وروي عنه  
 عبد الرزاق ومعن بن عيسى وابن نافع انه يزيد وينقص وعلى هذا مذهب الجماعة من أهل الحديث  
 والحمد لله ثم ذكر حجج المرجئة ثم حجج أهل السنة ورد على الخوارج التكفير بالحدود المذكورة  
 للعصاة في الزنا والسرقه ونحو ذلك وبالموارثة وبحديث عبادة من أصاب شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو  
 كفارة وقال الايمان مراتب بعضها فوق بعض فليس ناقص الايمان ككمال الايمان قال الله تعالى ( انما  
 المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ) أي حقاً ولذلك قالهم المؤمنون حقاً وكذلك قوله صلى الله  
 عليه وسلم المؤمن من أمنه الناس والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده يعني حقاً ومن هذا قوله أكمل  
 المؤمنين . . . ومعلوم ان هذا لا يكون أكمل حتى يكون غيره أنقص وقوله أوثق عري الايمان الحب  
 في الله والبغض في الله وقوله لا ايمان لمن لا امانة له يدل على ان بعض الايمان أوثق وأكمل من بعض  
 وذكر الحديث الذي رواه الترمذي وغيره من أحب لله وأبغض لله الحديث وكذلك ذكر أبو عمر  
 الطلمنكي اجماع أهل السنة على ان الايمان قول وعمل ونية واصابة السنة . . . وقال أبو طالب المسكي  
 مبادئ الحمسة يعني الشهادتين والصلوات الخمس والزكاة وصيام شهر رمضان والحج قال وأركان الايمان  
 سبعة يعني الخمسة المذكورة في حديث جبرائيل والايمان بالقدر والايمان بالجنة والنار وكلاهما قد رويت  
 في حديث جبرائيل كما سند كره ان شاء الله تعالى . . . قال والايمان بأسماء الله تعالى وصفاته والايمان بكتب  
 الله وأبيائه والايمان بالملائكة والشیاطين يعني والله أعلم الايمان بالفرق بينهما فان من الناس من يجعلهما  
 جنساً واحداً لكن تختلف باختلاف الاعمال كما يختلف الانسان البر والفاجر والايمان بالجنة والنار وانهما  
 قد خلقتا قبل آدم والايمان بالبعث بعد الموت والايمان بجميع أقدار الله خيرها وشرها وحلوها ومرها  
 انما من الله قضاء وقدرأ ومشيئة وحكما وان ذلك عدل منه وحكمة بالغة استأثر بهم غيبها ومعني حقائقها  
 . . . قال وقد قال قائلون ان الايمان هو الاسلام وهذا قد أذهب التفاوت والمقامات وهذا يقرب من  
 مذهب المرجئة . . . وقال آخرون ان الاسلام غير الايمان وهؤلاء قد أدخلوا التضاد والتغاير وهذا قريب  
 من قول الاباضية فهذه مسألة مشكلة تحتاج الى شرح وتفصيل فنزل الاسلام من الايمان كمثل الشهادتين  
 إحداهما من الأخرى في المعنى والحكم فشهادة الرسول غير شهادة الوحدانية فهما شيان في الاعيان  
 وإحداهما مرتبطة بالأخرى في المعنى والحكم كشيء واحد كذلك الايمان والاسلام أحدهما مرتبط

بالآخر فهما كشيء واحد لا ايمان لمن لا اسلام له ولا اسلام لمن لا ايمان له اذ لا يخلو المسلم من ايمان  
 به يصح اسلامه ولا يخلو المؤمن من اسلام به يحقق ايمانه من حيث اشترط الله للاعمال الصالحة الايمان  
 واشترط للايمان الاعمال الصالحة فقال في تحقيق ذلك ( ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا  
 كفران لسعيه ) وقال في تحقيق الايمان بالعمل ( ومن يأت مؤمناً قد عمل الصالحات فأوائك لهم  
 الدرجات العلى ) فمن كان ظاهره اعمال الاسلام ولا يرجع الى عقود الايمان بالغيب فهو منافق نفاق يتقل  
 عن الملة ومن كان عقده الايمان بالغيب ولا يعمل بأحكام الايمان وشرائع الاسلام فهو كافر كفوراً لا يثبت  
 معه توحيد ومن كان مؤمناً بالغيب مما أخبر به الرسل عن الله عاملاً بما أمر الله فهو مؤمن مسلم ولو لا  
 أنه كذلك لكان المؤمن يجوز أن لا يسمى مسلماً ولجاز أن المسلم لا يسمى مؤمناً بالله . . وقد أجمع أهل  
 القبلة على أن كل مؤمن مسلم وكل مسلم مؤمن بالله وملائكته وكتبه قال ومثل الايمان في الاعمال كمثل  
 القلب في الجسم لا ينفك أحدهما عن الآخر لا يكون ذو جسم حي لا قلب له ولا ذو قلب بغير جسم  
 فهما شيان منفردان وهما في الحكم والمعنى منفصلان ومثلهما أيضاً مثل حبة لها ظاهر وباطن وهي  
 واحدة لا يقال حبتان لثناوت صفتها فكذلك أعمال الاسلام من الاسلام هو ظاهر الايمان وهو من  
 أعمال الجوارح والايمان باطن الاسلام وهو من أعمال القلوب . . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم  
 أنه قال الاسلام علانية والايمان في القلب وفي لفظ الايمان سر فالاسلام أعمال الايمان والايمان عقود  
 الاسلام فلا ايمان الا بعمل ولا عمل الا بعقد . ومثل ذلك مثل العلم الظاهر والباطن أحدهما مرتبط  
 بصاحبه من أعمال القلوب وعمل الجوارح . ومثله قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال  
 بالنيات أي لا عمل الا بعقد وقصد لان انما تحقيق لشيء ونفى لما سواه فأثبت بذلك عمل الجوارح من  
 المعاملات وعمل القلوب من النيات فمثل العمل من الايمان كمثل الشفتين من اللسان لا يصح الكلام الا  
 بهما لأن الشفتين تجمع الحروف واللسان يظهر الكلام وفي سقوط أحدهما بطلان الكلام وكذلك في  
 سقوط العمل ذهاب الايمان ولذلك حين عدد الله نعمه على الانسان بالكلام ذكر الشفتين مع اللسان في قوله  
 ( ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين ) بمعنى ألم نجعله ناظراً متكلماً فعبر عن الكلام باللسان والشفتين  
 لأن الكلام الذي جرت به النعمة لا يتم الا بهما ومثل الايمان والاسلام أيضاً كفسطاط قائم في الارض  
 له ظاهر وأطناب وله عمود في باطنه فالفسطاط مثل الاسلام له أركان من أعمال العلانية والجوارح  
 وهي الاطناب التي تمسك أرجاء الفسطاط والعمود الذي في وسط الفسطاط مثله كالايمان لا قوام للفسطاط  
 الا به فقد احتاج الفسطاط اليها اذ لا قوام له ولا قوة الا بهما كذلك الاسلام في أعمال الجوارح لا قوام  
 له الا بالايمان والايمان من أعمال القلوب لا نفع له الا بالاسلام وهو صالح الاعمال وأيضاً فان الله قد  
 جعل ضد الاسلام والايمان واحداً فلولا انهما كشيء واحد في الحكم والمعنى ما كان ضدهما واحداً  
 فقال ( كيف يهدى الله قوماً كفروا بعد ايمانهم ) وقال ( أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون ) فجعل  
 ضدهما الكفر . قال وعلى مثل هذا أخبر الرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام من

صنف واحد فقال في حديث ابن عمر بنى الاسلام على خمس وقال في حديث ابن عباس عن وفد عبد القيس أنهم سألوه عن الايمان فذكر هذه الاوصاف فدل بذلك على انه لا ايمان باطن الا باسلام ظاهر ولا اسلام ظاهر علانية الا بايمان سر وان الايمان والعمل قرينان لا ينفع أحدهما بدون صاحبه . . قال فأما تفرقة النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبرائيل بين الايمان والاسلام فان ذلك تفصيل أعمال القلوب وعقودها على ما توجب هذه المعاني التي وصفناها أن تكون عقوداً من تفصيل أعمال الجوارح مما يوجب الافعال الظاهرة التي وصفها أن تكون علانية لا ان ذلك يفرق بين الاسلام والايمان في المعنى باختلاف وتضاد ليس فيه دليل أنهما مختلفان في الحكم قال ويحتمعان في عبد واحد مسلم مؤمن فيكون ما ذكره من عقود القلب وصف قلبه وما ذكره من العلانية وصف جسمه قال أيضاً فان الأمة مجتمعة ان العبد لو آمن بجميع ما ذكره من عقود القلب في حديث جبرائيل من وصف الايمان ولم يعمل بما ذكره من وصف الاسلام انه لا يسمى مؤمناً وانه ان عمل بجميع ما وصف به الاسلام ثم لم يعتقد ما وصفه من الايمان انه لا يكون مسلماً وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الأمة لا تجتمع على ضلالة . . قلت كأنه أراد بذلك اجماع الصحابة ومن تبعهم أو انه لا يسمى مؤمناً في الأحكام وانه لا يكون مسلماً اذا أنكر بعض هذه الأركان أو علم ان الرسول أخبر بها ولم يصدقه أو انه لم ير خلاف أهل الأهواء خلافاً وإلا فأبو طالب كان عارفاً بأقوالهم وهذا والله أعلم مراده فانه عقد الفصل الثالث والثلاثين في بيان تفصيل الاسلام والايمان وشرح عقود معاملة القلب من مذهب أهل الجماعة وهذا الذي قاله أجرد مما قاله كثير من الناس لكن يتنازع في شيئين أحدهما ان المسلم المستحق للثواب لا بد أن يكون معه الايمان الواجب المفصل المذكور في حديث جبرائيل والثاني ان النبي صلى الله عليه وسلم إنما يطلق المؤمن دون مسلم في مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم أو مسلم لكونه ليس من خواص المؤمنين وأفاضلهم كأنه يقول لكونه ليس من السابقين المقربين بل من المقتصدین الأبرار فهذان مما تنازع فيهما جمهور العلماء ويقولون لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الرجل أو مسلم لكونه لم يكن من خواص المؤمنين وأفاضلهم كالسابقين المقربين فان هذا لو كان كذلك لكان ينفي الايمان المطلق عن الأبرار المقتصدین المتقين الموعودين بالجنة بلا عذاب اذا كانوا من أصحاب اليمين ولم يكونوا من السابقين والمقربين وليس الأمر كذلك بل كل من أصحاب اليمين مع السابقين المقربين كلهم مؤمنون موعودون بالجنة بلا عذاب وكل من كان كذلك فهو باتفاق المسلمين من أهل السنة وأهل البدع ولو جاز أن ينفي الايمان عن شخص لكونه غيره أفضل منه ايماناً نفي الايمان عن أكثر أولياء الله المتقين بل وعن كثير من الأنبياء وهذا في غاية الفساد وهذا من جنس قول من يقول نفي الاسم لنفي كماله المستحب وقد ذكرنا ان مثل هذا لا يوجد في كلام الله ورسوله بل هذا الحديث خص من قيل فيه مسلم وليس بمؤمن فلا بد أن يكون ناقصاً عن درجة الأبرار المقتصدین أهل الجنة ويكون ايمانه ناقصاً عن ايمان هؤلاء فلا يكون قد أتى بالايمان الذي أمر به هؤلاء كله ثم ان كان قادراً على ذلك الايمان وترك الواجب

كان مستحقاً للذم وان قدر انه لا يقدر على ذلك الايمان الذي اتصف به هؤلاء كان عاجزاً عن مثل ايمانهم ولا يكون هذا وجب عليه فهو وان دخل الجنة لا يكون كمن قدر انه آمن ايماناً مجملاً ومات قبل ان يعلم تفصيل الايمان وقبل ان يتحقق به ويعمل بشئ منه فهو يدخل الجنة لكن لا يكون مثل أولئك لكن قد يقال الأبرار أهل اليقين هم أيضاً على درجات كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير وقد قال الله تعالى ( لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر الآية ) فدرجة المؤمن القوي في الجنة أعلى وان كان كل منهما كامل ماوجب عليه وقد يريد أبو طالب وغيره بقولهم ليس هنا من خواص المؤمنين هذا المعنى أى ليس ايمانه كمايمان من حقق خاصة الايمان سواء كان من الأبرار أو من المقربين وان لم يكن ترك واجباً لعجزه عنه أو لكونه لم يؤمر به فلا يكون مذموماً ولا يمدح مدح أولئك ولا يلزم أن يكون من أولئك المقربين فيقال وهذا أيضاً لا ينفي عنه الايمان فيقال هو مسلم لا مؤمن كما يقال ليس بعالم ولا مفت ولا من أهل الاجتهاد وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لو أنفق أحدكم مثل احد ذهباً ما بلغ مداً أحدهم ولا نصيفه وهذا كثير فليس كلما فضل به الفاضل يكون مقدوراً لمن دونه فكذلك من حقائق الايمان ما لا يقدر عليه كثير من الناس بل ولا أكثرهم فهو هؤلاء يدخلون الجنة وان لم يكونوا ممن تحققوا بحقائق الايمان التي فضل الله بها غيرهم ولا تركوا واجباً عليهم وان كان واجباً على غيرهم ولهذا كان من الايمان ما هو من المواهب والفضل من الله فانه من جنس العلم والاسلام الظاهر من جنس العمل وقد قال تعالى ( والذين اهتموا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ) وقال ( ويزيد الله الذين اهتموا هدى ) وهو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم ) ومثل هذه السكينة قد لا تكون مقدورة ولكن الله يجعل ذلك في قلبه فضلاً منه وجزاء على عمل سابق كما قال ( ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد ثباتاً وإذناً لا يتناهم من لدنا أجراً عظيماً ولهديناهم صراطاً مستقيماً ) كما قال ( اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ) وكما قال ( أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيديهم بروح منه ) ولهذا قيل من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وهذا الجنس غير مقدور للعباد وان كان ما يقدرون عليه من الأعمال الظاهرة والباطنة هو أيضاً بفضل الله واعانته واقداره لهم لكن الأمور قسمان منه ما جنسه مقدور لهم باعانة الله لهم كالقيام والعودة ومنه ما جنسه غير مقدور لهم اذا قيل ان الله يعطي من أطاعه قوة في قلبه وبدنه يكون بها قادراً على ما لا يقدر عليه غيره فهذا أيضاً حق وهو من جنس هذا المعنى قال تعالى ( إذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا ) وقد قال ( اذا لقيتم فئة فاثبتوا ) فأمرهم بالثبات وهذا الثبات يوحي الى الملائكة أنهم يفعلونه بالمؤمنين . . . والمقصود انه قد يكون من الايمان ما يؤمر به بعض الناس ويذم على تركه ولا يذم عليه بعض الناس ممن لا يقدر عليه ويفضل الله ذلك بهذا الايمان وان لم يكن المفضول ترك واجباً فيقال وكذلك في الاعمال الظاهرة يؤمر القادر على الفعل بما لا يؤمر به العاجز عنه ويؤمر بعض الناس

بما لا يؤمر به غيره لكن الاعمال الظاهرة قد يعطى الانسان مثل أجر العامل اذا كان يؤمن بها ويريدها جهده ولكن بدنه عاجز كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ان بالمدينة لرجالا ما سرتهم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم قالوا وهم بالمدينة قال وهم بالمدينة حبسهم العذر وكما قال تعالي (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) فاستثنى اولى الضرر وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من دعا الى هدي كان له من الاجر مثل اجور من اتبعه من غير ان ينقص من اجورهم شيئا ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الوزر مثل اوزار من اتبعه من غير ان ينقص من اوزارهم شيئا ٥٠ وفي حديث أبي كبشة الانباري ما في الاجر سواء وهما في الوزر سواء رواه الترمذي وصححه ولفظه انما الدنيا لاربعة رجل آتاه الله علما ومالا فهو يتقى في ذلك المال ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقا فهذا بأفضل المنازل وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول لو أن لي مالا لعملت فيه فلان فهو بنيته فأجرهما سواء وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما يخبط في ماله بغير علم لا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقا فهذا بأخبث المنازل وعبد لم يرزقه الله مالا وعلماً فهو يقول لو أن لي مالا لعملت فيه بعلم فلان فهو بنيته فوزرهما سواء ولفظ ابن ماجه مثل هذه الامة كمثل اربعة نفر رجل آتاه الله مالا وعلماً فهو يعمل بعلمه في ماله ينفعه في حقه ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فهو يقول لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهما في الاجر سواء ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما وهو يقول لو كان لي مثل مال هذا عملت مثل الذي يعمل فهما في الوزر سواء كالشخصين اذا تمانى في ايمان القلوب معرفته وتصديقاً وحباً وقوة وحالا ومقاماً فقد يتم ثلاثان وان كان لاحدهما من أعمال البدن ما يعجز عنه بدن الآخر كما جاء في الاثر ان المؤمن قوته في قلبه وضعفه في جسمه والمنافق قوته في جسمه وضعفه في قلبه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ليس الشديد ذو الصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقد قال رأيت كافي أنزع على قلب فأخذها ابن أبي قحافة فنزع ذنوبا أو ذنوبين وفي نزع ضعف والله يغفر له فأخذها ابن الخطاب فاستحالت في يده غربا فلم أر عبقريا يفري فريه حتى صدر الناس بعطن فذكر ان أبا بكر أضعف وسواء أراد قصر مدته أو أراد ضعفه عن مثل قوة عمر فلا ريب ان أبا بكر أقوى ايمانا من عمر وعمر أقوى عملا منه كما قال ابن مسعود ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر وقوة الايمان أقوى وأكمل من قوة العمل وصاحب الايمان يكتب له أجر عمل غيره وما فعله عمر في سيرته مكتوب مثله لابي بكر فانه هو الذي استخلفه وفي المسند من وجهين عن النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم وزن بالامة فرجح ثم وزن عمر بالامة فرجح وكان في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد موته يحصل لعمر بسبب أبي بكر من الايمان والعلم ما لم يكن عنده فهو قد

دعاه الي مافعله من خير واعانه عليه بمجده والمعين على الفعل اذا كان يريد ارادة جازمة كان كفعله كما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من جهز غازيا فقد غزا ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا وقال من دل على خير فله مثل أجر فاعله وقال من فطر صائماً فله مثل أجره وقد روى في الترمذي من عنى مصابا فله مثل أجره وهذا وغيره مما يبين ان الشخصين قد يتماثلان في الاعمال الظاهرة بل يتفاضلان ويكون المفضل فيها أفضل عند الله من الآخر لانه أفضل في الايمان الذي في القلب وأما اذا تفاضلا في ايمان القلوب فلا يكون المفضل فيها أفضل عند الله البتة وان كان المفضل لم يهبه الله من الايمان ما وهبه للفاضل ولا أعطى قلبه من الاسباب التي بهائنا ذلك الايمان الفاضل ما أعطى المفضل ولهذا فضل الله بعض النبيين على بعض وان كان الفاضل أقل عملا بالبدن كما فضل الله نبينا صلى الله عليه وسلم ومدة نبوته بضع وعشرون سنة على نوح وقد لبث في قومه ألف سنة الا خمسين عاما وفضل أمة محمد وقد عملوا من صلاة العصر الى المغرب على من عمل من أول النهار الى صلاة الظهر وعلى من عمل من صلاة الظهر الى صلاة العصر فأعطى الله أمة محمد أجراين وأعطى كل من أولئك أجراً أجر الأمان الذي في قلوبهم كان أكمل وأفضل وكان أولئك أكثر عملا وهو لاء أعظم أجر أو هو فضله يؤتية من يشاء بالاسباب التي تفضل بها عليهم وخصهم بها وهكذا سائر من يفضله الله تعالى فانه يفضله بالاسباب التي يستحق بها التفضيل بالجزاء كما يخص أحد الشخصين بقوة ينال بها العلم وبقوة ينال بها اليقين والصبر والتوكل والاخلاص وغير ذلك مما يفضله الله به وانما فضله في الجزاء بما فضل به من الايمان كما قال تعالى (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان المهدي هدي الله أن يؤتي أحد مثل ما أوتيتهم أو يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله) وقال في الآية الأخرى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وقال (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) وقال (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) وقد بين في مواضع أسباب المغفرة وأسباب العذاب وكذلك يرزق من يشاء بغير حساب وقد عرف انه قد يخص من يشاء بأسباب الرزق واذا كان من الايمان ما يعجز عنه كثير من الناس ويختص الله به من يشاء فذلك ما يفضله الله به وذلك الايمان ينفي عن غيرهم لكن لا على وجه الذم بل على وجه التفضيل فان الذم انما يكون على ترك ما مور أو فعل محظور لكن على ما ذكره أبو طالب يقال فذل هؤلاء مسامون لا مؤمنون باعتبار ويقال انهم مؤمنون باعتبار آخر وعلى هذا ينفي الايمان عن قاته الكمال المستحب بل الكمال الذي يفضله به على من قاته وان كان غير مقدور لاهباده بل ينفي عنه الكمال الذي وجب على غيره وان لم يكن في حقه لا واجباً ولا مستحباً لكن هذا لا يعرف في كلام الشارع ولم يعرف في كلامه الا ان نفي الايمان يقتضي الذم حيث كان فلا ينفي الا عن له ذنب فتبين ان قوله أو مسلم توقف في أداء الواجبات الباطنة والظاهرة كما قال جاهر الناس ثم طائفة يقولون قد يكون منافقا ليس معه شيء من الايمان وهم الذين يقولون الاصراب المسذكورون منافقون ليس معهم من الايمان شيء وهذا هو القول الذي نصره طائفة

كـ محمد بن نصر والا كثرون يقولون بل هؤلاء لم يكونوا من المنافقين الذين لا يقبل منهم شيء من  
 أعمالهم وان كان فيهم شعبة نفاق بل كان معهم تصديق يقبل معه منهم ما عملوه لله ولهذا جعلهم مسلمين  
 ولهذا قال (ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين) كما قالوا مثل ذلك في الزاني والسارق وغيرهما من انبي  
 عنه  
 الايمان مع ان معه التصديق وهذا أصح الاقوال الثلاثة فيهم وأبو طالب جعل من كان مذموماً ولترك واجب  
 من المؤلفات لقلوبهم الذين لم يعطوا شيئاً وجعل ذلك الشخص مؤمناً غيره أفضل منه وأما الا كثرون  
 فيقولون اثبات الاسلام لهم دون الايمان كاثباته لذلك الشخص كان مسلماً لا مؤمناً كلاهما مذموم لا مجرد  
 ان غيره أفضل منه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم أكل المؤمن ايماناً أحسنهم خلقاً ولم يسلب من  
 دونه الايمان وقال تعالى (لا يستوى منكم من اتقى من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين  
 أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) فأثبت الايمان للفاضل والمنفصول وهذا متفق عليه بين المسلمين  
 وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله اجران وان اجتهد فأخطأ فله اجر وقال  
 لسعد بن معاذ لما حكم في بني قريظة لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة أرقعة وكان يقول لمن  
 يرسله في جيش أو سرية اذا حاصرت أهل حصن فسألوك ان تزلهم على حكم الله فلا تزلهم على حكم الله  
 فانك لاندري ما حكم الله فيهم ولكن أنزلهم على حكمك وحكم أصحابك وهذه الاحاديث الثلاثة في الصحيح  
 وفي حديث سليمان عليه السلام أسألك حكماً يوافق حكمك فهذه النصوص وغيرها تدل على ما اتفق عليه  
 الصحابة والتابعون لهم باحسان ان أحد الشخصين قد يخضعه الله باجتهاد يحصل له به من العلم ما يعجز  
 عنه غيره فيكون له اجران وذلك الآخر عاجز له اجر ولائمه عليه وذلك العلم الذي خص به هذا والعمل  
 به باطناً وظاهراً زيادة في ايمانه وهو ايمان يجب عليه لانه قادر عليه وغيره عاجز عنه فلا يجب فهذا قد  
 فعل بايمان واجب عليه وليس بواجب على من عجز عنه وهذا حال جميع الامة فيما تنازعت فيه من المسائل  
 الخبرية والعملية اذا خص أحدهما بمعرفة الحق في نفس الامر مع اجتهاد الآخر وعجزه كلاهما محمود  
 مثاب مؤمن وذلك خصه الله من الايمان الذي وجب عليه بما فضله به على هذا وذلك الخاطئ لا يستحق  
 ذم ولا عقاباً وان كان ذلك لو فعل ما فعل ذم وعوقب كما خص الله أمة نبينا بشريعة فضلاها به ولو تركنا  
 بما أمرنا به فيها شيئاً لكان ذلك سبباً للذم والعقاب والانبيا قبلنا لا يذمون بترك ذلك لكن محمد صلى  
 الله عليه وسلم فضله الله على الانبياء وفضل أمته على الامم من غير ذم لاحد من الانبياء ولا لمن اتبعهم  
 من الامم وأيضاً فاذا كان الانسان لا يجب عليه من الايمان الا ما يقدر عليه وهو اذا فعل ذلك كان مستحقاً  
 لما وعد الله به من الجنة فلو كان مثل هذا يسمى مسلماً ولا يسمى مؤمناً لوجب ان يكون من أهل الوعد  
 بالجنة من يسمى مسلماً لا مؤمناً كالأعراب وكل شخص الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم أو مسلم  
 وكسائر من انفي عنه الايمان مع انه مسلم كالزاني والشارب والسارق ومن لا يأمن جاره بوائقه ومن لا يجب  
 لآخيه من الخير ما يجب لنفسه وغير هؤلاء وليس الامر كذلك فان الله لم يعلق وعد الجنة الا باسم الايمان  
 لم يعلقه باسم الاسلام مع ايجاب الاسلام واخباره انه دينه الذي ارتضاه وانه لا يقبل ديناً غيره ومع هذا فما

قال ان الجنة أعدت للمسلمين ولا قال وعد الله المسلمين بالجنة بل انما ذكر ذلك باسم الايمان كقوله (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار) فهو يعلقها باسم الايمان المطلق أو المقيّد بالعمل الصالح كقوله (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار) وقوله (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) وقوله (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وقوله (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله) وقوله (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطاً مستقيماً) وقوله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سيدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظللاً ظليلاً) وفي الآية الاخرى (ومن أصدق من الله قيلاً) وقال (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين) وقال (وعداً لله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم) وقال (فن آمن واصبح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وقال (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفساً الا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) فالوعد بالجنة والرحمة في الآخرة وبالسلامة من العذاب علق باسم الايمان المطلق والمقيّد بالعمل الصالح ونحو ذلك وهذا كما تقدم ان المطلق يدخل فيه فعل ما أمر الله به ورسوله ولم يعلق باسم الاسلام فلو كان من أتى من الايمان بما يقدر عليه ومحجز عن معرفة تفاصيله قد يسمى مسلماً لا مؤمناً لكان من أهل الجنة وكانت الجنة يستحقها من يسمى مسلماً وان لم يسم مؤمناً وليس الامر كذلك بل الجنة لم تعلق الا باسم الايمان . . وهذا أيضاً مما استدل به من قال انه ليس كل مسلم من المؤمنين الموعودين بالجنة اذ لو كان كذلك لكان وعد الجنة معلقاً باسم الاسلام كما علق باسم الايمان وكما علق باسم التقوى واسم البر في مثل قوله (ان المتقين في جنات ونهر) وقوله (ان الابرار لفي نعيم) وباسم أولياء الله كقوله (ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) فلما لم يجر اسم الاسلام هذا المجري علم ان مسماء ليس ملازماً لمسمى الايمان كما يلزمه اسم البر والتقوى وأولياء الله وان اسم الاسلام يتناول من هو من أهل الوعيد وان كان الله بنبيه على طاعته مثل ان يكون في قلبه ايمان ونفاق يستحق به العذاب فهذا يعاقبه الله ولا يخلده في النار لان في قلبه مثقال ذرة او أكثر من مثقال ذرة من ايمان . . وهكذا سائر أهل الكبرياء ايمانهم ناقص واذا كان في قلب أحدهم شعبة نفاق عوقب بها اذا لم ينف الله عنه ولم يخلد في النار فهو اء مسلمون وليسوا مؤمنين ومعهم ايمان لكن معهم أيضاً ما يخالف الايمان من النفاق فلم تكن تسميتهم مؤمنين بأولي من تسميتهم منافقين لا سيما ان كانوا للكفر أقرب منهم للايمان وهؤلاء يدخلون في اسم الايمان في أحكام الدنيا كما يدخل المنافق المحض وأولي لان هؤلاء معهم ايمان ويدخلون في خطاب الله بيايها الذين آمنوا لان

ذلك أمر لهم بما ينفعهم ونهي لهم عما يضرهم وهم محتاجون الى ذلك ثم الايمان الذي معهم ان اقتضى  
شمول لفظ الخطاب لهم فلا كلام والا فليس بأسوا جالا من المنافق المحض وذلك المنافق يخاطب بهذه  
الاعمال وتنفعه في الدنيا ويحشر بها مع المؤمنين يوم القيامة ويتميز بها عن سائر الملل يوم القيامة كما تميز عنهم  
بها في الدنيا لكن وقت الحقيقة يضرب بينهم بسورله باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم  
لم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغررتكم الاماني حتى جاء أمر الله وغمركم  
بالله الغرور فالיום لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأويكم النار هي مولاكم وبئس المصير وقد  
قال تعالى ( ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا  
بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتي الله المؤمنين أجرا عظيما ) فاذا عمل العبد صالحا  
لله فهذا هو الاسلام الذي هو دين الله ويكون معه من الايمان ما يحشر به مع المؤمن يوم القيامة ثم ان  
كان معه من الذنوب ما يعذب به عذب واخرج من النار اذا كان في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان  
وان كان معه نفاق ولهذا قال تعالى في هؤلاء ( فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتي الله المؤمنين أجرا  
عظيما ) فلم يقل انهم مؤمنون بمجرد هذا اذ لم يذكر الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله بل هم معهم  
وانما ذكر العمل الصالح واخلاصه لله وقال فأولئك مع المؤمنين فيكون لهم حكمهم . . وقد بين تفاضل  
المؤمنين في مواضع أخر وانه من أتى بالايمان الواجب استحق الثواب ومن كان فيه شعبة نفاق وأتى بالكبائر  
فذاك من أهل الوعيد وایمانه ينفعه الله به ويخرجه به من النار ولو انه مثقال حبة خردل لكن لا يستحق  
به الاسم المطلق المعلق به وعد الجنة بلا عذاب وتام هذا ان الناس قد يكون فيهم من معه شعبة من  
شعب الايمان وشعبة من شعب الكفر أو النفاق ويسمى مسلما كما نص عليه أحمد . . وتام هذا ان الانسان  
قد يكون فيه شعبة من شعب الايمان وشعبة من شعب النفاق وقد يكون مسلما وفيه كفر دون الكفر  
الذي ينقل عن الاسلام بالكيفية كما قال الصحابة ابن عباس وغيره كفر دون كفر وهذا قول عامة السلف  
وهو الذي نص عليه أحمد وغيره من قال في السارق والشارب ونحوهم ممن قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم  
انه ليس بمؤمن انه يقال لهم مسلمون لا مؤمنون واستدلوا بالقرآن والسنة على نفي اسم الايمان مع اثبات  
اسم الاسلام وبأن الرجل قد يكون مسلما ومعه كفر لا ينقل عن الملة بل كفر دون كفر كما قال ابن عباس  
وأصحابه في قوله ( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ) قالوا كفر لا ينقل عن الملة وكفر  
دون كفر وفسق دون فسق وظلم دون ظلم . وهذا أيضا مما استشهد به البخاري في صحيحه فان كتاب  
الايمان الذي افتتح به الصحيح قرر مذهب أهل السنة والجماعة وضمنه الرد على المرجئة فانه كان من  
القائمين بنصر السنة والجماعة مذهب الصحابة والتابعين لهم باحسان . وقد اتفق العلماء على ان اسم  
المسلمين في الظاهر يجري على المنافقين لأنهم استسلموا ظاهرا وأتوا بما أتوا به من الاعمال الظاهرة  
بالصلاة الظاهرة ولزكاة الظاهرة والحج الظاهر والجهاد الظاهر كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يجري  
عليهم أحكام الاسلام الظاهر وافتقوا على أنه من لم يكن معه شيء من الايمان فهو كما قال الله تعالى ( ان

المنافقين في الدرك الاسفل من النار) وفيها قراءتان درك ودرك قال أبو الحسين بن فارس الجنة درجات  
والنار دركات قال الضحاك الدرج اذا كان بعضها فوق بعض والدرك اذا كان بعضها أسفل من بعض  
فصار المظنون للاسلام بعضهم في أعلى درجة في الجنة وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قل في  
الحديث الصحيح اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم سلوا الله الوسيلة فانها درجة في الجنة لا تنبغي  
الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا ذلك العبد فمن سأل الله لى الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم  
القيامة وقوله صلى الله عليه وسلم وأرجو أن أكون مثل قوله انى لارجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم  
بحدوده ولا ريب انه أخني الأمة لله وأعلمهم بحدوده وكذلك قوله اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم  
القيامة فهي نائلة ان شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً وقوله انى لارجو أن تكونوا نصف أهل الجنة  
وأمثال هذه النصوص وكان يستدل به أحمد وغيره على الاستثناء في الايمان كما يذكره في موضعه . .  
والمقصود انه خير المؤمنين في أعلى درجات الجنة والمنافقون في الدرك الاسفل من النار وان كانوا في  
الدنيا مسلمين ظاهراً تجرى عليهم أحكام الاسلام الظاهرة فن كان فيه ايمان ونفاق يسمى مسلماً اذ ليس  
هو دون المنافق المحض واذا كان نفاقه أغلب لم يستحق اسم الايمان بل اسم المنافق أحق به فان ما فيه  
بياض وسواد وسواده أكثر هو باسم الاسود أحق منه باسم الابيض كما قال تعالى (هم للكفر يومئذ  
أقرب منهم للايمان) وأما اذا كان ايمانه أغلب ومعه نفاق يستحق به الوعيد لم يكن أيضاً من المؤمنين  
الموعودين بالجنة وهذا حجة لما ذكره محمد بن نصر عن أحمد ولم أره أنا فيما بلغنى من كلام أحمد ولا  
ذكره الخلال ونحوه . . قال محمد بن نصر وحكى غير هذا عن أحمد انه قال من أتى هذه الاربعة الزنا  
والسرقة وشرب الخمر والنهبة التي يرفع الناس فيها أبصارهم اليه أو مثاهن أو فووقهن فهو مسلم ولا أسميه  
مؤمناً ومن أتى دون ذلك دون الكبائر نسيه مؤمناً ناقص الايمان فان صاحب هذا القول يقول لما  
نفى عنه النبي صلى الله عليه وسلم الايمان نفيته عنه كما نفاه عنه الرسول صلى الله عليه وسلم والرسول  
لم ينفه الا عن صاحب كبيرة والا فالمؤمن الذي يفعل الصغيرة هي مكفرة عنه بفعله للحسنات واجتنابه  
للكبائر لكنه ناقص الايمان عن اجتناب الصغائر فما أتى بالايمان الواجب ولكن خلطه بسينات كفرت  
عنه بغيرها ونقص بذلك درجته عن لم يأت بذلك وأما الذين نفى عنهم الرسول الايمان فنفيته كما نفاه  
الرسول وأولئك وان كان معهم التصديق وأصل الايمان فقد تركوا منه ما استحقوا لأجله سلب الايمان  
وقد يجتمع في العبد نفاق وايمان وكفر وايمان فالايان المطلق عند هؤلاء ما كان صاحبه مستحقاً للوعد  
بالجنة . وطوائف أهل الاهواء من الخوارج والمعتزلة والجهمية والمرجئة كرامهم وغير كرامهم يقولون  
انه لا يجتمع في العبد ايمان ونفاق ومنهم من يدعي الاجماع على ذلك وقد ذكر أبو الحسن في بعض كتبه  
الاجماع على ذلك . ومن هنا غلطوا فيه وخالفوا فيه الكتاب والسنة وآثار الصحابة والتابعين لهم  
باحسان مع مخالفة صريح المعقول بل الخوارج والمعتزلة طردوا هذا الاصل الفاسد وقالوا لا يجتمع في  
الشخص الواحد طاعة يستحق بها الثواب ومعصية يستحق بها العقاب ولا يكون الشخص الواحد محموداً

من وجه مذموماً من وجه ولا محبوباً مدعوأ له من وجه مسخوطاً ملعوناً من وجه ولا يتصور أن الشخص الواحد يدخل الجنة والنار جميعاً عندهم بل من دخل احدهما لم يدخل الاخرى عندهم ولهذا أنكروا خروج أحد من النار أو الشفاعة في أحد من أهل النار وحكى عن غالبية المرجئة أنهم وافقوهم على هذا الاصل لكن هؤلاء قالوا ان أهل الكبائر يدخلون الجنة ولا يدخلون النار مقابلة لأولئك .  
وأما أهل السنة والجماعة والصحابة والتابعون لهم باحسان وسائر طوائف المسلمين من أهل الحديث والفقهاء وأهل الكلام من مرجئه الفقهاء والكرامية والكلابية والاشعرية والشيعة مرجئهم وغير مرجئهم فيقولون ان الشخص الواحد قد يعذب الله بالنار ثم يدخله الجنة كما نطقت بذلك الاحاديث الصحيحة وهذا الشخص الذي له سيئات عذب بها وله حسنات دخل بها الجنة وله معصية وطاعة باتفاق هؤلاء الطوائف لم يتنازعوها في حكمه لكن تنازعوا في اسمه فقالت المرجئة جهميتهم وغير جهميتهم هو مؤمن كامل الايمان وأهل السنة والجماعة على انه ناقص الايمان ولولا ذلك لما عذب كما انه ناقص البر والتقوى باتفاق المسلمين وهل يطلق عليه اسم مؤمن هذا فيه القولان والصحيح التفصيل فاذا سئل عن أحكام الدنيا كتفه في الكفارة قيل هو مؤمن وكذلك اذا سئل عن دخوله في خطاب المؤمنين وأما اذا سئل عن حكمه في الآخرة قيل ليس هذا النوع من المؤمنين الموعودين بالجنة بل معه ايمان يمنعه الخلود في النار ويدخل به الجنة بعد أن يعذب في النار ان لم يغفر الله له ذنوبه ولهذا قال من قال هو مؤمن بايمانه فاسق بكبيرته أو مؤمن ناقص الايمان والذين لا يسمونه مؤمناً من أهل السنة ومن المعتزلة يقولون اسم الفسوق ينافي اسم الايمان كقوله (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) وقوله (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً) وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم سباب المسلم فسوق وقتاله كفر وعلى هذا الاصل فبعض الناس يكون معه شعبة من شعب الكفر ومعها ايمان أيضاً وعلى هذا ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في تسمية كثير من الذنوب كفراً مع ان صاحبها قد يكون معه أكثر من مثقال ذرة من ايمان فلا يخلد في النار كقوله سباب المسلم فسوق وقتاله كفر وقوله لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض وهذا مستفيض عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح من غير وجه فانه أمر في حجة الوداع أن ينادي به في الناس فقد سمي من يضرب بعضهم رقاب بعض بالحق كفاراً ويسمي هذا الفعل كفراً ومع هذا فقد قال تعالى (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما الى قوله انما المؤمنون اخوة) فيبين ان هؤلاء لم يخرجوا من الايمان بالكلية ولكن فيهم ما هو كفر وهي هذه الخصلة كما قال الصحابة كفر دون كفر وكذلك قوله من قال لآخيه يا كافر فقد باء بها أحدها فقد سماه أخاه حين القول وقد أخبر ان أحدهما باء بها فلو خرج أحدهما عن الاسلام بالكلية لم يكن أخاه بل فيه كفر وكذلك قوله في الحديث الصحيح ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه الا كفر وفي حديث آخر كفر بالله من تبره من نسب وان ذق وكان من القرآن الذي نسخ لفظه لا ترغبوا عن آباءكم فان كفرا بكم ان ترغبوا عن آباءكم فان حق الوالدين مقرون بحق الله في مثل قوله (أن اشكر لي ولوالديك الى المصير)

وقوله (وقضى ربك أن لاتعبدوا الاياه وبالوالدين احساناً) فالوالد أصله الذي منه خالق والولد من كسبه كما أغنى عنه ماله وما كسب فالجحد لها شبهة من شعب الكفر فانه جحد لما منه خلقه ربه فقد جحد خلق الرب اياه وقد كان في لغة من قبلنا يسمى الرب أباً فكان فيه كفر بالله من هذا الوجه ولكن ليس هذا كمن جحد الخالق بالكلية وسنتكلم ان شاء الله على سائر الأحاديث والمقصود هنا ذكر أصل جامع تنبني عليه معرفة النصوص ورد ما تنازع فيه الناس الى الكتاب والسنة فان الناس كثير نزاعهم في مواضع في مسمى الايمان والاسلام لكثرة ذكرهما وكثرة كلام الناس فيهما والاسم كلما كثير التكلم فيه فتكلم به مطلقاً ومقيداً بمقيده وأخر في موضع كان هذا سبباً لاشتباه بعض معناه ثم كلما كثير سماعه كثير من يشتبه عليه ذلك ومن أسباب ذلك أن يسمع بعض الناس بعض موارد ولا يسمع بعضه ويكون ماسمعه مقيداً بمقيده أو جبه اختصاصه بمعنى فيظن معناه في سائر موارد كذلك فمن اتبع علمه حتى عرف مواقع الاستعمال عامة وعلم مأخذ الشبهة أعطي كل ذي حق حقه وعلم ان خير الكلام كلام الله وانه لا بيان أتم من بيانه وان ما أجمع عليه المسلمون من دينهم الذي يحتاجون اليه اضعاف اضعاف ما تنازعوا فيه فالمسلمون سليمهم ويدعيهم متفقون على وجوب الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر ومتفقون على وجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج ومتفقون على ان من أطاع الله ورسوله فانه يدخل الجنة ولا يعذب وعلى ان من لم يؤمن بأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه فهو كافر وأمثال هذه الامور التي هي أصول الدين وقواعد الايمان التي اتفق عليها المنتسبون الى الاسلام والايمان فتنازعهم بعد هذا في بعض أحكام الوعيد أو بعض معاني بعض الاسماء أمر خفيف بالنسبة الى ما اتفقوا عليه مع ان المخالفين لا يحق اليين من الكتاب والسنة هم عند جمهور الامة معروفون بالبدعة مشهود عليهم بالضلالة ليس لهم في الامة لسان صدق ولا قبول عام كالتحارج والروافض والتدرية ونحوهم وانما يتنازع أهل العلم والسنة في أمور دقيقة تخفى على أكثر الناس ولكن يجب رد ما تنازعوا فيه الى الله ورسوله والرد الى الله ورسوله في مسألة الاسلام والايمان يوجب ان كلامنا الاسمين وان كان مسماها واجباً ولا يستحق أحد اللجنة الابان يكون مؤمناً مسلماً فالحق في ذلك ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل فجعل الدين وأهله ثلاث طبقات أولها الاسلام وأوسطها الايمان وأعلاها الاحسان ومن وصل الى العليا فقد وصل الى التي تليها فالحسن مؤمن والمؤمن مسلم وأما المسلم فلا يجب أن يكون مؤمناً وهكذا جاء القرآن فجعل الامة على هذه الاصناف الثلاثة قال تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير) فالمسلم الذي لم يقم بواجب الايمان هو الظالم لنفسه والمقتصد هو المؤمن المطلق الذي أدى الواجب وترك المحرم والسابق بالخيرات هو الحسن الذي عبد الله كأنه يراه وقد ذكر الله سبحانه تقسيم الناس في المعاد الى هذه الثلاثة في سورة الواقعة والمطففين وهل أتى وذكر الكفار أيضاً وأما هنا فجعل التقسيم للمصطفين من عباده وقال أبو سليمان الخطابي ما أكثر ما يغلط الناس في هذه المسئلة فأما الزهري فقال الاسلام الكلمة والايمان العمل واحتج بالآية وذهب غيره الى ان

الاسلام والايان شيء واحد فاحتج بقوله (فأخرجنا من كان فيهما من المؤمنين فوجدنا فيها غير بيت من المسلمين)  
 قال الخطابي وقد تكلم رجلان من أهل العلم وصار كل واحد منهما الى قول من هذين ورد الآخر منهما  
 على المتقدم وصنف عليه كتابا يبايع عددا وراقه المائتين قال الخطابي والصحيح من ذلك ان يقيد الكافر  
 في هذا ولا يطلق وذلك ان المسلم قد يكون مؤمناً في بعض الاحوال ولا يكون مؤمناً في بعضها والمؤمن  
 مسلم في جميع الاحوال فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً واذا حملت الامر على هذا استقام لك  
 تأويل الآيات واعتدل القول فيها ولم يختلف شيء منها قلت الرجلان اللذان أشار اليهما الخطابي أظن  
 أحدهما وهو السابق محمد بن نصر فانه الذي علمته بسط الكلام في أن الاسلام والايان شيء واحد من  
 أهل السنة والحديث وما علمت لغيره قبله بسطاً في هذا والآخر الذي رد عليه أظنه (١)  
 لكن لم أقف على رده والذي اختاره الخطابي هو قول من فرق بينهما كأبي جعفر وحماد بن زيد وعبد  
 الرحمن بن مهدي وهو قول احمد بن حنبل وغيره ولا علمت أحداً من المتقدمين خالف هؤلاء فجعل  
 نفس الاسلام نفس الايمان ولهذا كانت عامة أهل السنة على هذا الذي قاله هؤلاء كما ذكره الخطابي  
 وكذلك ذكر أبو القاسم التميمي الاصبهاني وابنه محمد شارح مسلم وغيرهما أن المختار عند أهل السنة أنه  
 لا يطلق على السارق والزاني اسم مؤمن كما دل عليه النص وقد ذكر الخطابي في شرح البغاري كلاماً  
 يقتضي تلازمهما مع افتراق اسميهما وذكره البغوي في شرح السنة فقال قد جعل النبي صلى الله عليه  
 وسلم الاسلام اسماً لما ظهر من الاعمال وجعل الايمان اسماً لما بطن من الاعتقاد وليس ذلك لان الأعمال  
 ليست من الايمان أو التصديق بالقلب ليس من الاسلام بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد وجماعها  
 الدين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم هذا جبرائيل جاءكم يعلمكم دينكم والتصديق والعمل يتناولها اسم  
 الاسلام والايان جميعاً يدل عليه قوله تعالى (ان الدين عند الله الاسلام) وقوله تعالى (ورضيت لكم  
 الاسلام ديناً) وقوله (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلم يقبل منه) فبين أن الدين الذي رضىه ويقبله من  
 من عباده هو الاسلام ولا يكون الدين في محل الرضا والقبول الا باضمار التصديق الى العمل . قلت تفريق  
 النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبرائيل وان اقتضى أن الأعلى وهو الاحسان يتضمن الايمان  
 والايان يتضمن الاسلام فلا يدل على العكس ولو قدر أنه دل على التلازم فهو صريح بأن مسمى ههنا  
 ليس مسمى هذا لكن التحقيق أن الدلالة تختلف بالتجريد والاقتران كما قد بيناه ومن فهم هذا انحلت  
 عنه اشكالات كثيرة في كثير من المواضع حاد عنها طوائف مشبهة الايمان وغيرها وما ذكره من أن  
 الدين لا يكون في محل الرضا والقبول الا باضمار التصديق الى العمل يدل على أنه لا بد مع العمل من  
 الايمان فهذا يدل على وجوب الايمان مطلقاً لكن لا يدل على أن العمل الذي هو الدين ليس اسمه اسلاماً  
 واذا كان الايمان شرطاً في قبوله لم يلزم أن يكون ملازماً له ولو كان ملازماً لم يلزم أن يكون جزء  
 مسماه . . وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح قوله صلى الله عليه وسلم الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله

(١) هكذا بياض بالاصل

الى آخره والايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الى آخره قال هذا بيان لاصل الايمان وهو التصديق الباطن وبيان لأصل الاسلام وهو الاستسلام والالتقياد الظاهر وحكم الاسلام في الظاهر يثبت بالشهادتين وانما أضاف اليهما الأربع لكونها أظهر شعائر الاسلام ومعظمها وقيامه بها يتم استسلامه وتركه لها يشعر بحمل قيد انقياده أو انحلاله ثم ان اسم الاسلام يتناول ما فسر به الاسلام في هذا الحديث وسائر الطاعات لكونها ثمرات التصديق الباطن الذي هو أصل الايمان ومقومات ومتممات وحافظات له ولهذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم الايمان في حديث وفد عبد القيس بالشهادتين والصلاة والزكاة والصوم واعطاء الخمس من المغنم ولهذا لا يقع اسم المؤمن المطلق على من ارتكب كبيرة أو ترك فريضة لان اسم الشيء الكامل يقع على الكامل منه ولا يستعمل في الناقص ظاهراً الا بقيد ولذلك جاز اطلاق نفيه عنه في قوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن واسم الاسلام يتناول أيضاً ما هو أصل الايمان وهو التصديق ويتناول أصل الطاعات فان ذلك كله استسلام قال نخرج بما ذكرناه وحققناه أن الاسلام والايمان مجتمعان ويفترقان وان كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً قال فهذا تحقيق واف بالتوفيق بين متفرقات النصوص الواردة في الايمان والاسلام التي طال ما غلط فيها الخاضعون وما حققناه من ذلك موافق لمذاهب جماهير العلماء من أهل الحديث وغيرهم فيقال هذا الذي ذكره رحمه الله فيه من الموافقة ما قد بين من أقوال الأئمة وما دل عليه الكتاب والسنة ما يظهر به أن الجمهور يقولون كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً وقوله ان الحديث ذكر فيه أصل الايمان وأصل الاسلام قد يورد عليه ان النبي صلى الله عليه وسلم أجاب عن الايمان والاسلام بما هو من جنس الجواب بالحد عن المحدود فيكون ما ذكره مطابقاً لهما لا لاصلهما فقط فالإيمان هو الايمان بما ذكره باطناً وظاهراً لكن ما ذكره من الايمان تضمن الاسلام كما ان الاحسان تضمن الايمان وقول القائل أصل الاستسلام هو الاسلام الظاهر فالاستسلام هو الاستسلام لله والالتقياد له ظاهراً وباطناً فهذا هو دين الاسلام الذي ارتضاه الله كما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة ومن أسلم بظاهره دون باطنه فهو منافق يقبل ظاهره فانه لم يؤمر أن يشق عن قلوب الناس وأيضاً فاذا كان الاسلام يتناول التصديق الباطن الذي هو أصل الايمان فيلزم أن يكون كل مسلم مؤمناً وهو خلاف ما نقل عن الجمهور لكن لا بد في الاسلام من تصديق يحصل به أصل الايمان والالم يثبت عليه فيكون حينئذ مسلماً مؤمناً فلا بد ان يتبين المسلم الذي ليس بمؤمن ودخوله في الاسلام والنبي صلى الله عليه وسلم قال هذا جبرائيل أنا كم يعصمكم دينكم وقوله الاسلام هو الاركان الخمسة لا يعني به من أداها بلا اخلاص لله بل مع النفاق بل المراد من فعلها كما أمر بها باطناً وظاهراً وذكر الخمس انها هي الاسلام لانها هي العبادات المحضة التي تجب لله تعالي على كل عبد مطبق لها وما سواها إما واجب على الكفاية لمصاحبة اذا حصلت سقط الوجوب وما من حقوق الناس بعضهم على بعض وان كان فيها قرينة ونحو ذلك وتلك تابعة لهذه كما قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وأفضل الاسلام ان تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن

لم تعرف ونحو ذلك فهذه الخمس هي الاركان والمباني كما في الايمان . . . وقول القائل الطاعات ثمرات التصديق الباطن يراد به شيان يراد به انها لوازم له فتي وجد الايمان الباطن وجدت وهذا مذهب السلف وأهل السنة ويراد به ان الايمان الباطن قد يكون سبباً وقد يكون الايمان الباطن تاماً كاملاً وهي لم توجد وهذا قول المرجئة من الجهمية وغيرهم وقد ذكرنا فيما تقدم انهم غلطوا في ثلاثة أوجه . . . أحدها ظنهم ان الايمان الذي في القلب تصديق بلا عمل للقلب كحجة الله وخشيته . . . والثاني ظنهم ان الايمان الذي في القلب يكون تاماً بدون العمل الظاهر وهذا يقول به جميع المرجئة . . . والثالث قولهم كل من كفره الشارع فانما كان لانتفاء تصديق القلب بالرب تبارك وتعالى وكثير من المتأخرين لا يميزون بين مذاهب السلف وأقوال المرجئة والجهمية لاختلاط هذا بهذا في كلام كثير منهم بمن هو في باطنه يري رأى الجهمية والمرجئة في الايمان وهو معظم للسلف والحديث فيظن انه يجمع بينهما أو يجمع بين كلام أمثاله وكلام السلف . . . قال أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي وقالت طائفة ثالثة وهم الجمهور الاعظم من أهل السنة والجماعة وأصحاب الحديث الايمان الذي دعا الله العباد اليه وافترضه عليهم هو الاسلام الذي جعله ديناً وارتضاه لعباده ودعاهم اليه وهو ضد الكفر الذي سخطه فقال (ولا يرضى لعباده الكفر) وقال (ورضيت لكم الاسلام ديناً) وقال (فن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام) وقال (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) فمدح الله الاسلام بمثل ما مدح به الايمان وجعله اسم نداء وتزكية فاخبر ان من أسلم فهو على نور من ربه وهدى واخبر انه دينه الذي ارتضاه وما ارتضاه فقد أوجبته وامتدحه ألا ترى ان أنبياء الله ورسله رغبوا فيه اليه وسألوه اياه فقال ابراهيم واسماعيل (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) وقال يوسف (نوفى مسلماً والحقني بالصالحين) وقال (ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون) وقال (وقل للذين أتوا الكتاب والأمة أسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا) وقال في موضع آخر (قولوا آمنوا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق) الى قوله (فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) فحكم الله بان من أسلم فقد اهتدى ومن آمن فقد اهتدى فسوي بينهما قال وقد ذكرنا تمام الحجة في ان الاسلام هو الايمان وانهما لا يفترقان ولا يتباينان في موضع غير هذا فكرهنا اعادته في هذا الموضع كراهة التطويل والتكرير غير اننا سنذكر من الحجة ما لم نذكره في غير هذا الموضع ونبين خطأ تأويلهم والحجج التي احتجوا بها من الكتاب والاختبار على التفرقة بين الاسلام والايمان . . . قلت مقصود محمد بن نصر المروزي رحمه الله ان المسلم الممدوح هو المؤمن الممدوح وان المذموم ناقص الاسلام والايمان وان كل مؤمن فهو مسلم وكل مسلم فلا بد ان يكون معه ايمان وهذا صحيح وهو متفق عليه ومقصوده أيضاً ان من أطلق عليه الاسلام أطلق عليه الايمان وهذا فيه نزاع لفظي ومقصوده ان مسمى أحدهما هو مسمى الآخر وهذا لا يعرف عن أحد من السلف وان قيل هما متلازمان فالمتلازمان لا يجب ان يكون مسمى هذا هو مسمى هذا وهو لم ينقل عن أحد من الصحابة

والتابعين لهم باحسان ولا أئمة الاسلام المشهورين انه قال مسمى الاسلام هو مسمى الايمان كما نصره بل  
 ولا عرفت أنا أحداً قال ذلك من السلف ولكن المشهور عن الجماعة من السلف والخلف ان المؤمن  
 المستحق لو عد الله هو المسلم المستحق لو عد الله فكل مسلم مؤمن وكل مؤمن مسلم وهذا متفق على معناه  
 بين السلف والخلف بل وبين فرق الامة كلهم يقولون ان المؤمن الذي وعد بالجنة لا بد ان يكون مسلماً  
 والمسلم الذي وعد بالجنة لا بد ان يكون مؤمناً وكل من يدخل الجنة بلا عذاب من الاولين والآخرين فهو  
 مؤمن مسلم ٥٥ ثم ان أهل السنة يقولون الذين يخرجون من النار ويدخلون الجنة معهم بعض ذلك وانما  
 النزاع في اطلاق الاسم فالتقول متواترة عن السلف بان الايمان قول وعمل ولم ينقل عنهم شيء من ذلك في  
 الاسلام ولكن لما كان الجمهور الاعظم يقولون ان الاسلام هو الدين كله ليس هو الكلمة فقط خلاف  
 ظاهر ما نقل عن الزهري فكانوا يقولون ان الصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك من الافعال المأمور  
 بها هي من الاسلام كما هي من الايمان ظن انهم يجعلونها شيئاً واحداً وليس كذلك فان الايمان مستلزم للاسلام  
 باتفاقهم وليس اذا كان الاسلام داخل فيه يلزم ان يكون هو اياه وأما الاسلام فليس معه دليل على انه يستلزم  
 الايمان ولكن هل يستلزم الايمان الواجب أو كمال الايمان فيه نزاع وليس معه دليل على انه مستلزم  
 للايمان ولكن الانبياء الذين وصفهم الله بالاسلام كلهم كانوا مؤمنين وقد وصفهم الله بالايمان ولو لم يذكر  
 ذلك عنهم فنحن نعلم قطعاً ان الانبياء كلهم مؤمنون وكذلك السابقون الاولون كانوا مسلمين مؤمنين ولو  
 قدر ان الاسلام يستلزم الايمان الواجب فغاية ما يقال انهما متلازمان فكل مسلم مؤمن وكل مؤمن مسلم  
 وهذا صحيح ان أريد ان كل مسلم يدخل الجنة معه الايمان الواجب وهو متفق عليه اذا أريد ان كل مسلم  
 يثاب على عبادته فلا بد أن يكون معه أصل الايمان فما من مسلم الا وهو مؤمن وان لم يكن هو الايمان  
 الذي نفاه النبي صلى الله عليه وسلم عن لا يجب لآخيه ما يجب لنفسه وعن يفعل الكبائر وعن الاعراب  
 وغيرهم اذا قيل ان الاسلام والايمان التام متلازمان لم يلزم أن يكون أحدهما هو الآخر كالروح والبدن  
 فلا يوجد عندنا روح الامع البدن ولا يوجد بدن حي الامع الروح وليس أحدهما الآخر فالايان  
 كالروح فانه قائم بالروح ومتصل بالبدن والاسلام كالبدن ولا يكون البدن حياً الامع الروح بمعنى انهما  
 متلازمان لان مسمى أحدهما هو مسمى الآخر واسلام المناققين كبدن الميت جسد بلا روح فامن بدن  
 حي الا وفيه روح ولكن الارواح متنوعة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجنودة فما  
 تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وليس كل من صلى ببدنه يكون قلبه منوراً بذكر الله والخشوع  
 وفهم القرآن وان كانت صلواته يثاب عليها ويسقط عنه الفرض في أحكام الدنيا فهكذا الاسلام الظاهر  
 بمنزلة الصلاة الظاهرة والايمان بمنزلة ما يكون في القلب حين الصلاة من المعرفة بالله والخشوع وتبديل القرآن  
 فكل من خشع قلبه خشعت جوارحه ولا ينعكس ولهذا قيل اياكم وخشوع النفاق وهو أن يكون الجسد  
 خاشعاً والقلب ليس بخاشع فاذا صالح القلب صالح الجسد كله وليس اذا كان الجسد في عبادة يكون القلب  
 قائماً بجماعتها والناس في الايمان والاسلام على ثلاث مراتب ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات فالسليم

ظاهراً وباطناً اذا كان ظالماً لنفسه فلا بد أن يكون معه ايمان ولكن لم يأت بالواجب ولا ينعكس وكذلك  
 في الآخر وسيأتي ان شاء الله والآيات التي احتج بها محمد بن نصر تدل على وجوب الاسلام وانه دين الله  
 وان الله يحبه ويرضاه وانه ليس له دين غيره وهذا كله حق ولكن ليس في هذا ما يدل على انه هو الايمان  
 بل ولا يدل على ان بمجرد الاسلام يكون الرجل من أهل الجنة كما ذكره في حجة القول الاول وان  
 الله وعد المؤمنين بالجنة في غير آية ولم يذكر هذا الوعد باسم الاسلام حينئذ فدحه وإجابه ومحبة الله له  
 تدل على دخوله في الايمان وانه بعض منه وهذا متفق عليه بين أهل السنة كلهم يقولون كل مؤمن مسلم  
 وكل من أتى بالايمان الواجب فقد أتى بالاسلام الواجب لكن النزاع في العكس وهذا كما ان الصلاة يحبها  
 الله ويأمر بها ويوجبها ويثني عليها وعلى أهلها في غير موضع ثم لم يدل ذلك على ان مسمى الصلاة مسمى  
 الايمان بل الصلاة تدخل في الايمان فكل مؤمن مصل ولا يبازم أن يكون كل من صلى وأتى الكبائر مؤمناً  
 وجميع ما ذكره من الحجة عن النبي صلى الله عليه وسلم فان فيها التفريق بين مسمى الايمان والاسلام  
 اذا ذكر اجمعاً كما في حديث جبرائيل وغيره وفيها أيضاً ان اسم الايمان اذا أطلق دخل فيه الاسلام قال أبو  
 عبد الله بن حامد في كتابه المصنف في أصول الدين قد ذكرنا ان الايمان قول وعمل فأما الاسلام فكلام  
 أحمد يحتمل روايتين أحدهما انه كالايان والثانية انه قول بلا عمل وهو نصه في رواية اسماعيل بن سعيد  
 قال والصحيح ان المذهب رواية واحدة انه قول وعمل ويحتمل قوله ان الاسلام قول يريد به انه لا يجب  
 فيه ما يجب في الايمان من العمل المشروط وفيه لان الصلاة ليست من شرطه اذ النص عنه انه لا يكفر  
 بتركه الصلاة قال وقد قضينا ان الاسلام والايان اسمان لمعنيين وذكرنا اختلاف الفقهاء وقد ذكر قبل  
 ذلك ان الاسلام والايان اسمان لمعنيين مختلفين وبه قال مالك وشريك وحماد بن زيد بالفرقة بين الاسلام  
 والايان قال وقال أصحاب الشافعي وأصحاب أبي حنيفة انهما اسمان معناهما واحد قال وينفذ هذا ان  
 الايمان قد تنفى عنه تسميته مع بقاء الاسلام عليه وهو باتيان الكبائر التي ذكرت في الخبر فيخرج عن  
 تسمية الايمان الا انه مسلم فاذا تاب من ذلك عاد الى ما كان عليه من الايمان ولا تنفى عنه تسمية الايمان  
 بارتكاب الصغائر من الذنوب بل الاسم باق عليه ثم ذكر أدلة ذلك ولكن ما ذكره فيه أدلة كثيرة على  
 من يقول الاسلام مجرد الكلمة فان الأدلة الكثيرة تدل على ان الاعمال من الاسلام بل النصوص كلها  
 تدل على ذلك فمن قال ان الاعمال الظاهرة للمأمور بها ليست من الاسلام فقوله باطل بخلاف التصديق  
 الذي في القلب فان هذا ليس في النصوص ما يدل على انه من الاسلام بل هو الايمان وانما الاسلام الدين كما  
 فسره النبي صلى الله عليه وسلم بأن يسلم وجهه وقلبه لله فاخلاص الدين لله اسلام وهذا غير التصديق  
 ذاك من جنس عمل القلب وهذا من جنس علم القلب وأحمد بن حنبل وان كان قد قال في هذا الموضع ان  
 الاسلام هو الكلمة فقد قال في موضع آخر ان الاعمال من الاسلام وهو أتبع هنا الزهري رحمه الله فان  
 كان مراد من قال ذلك انه بالكلمة يدخل في الاسلام ولم يأت بتمام الاسلام فهذا قريب وان كان مراده  
 انه أتى بجميع الاسلام فهذا غلط قطعاً بل قد أنكر أحمد هذا الجواب وهو قول من قال يطلق عليه الاسلام

وان لم يعمل متابعة لحديث جبرائيل فكان ينبغي أن يذكر قول أحمد جميعه . . قال اسماعيل بن سعيد سألت أحمد عن الاسلام والايمان فقال الايمان قول وعمل والاسلام الاقرار وقال وسألت أحمد عن قول الذي قال جبرئيل للنبي صلى الله عليه وسلم اذ سأله عن الاسلام فاذا فعلت ذلك فأنا مسلم فقال نعم فقال قائل وان لم يفعل الذي قال جبرئيل للنبي صلى الله عليه وسلم فهو مسلم أيضاً فقال هذا معاند للحديث فقد جعل أحمد من جملة مسلمانا اذا لم يأت بالتحس معانداً للحديث مع قوله ان الاسلام الاقرار فدل ذلك على ان ذلك أول الدخول في الاسلام وانه لا يكون قائماً بالاسلام الواجب حتى يأتي بالتحس واطلاق الاسم مشروط بها فانه ذم من لم يتبع حديث جبرائيل . . وأيضاً فهو في أكثر أجوبته يكفر من لم يأت بالصلاة بل وبغيرها من المباني والكافر لا يكون مسلماً باتفاق المسلمين فعلم أنه لم يرد أن الاسلام هو مجرد القول بلا عمل وان قدر أنه أراد ذلك فهذا يكون انه لا يكفر بترك شيء من المباني الاربعة . . وأكبر الروايات عنه بخلاف ذلك والذين لا يكفرون من ترك هذه المباني يجعلونها من الاسلام كالشافعي ومالك وأبي حنيفة وغيرهم فكيف لا يجعلها احمد من الاسلام وقوله في دخولها في الاسلام أقوى من قول غيره وقد روى عنه أنه جعل حديث سعد معارضاً لحديث عمر ورجح حديث سعد . . قال الحسن بن علي سألت أحمد بن حنبل عن الايمان أو كذاً والاسلام قال جاء حديث عمر هذا وحديث سعد أحب إلي كأنه فهم ان حديث عمر يدل على أن الاعمال هي مسمى الاسلام فيكون مسماه أفضل وحديث سعد يدل على ان مسمى الايمان أفضل ولكن حديث عمر لم يذكر الاسلام الا الاعمال الظاهرة فقط وهذه لا تكون ايماناً الا مع الايمان الذي في القلب بالله وملائكته وكتبه ورسله فيكون حينئذ بعض الايمان فيكون مسمى الايمان أفضل كما دل عليه حديث سعد فلا منافاة بين الحديثين . . وأما تفريق أحمد بين الاسلام والايمان فكان يقول تارة وتارة يحكي الخلاف ولا يجزم به وكان اذا فرق بينهما تارة يقول الاسلام الكلمة وتارة لا يقول ذلك وكذلك التكفير بترك المباني كان تارة يكفر بها حتى يغضب وتارة لا يكفر بها . . قال الميموني قلت يا أبا عبد الله تفرق بين الاسلام والايمان قال نعم قلت بأي شيء تحتاج قال عامة الاحاديث تدل على هذا ثم قال لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن وقال الله تعالى ( قالت الاهراب آمننا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ) قال وحماد بن زيد يفرق بين الاسلام والايمان قال وحدثنا أبو سلمة الخزازي قال قال مالك وشريك وذكر قولهم وقول حماد بن زيد فرق بين الاسلام والايمان قال أحمد قال لي رجل لو لم يجئنا في الايمان الا هذا لكان حسناً . . قلت لابي عبد الله فتذهب الي ظاهر الكتاب مع السنن قال نعم قلت فاذا كانت المرجحة يقولون ان الاسلام هو القول قال هم يصيرون هذا كله واحداً ويجعلونه مسلماً ومؤمناً شيئاً واحداً على ايمان جبرائيل ومستكمل الايمان قلت فمن ههنا حججتنا عليهم قال نعم فقد ذكر عنه الفرق مطلقاً واحتجاجه بالنصوص وقال صالح بن أحمد سئل أبي عن الاسلام والايمان قال قال ابن أبي ذئب الاسلام القول والايمان العمل قيل له ما تقول أنت قال الاسلام غير الايمان وذكر حديث سعد وقول النبي صلى الله عليه وسلم فهو في هذا الحديث لم يختر

قول من قال الاسلام القول بل اُجاب بأن الاسلام غير الايمان كما دل عليه الحديث الصحيح مع القرآن  
وقال حنبل حدثنا أبو عبد الله بحديث برودة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم اذا خرجوا الى  
المقابر أن قائلهم يقول السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وأنا ان شاء الله بكم لا حقون  
الحديث قال وسمعت أبا عبد الله يقول في هذا الحديث حجة على من قال الايمان قول فمن قال انا مؤمن  
قوله من المؤمنين والمسلمين فيمن المؤمن من المسلم ورد على من قال انا مؤمن مستكمل الايمان وقوله  
وأنا ان شاء الله بكم لا حقون وهو يعلم انه ميت يشيد قول من قال انا مؤمن ان شاء الله الاستثناء في هذا  
الموضع. . . وقال أبو الحارث سألت أبا عبد الله قلت قوله لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا  
يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن قال قد تأولوه فأما عطاء فقال يتنحي عنه الايمان وقال طاوس اذا  
فعل ذلك زال عنه الايمان . . . وروى عن الحسن قال ان رجعا راجعا الايمان وقد قيل يخرج من  
الايمان الى الاسلام ولا يخرج من الاسلام . . . وروي هذه المسألة صالح فان مسائل أبي الحارث يروها  
صالح أيضاً وصالح سأل أباه عن هذه القصة قال فيها هكذا يروي عن أبي جعفر قال لا يزني الزاني  
حين يزني وهو مؤمن قال يخرج من الايمان الى الاسلام فالإيمان مقصور في الاسلام فاذا زنا خرج  
من الايمان الى الاسلام قال الزهري يعني لما روى حديث سعد أو مسلم فزني ان الاسلام الكلمة  
والايمان العمل قال أحمد وهو حديث متأول والله أعلم فقد ذكر أقوال التابعين ولم يرجح شيئاً وذلك  
والله أعلم لأن جميع ما قالوه حق وهو يوافق على ذلك كله كما قد ذكر في مواضع أخر أنه يخرج  
من الايمان الى الاسلام ونحو ذلك وأحمد وأمثاله من السلف لا يريدون بلفظ التأويل صرف  
اللفظ عن ظاهره بل التأويل عندهم مثل التفسير وبيان ما يؤل اليه اللفظ كقول عائشة رضی الله عنها  
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك يتأول  
القرآن والا فما ذكره التابعون لا يخالف ظاهر الحديث بل يوافقه وقول أحمد يتأوله أي يفسر معناه  
وان كان ذلك يوافق ظاهره لئلا يظن مبتدع ان معناه انه صار كافراً لا إيمان معه بحال كما تقوله الخوارج  
فان الحديث لا يدل على هذا والذي نفي عن هؤلاء الايمان كان يجملهم مسلمين لا يجملهم مؤمنين . . . قال  
المروزي قيل لأبي عبد الله نقول نحن المؤمنون فقال نقول نحن المسلمون قلت لأبي عبد الله تقول إنا  
مؤمنون قال ولكن تقول إنا مسلمون وهذا لان من أصله الاستثناء في الايمان لانه لا يعلم انه مؤدٍ لجميع  
ما أمره الله به فهو مثل قوله أنا برأتا تقي أنا ولي الله كما يذكر في موضعه وهذا لا يمنع ترك الاستثناء اذا  
أراد اني مصدق فانه يجوز بما في قلبه من التصديق ولا يجوز بانه ممثل لكل ما أمر به وكما يجوز بانه يجب  
الله ورسوله فانه يفيض الكفر ونحو ذلك مما يعلم انه في قلبه وكذلك اذا أراد بانه مؤمن في الظاهر فلا  
يمنع أن يجوز بما هو معلوم له وانما يكره ما كرهه سائر الغالية من قول المرجئة أو يقولون الايمان شيء  
مماثل في جميع أهله مثل كون كل انسان له رأس فيقول أحدهم أنا مؤمن حقاً وأنا مؤمن عند الله  
ونحو ذلك كما يقول الانسان لي رأس حقاً وأنا لي رأس في علم الله حقاً فمن جزم به على هذا الوجه فقد

أخرج الاعمال الباطنة والظاهرة عنه وهذا منكر من القول وزور عند الصحابة والتابعين ومن اتبعهم من سائر المسلمين وللناس في مسألة الاستثناء كلام يذكر في موضعه والمقصود هنا ان هنا قولين متطرفين قول من يقول الاسلام مجرد الكلمة والاعمال الظاهرة ليست داخلة في مسمى الاسم وقول من يقول مسمى الاسلام والايمان واحد وكلاهما قول ضعيف مخالف لحديث جبرائيل وسائر احاديث النبي صلى الله عليه وسلم وهذا لما نصر محمد بن نصر المروزي القول الثاني لم يكن معه حجة على صحته ولكن احتج بما يبطل به القول الاول فاحتج بقوله في قصة الاعراب ( بل الله يئن عليكم ان هذا كم للايمان ان كنتم صادقين ) قال فدل ذلك على ان الاسلام هو الايمان فيقال بل يدل على تقيض ذلك لان القوم لم يقولوا أسلمنا بل قالوا آمنا والله أمرهم أن يقولوا أسلمنا ثم ذكر تسميتهم بالاسلام فقول ( بل الله يئن عليكم أن هذا كم للايمان ان كنتم صادقين ) في قولكم آمنا ولو كان الاسلام هو الايمان لم يحتج أن يقول ان كنتم صادقين فانهم صادقون في قولهم أسلمنا مع انهم لم يقولوا ولكن الله قال ( يئنون عليكم أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يئن عليكم ) أي يئنون عليكم ما فعلوه من الاسلام فانه تعالى سمي فعلهم إسلاماً وليس في ذلك ما يدل على انهم سموه اسلاماً وانما قالوا آمنا ثم أخبر ان المنة تقع بالهداية الى الايمان فأما الاسلام الذي لا إيمان معه فكان الناس يفعلونه خوفاً من السيف فلا منة لهم بفعله واذ لم يئن الله عليهم بالايمان كان ذلك كاسلام المنافقين فلا يقبله الله منهم فأما اذا كانوا صادقين في قولهم آمنا فالله هو المان عليهم بهذا الايمان وما يدخل فيه من الاسلام وهو سبحانه نفي عنهم الايمان أولاً وهنا علق منة الله به على صدقهم فدل على جواز صدقهم وقد قيل انهم صاروا صادقين بعد ذلك ويقال المعاق بشرط لا يستلزم وجود ذلك الشرط ويقال لانه كان معهم ايمان ما لكن ما هو الايمان الذي وصفه نانياً بل معهم شعبة من الايمان قال محمد بن نصر وقال الله تعالى ( وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين الآية ) وقال ( ان الدين عند الله الاسلام ) فسمى اقام الصلاة وإيتاء الزكاة ديناً قيماً وسمى الدين إسلاماً فمن لم يؤد الزكاة فقد ترك من الدين القيم الذي أخبر الله انه عنده الدين وهو الاسلام بعضاً قال وقد جاء معينا هذه الطائفة التي فرقت بين الاسلام والايمان على أن الايمان قول وعمل وان الصلاة والزكاة من الايمان وقد سماها الله ديناً وأخبر ان الدين عنده الاسلام فقد سمي الله الاسلام بما سمي به الايمان وسمى الايمان بما سمي به الاسلام وبمثل ذلك جاءت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن زعم ان الاسلام هو الاقرار وان العمل ليس منه فقد خالف الكتاب والسنة ولا فرق بينه وبين المرجئة إذ زعمت ان الايمان اقرار بل عمل فيقال أما قوله ان الله جعل الصلاة والزكاة من الدين والدين عنده هو الاسلام فهذا كلام حسن موافق لحديث جبرائيل ورده على من جعل العمل خارجاً من الاسلام كلام حسن وأما قوله ان الله سمي الايمان بما سمي به الاسلام وسمى الاسلام بما سمي به الايمان فليس كذلك فان الله انما قال ( ان الدين عند الله الاسلام ) ولم يقل قط ان الدين عند الله الايمان ولكن هذا الدين من الايمان وليس اذا كان منه يكون هو إياه فان الايمان أصله معرفة القلب وتصديقه وقوله

والعمل تابع لهذا العلم والتصديق ملازم له ولا يكون العبد مؤمناً إلا بهما وأما الاسلام فهو عمل محض مع قول والعمل والتصديق ليس جزء مسماه لكن يلزمه جنس التصديق فلا يكون عمل إلا بعلم لكن لا يستلزم الايمان المنفصل الذي بينه الله ورسوله كما قال تعالى ( انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون ) وقوله ( انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون ) . وسائر النصوص التي تنفي الايمان عن من لم يتصف بما ذكره فان كثيراً من المسلمين مسلم باطنياً وظاهراً ومعه تصديق مجمل ولم يتصف بهذا الايمان والله تعالى قال ( ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه ) وقال ( ورضيت لكم الاسلام ديناً ) ولم يقل ( ومن يتبع غير الاسلام علماً ومعرفة وتصديقاً وايمانا ولا قال رضيت لكم الايمان تصديقاً وعلماً فان الاسلام من جنس الدين والعمل والطاعة والالتقاد والخضوع فمن ابتغى غير الاسلام ديناً فان يقبل منه والايمان طمأنينة ويقين أصله علم وتصديق ومعرفة والدين تابع له يقال آمنت بالله وأسلمت لله قال موسى ( يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين ) فلو كان مسماها واحداً كان هذا تكريراً وكذلك قوله ( ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ) كما قال ( والصادقين والصابرين والخاصين ) فالؤمن متصف بهذا كله لكن هذه الاسماء لا تطابق الايمان في العموم والخصوص وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت كما ثبت في الصحيحين انه كان يقول ذلك اذا قام من الليل وثبت في صحيح مسلم وغيره انه كان يقول في سجوده اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت وفي الركوع يقول لك ركعت ولك أسلمت وبك آمنت ولما بين النبي صلى الله عليه وسلم خاصة كل منهما قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من آمنه الناس على دماهم وأموالهم ومعلوم ان السلامة من ظلم الانسان غير كونه مأموناً على الدم والمال فان هذا أعلى والمؤمن يسلم الناس من ظلمه وليس من سلموا من ظلمه يكون مأموناً عندهم . . قال محمد بن نصر فن زعم ان الاسلام هو الاقرار وان العمل ليس منه فقد خالف الكتاب والسنة وهذا صحيح فان النصوص كلها تدل على ان الاعمال من الاسلام قال ولا فرق بينه وبين المرجئة اذ زعمت ان الايمان اقرار بلا عمل فيقال بل بينهما فرق وذلك ان هؤلاء الذين قالوا من أهل السنة كالزهري ومن وافقه يقولون الاعمال داخلة في الايمان والاسلام عندهم جزء من الايمان والايمان عندهم أكمل وهذا موافق للكتاب والسنة ويقولون الناس يتفاضلون في الايمان وهذا موافق للكتاب والسنة والمرجئة يقولون الايمان بهض الاسلام والاسلام أفضل ويقولون ايمان الناس متساو فإيمان الصحابة وأجف الناس سواء ويقولون لا يكون مع أحد بهض الايمان دون بعض وهذا مخالف للكتاب والسنة . . وقد أجاب أحمد عن هذا السؤال كما قاله في احدى روايته أن الاسلام هو الكلمة قال الزهري فانه تارة يوافق من قال ذلك وتارة لا يوافقه بل يذكر ما دل عليه الكتاب والسنة من أن الاسلام غير الايمان فلما أجاب بقول الزهري قال له الميموني قلت يا أبا عبد الله تفرق

بين الاسلام والايمان قال نعم قلت بأي شيء نمتج قال عامة الأحاديث تدل على هذا ثم قال لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن وقال الله تعالى ( قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ) قلت له فتذهب الى ظاهر الكتاب مع السنن قال نعم قلت فاذا كانت المرجئة تقول ان الاسلام هو القول قال هم يصيرون هذا كله واحداً ويجعلونه مسلماً ومؤمناً شيئاً واحداً على إيمان جبرائيل ومستكمل الايمان قلت فن هنا حجبتنا عليهم قال نعم فقد أجاب احمد بأنهم يجعلون الفاسق مؤمناً مستكمل الايمان على ايمان جبرائيل . . وأما قوله يجعلونه مسلماً ومؤمناً شيئاً واحداً فهذا قول من يقول الدين والايمان شيء واحد فالاسلام هو الدين فيجعلون الاسلام والايمان شيئاً واحداً وهذا القول قول المرجئة فيما يذكره كثير من الأئمة كالشافعي وأبي عبيد وغيرهما ومع هؤلاء يناظرون فالمعروف من كلام المرجئة الفرق بين لفظ الدين والايمان والفرق بين الاسلام والايمان ويقولون الاسلام بعضه ايمان وبعضه أعمال والأعمال منها فرض ونفل ولكن كلام السلف كان فيما يظهر لهم ويصل اليهم من كلام أهل البدع كما تجدهم في الجهمية اما يحكون عنهم أن الله في كل مكان وهذا قول طائفة منهم كالنجارية وهو قول عوامهم وعبادهم أما جمهور نظارهم من الجهمية والمعتزلة والضرارية وغيرهم فانما يقولون هو لا داخل العالم ولا خارجه ولا هو فوق العالم وكذلك كلامهم في القدرية يحكون عنهم انكار العلم والكتاب وهؤلاء هم القدرية الذين قال ابن عمر فيهم اذا لقيت أولئك فأخبرهم اني بريء منهم وانهم براء مني وهم الذين كانوا يقولون ان الله أمر العباد ونهاهم وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه ولا من يدخل الجنة ممن يدخل النار حتى فعلوا ذلك فعله بعد ما فعلوه ولهذا قالوا الأمر أنف أي مستأنف يقال روض أنف اذا كانت وافرة لم ترع قبل ذلك يعني أنه مستأنف العمل السعيد والشقي ويبدأ ذلك من غير أن يكون قد تقدم بذلك علم ولا كتاب فلا يكون العمل على ما قد قدر فيحتذى به حدو القدر بل هو أمر مستأنف مبتدأ والواحد من الناس اذا أراد أن يعمل عملاً قدر في نفسه ما يريد عمله ثم عمله كما قدر في نفسه وربما (١) أظهر ما قدره في الخارج بصورته ويسمي هذا التقدير الذي في النفس خلقاً ومنه قول الشاعر

ولانت تفري ما خلقت وبهشش الناس يخنق ثم لا يفر

يقول اذا قدرت أمراً أمضيته وأنفذته بخلاف غيرك فانه عاجز عن امضاء ما يقدره وقال تعالى ( انا كل شيء خلقناه بقدر ) وهو سبحانه يعلم قبل أن يخلق الاشياء كلما سيكون وهو يخنق بمشيئته فهو يعلمه ويريده وعلمه وارادته قائم بنفسه وقد يتكلم به ويخبر به كما في قوله ( لا ملأ من جنة منك ومن تبعك منهم أجمعين ) وقال ( ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجل مسجى ) وقال تعالى ( ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جنودنا لهم الغالبون ) وقال تعالى ( ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون ) وهو سبحانه كتب

ما يقدره فيما يكتبه فيه كما قال ( أم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير ) قال ابن عباس إن الله خلق الخلق وعلم ما هم عاملون ثم قال لعلمه كن كتابا فكان كتاباً ثم أنزل تصديق ذلك في قوله ( أم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير ) وقال تعالى ( ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير ) وقال ( ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون ) وقال ( يدعو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ) وقال للملائكة ( اني جاعل في الأرض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قل اني أعلم ما لا تعلمون ) فاللائكة قد علمت ما يفعل بنو آدم من الفساد وسفك الدماء فكيف لا يعلمه الله سواء علموه باعلام الله فيكون هو أعلم بما علمهم إياه كما قاله أكثر المفسرين أو قالوه بالقياس على من كان قبلهم كما قاله طائفة منهم أو بغير ذلك والله أعلم بما سيكون من مخلوقاته الذي لا علم الا ما علمهم وما أوحاه الى أنبيائه وغيرهم مما سيكون مما هو أعلم به منهم فانهم لا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء . . . وأيضاً فإنه قال للملائكة اني جاعل قبل ان يأمرهم بالسجود لآدم وقبل ان يمتنع ابليس وقبل ان ينهى آدم عن أكله من الشجرة وقبل ان يأكل منها ويكون أكله سبب اهباطه الى الأرض فقد علم الله سبحانه أنه سيستخلفه مع أمره له ولا بليس بما يعلم أنها يخالفانه فيه ويكون الخلاف سبب أمره لها بالاهباط والاستخلاف في الأرض . . . وهذا يبين أنه علم ما سيكون منهما من مخالفة الامر فان ابليس امتنع من السجود لآدم وأبغضه فصار عدوه فوسوس له حتى يأكل من الشجرة فيذنب آدم أيضاً فإنه قد تألى أنه ليغوينهم أجمعين وقد سأل الانظار الى يوم يبعثون فهو حريص على اغواء آدم وذريته بكل ما أمكنه لكن آدم تلقى من ربه كلمات فتاب عليه واجتباه ربه وهداه بنوته فصار لبنى آدم سبيل الى نجاتهم وسعادتهم مما يوقعهم الشيطان فيه بالاغواء وهو التوبة قال تعالى [ ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ) وقدر الله قد أحاط بهذا كله قبل ان يكون وابليس أصر على الذنب واحتج بالقدر وسأل الانظار ليهلك غيره وآدم تاب وأتاب وقال هو وزوجته ( ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ) فتاب الله عليه فاجتباه وهداه وأنزله الى الأرض ليعمل فيها بطاعته فيرفع الله بذلك درجته ويكون دخوله الجنة بعد هذا أكمل مما كان فمن أذنب من أولاد آدم فاقتدى بأبيه آدم في التوبة كان سعيداً واذا تاب وآمن وعمل صالحاً بدل الله سيئاته حسنات وكان بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة كما سائر أولياء الله المتقين ومن اتبع منهم ابليس فأصر على الذنب واحتج بالقدر وأراد أن يغوى غيره كان من الذين قال فيهم ( لا ملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين ) . . . والمقصود هنا ذكر القدر وقد ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قدر الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء وفي صحيح البخاري عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الله ولم يكن

شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والارض وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه انه أخبر ان الله قد علم أهل الجنة من أهل النار وما يعمله العباد قبل أن يعملوه وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود ان الله يبعث ملكا بعد خلق الجسد وقبل نفع الروح فيه فيكتب أجله ورزقه وعمله وشقى أو سعيد وهذه الاحاديث تأتي ان شاء الله في مواضعها فهذا القدر هو الذي أنكره القدرية الذين كانوا في أواخر زمن الصحابة وقد روى ان أول من ابتدعه بالعراق رجل من أهل البصرة يقل له سيسويه من أبناء الجوس وتلقاه عنه معبد الجهني ويقال أول ما حدث في الحجاز لما احترقت الكعبة. فقل رجل احترقت بقدر الله تعالى فقل آخر لم يقدر الله هذا ولم يكن على عهد الخلفاء الراشدين أحد ينكر القدر فلما ابتدع هؤلاء التكذيب بالقدر رده عليهم من بقي من الصحابة كعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وواثلة بن الاسقع وكان أكثره بالبصرة والشام وقابل منه بالحجاز فأكثر كلام السلف في ذم هؤلاء القدرية ولهذا قال وكيع بن الجراح القدرية يقولون الأمر مستقبل وان الله لم يقدر الكتابة والأعمال والمرجئة يقولون القول يجزي من العمل والجهمية يقولون المعرفة تجزي من القول والعمل قال وكيع وهو كله كفر رواه ابن (١) ولكن لما اشتهر الكلام في القدر ودخل فيه كثير من أهل النظر والعبادة صار جمهور القدرية يقرون بتقديم العلم وانما ينكرون عموم المشيئة والخلق وعن عمرو بن عبيد في انكار الكتاب المتقدم روايتان وقول أولئك كفرهم عليه مالك والشافعي وأحمد وغيرهم وأما هؤلاء فهم مبتدعون ضالون لكنهم ليسوا بمنزلة أولئك وفي هؤلاء خلق كثير من العلماء والعباد كتب عنهم العلم وأخرج البخاري ومسلم لجماعة منهم لكن من كان داعية اليه لم يخرجوا له وهذا مذهب فقهاء أهل الحديث كأحمد وغيره ان من كان داعية الي بدعة فانه يستحق العقوبة لدفع ضرره عن الناس وان كان في الباطن مجتهداً وأقل عقوبته ان يهجر فلا يكون له مرتبة في الدين لا يؤخذ عنه العلم ولا يستفتى ولا تقبل شهادته ونحو ذلك ومذهب مالك قريب من هذا ولهذا لم يخرج أهل الصحيح لمن كان داعية ولكن روواهم وسائر أهل العلم عن كثير ممن كان يرى في الباطن رأى القدرية والمرجئة والخوارج والشيعة وقال أحمد لو تركنا الرواية عن القدرية لتركنا أكثر أهل البصرة وهذا لان مسألة خلق أفعال العباد واردة الكائنات مسألة مشكلة وكان ان القدرية من المعتزلة وغيرهم أخطوا فيها فقد أخطأ فيها كثير ممن رد عليهم أو أكثرهم فانهم سلكوا في الرد عليهم مسلك جهنم بن صفوان وأتباعه فنفوا حكمة الله في خلقه وأمره ونفوا رحمته بعباده ونفوا ما جعله من الأسباب خلقاً وأمرأ وجمعدوا من الحقائق الموجودة في مخلوقاته وشرائعه ما صار ذلك سبباً لنفور أكثر المعتزلة الذين فهموا قولهم عما يظنونه السنة إذ كانوا يزعمون ان قول أهل السنة في القدر هو القول الذي ابتدعه جهنم وهذا لبسطه موضع آخر وانما المقصود هنا ان السلف في ردهم على المرجئة والجهمية والقدرية وغيرهم يردون من أقوالهم ما يبلغهم عنهم وما سمعوه من بعضهم وقد يكون ذلك قول طائفة منهم وقد

يكون نقلاً مغيراً فلها ردوا على المرجئة الذين يجعلون الدين والايان واحداً ويقولون هو القول وأيضاً فلم يكن حدث في زمنهم من المرجئة من يقول الايمان هو مجرد القول بلا تصديق ولا معرفة في القلب فان هذا انما أحده ابن كرام وهذا هو الذي انفرد به ابن كرام وأما سائر ما قاله فأقوال قيلت قبله ولهذا لم يذكر الأشعري ولا غيره ممن يحكي مقالات الناس عنه قولاً انفرد به الا هذا وأما سائر أقواله فيحكونها عن ناس قبلهم ولا يذكرونه ولم يكن ابن كرام في زمن أحمد بن حنبل وغيره من الأئمة فلها يحكون اجماع الناس على خلاف هذا القول كما ذكر ذلك أبو عبد الله أحمد بن حنبل وأبو ثور وغيرهما وكان قول المرجئة قبله ان الايمان قول باللسان وتصديق بالقلب وقول جهم انه تصديق القلب فلما قال ابن كرام انه مجرد قول اللسان صارت أقوال المرجئة ثلاثة لكن أحمد كان أعلم بمقالات الناس من غيره فكان يعرف قول الجهمية في الايمان وأما أبو ثور فلم يكن يعرفه ولا يعرف الا مرجئة الفقهاء فلها هذا حكي الاجماع على خلاف قول الجهمية والكرامية قال أبو ثور في رده على المرجئة كما روى ذلك أبو القاسم الطبري اللالكائي وغيره عن ادريس بن عبد الكريم قال سألت رجلاً من أهل خراسان أبا ثور عن الايمان وما هو أيزيد وينقص وقول هو أو قول وعمل أو تصديق وعمل فأجابه أبو ثور بهذا فقال سألت رجلاً من أهل خراسان أبا ثور عن الايمان وما هو أيزيد وينقص وقول هو أو قول وعمل أو تصديق وعمل فأخبرك بقول الطوائف واختلافهم اعلم رحمنا الله وإياك ان الايمان تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وذلك انه ليس بين أهل العلم خلاف في رجل لو قال أشهد أن الله عز وجل واحد وان ما جاءت به الرسل حق وأقر بجميع الشرائع ثم قال ما عقد قلبي على شيء من هذا ولا أصدق به انه ليس بمسلم ولو قال المسيح هو الله وجحد أمر الاسلام ثم قال لم يعقد قلبي على شيء من ذلك انه كافر بانظار ذلك وليس بمؤمن فلما لم يكن بالاقرار اذا لم يكن معه التصديق مؤمناً ولا بالتصديق اذا لم يكن معه الاقرار مؤمناً حتى يكون مصداقاً بقلبه مقراً بلسانه فاذا كان تصديقاً بالقلب وإقراراً باللسان كان عندهم مؤمناً وعند بعضهم لا يكون مؤمناً حتى يكون مع التصديق عمل فيكون بهذه الأشياء اذا اجتمعت مؤمناً فلما نفوا أن يكون الايمان بشيء واحد وقالوا يكون بشيئين في قول بعضهم وثلاثة أشياء في قول غيرهم لم يكن مؤمناً الا بما أجمعوا عليه من هذه الثلاثة الأشياء وذلك انه اذا جاء بهذه الثلاثة الأشياء فكلمهم يشهد انه مؤمن فقلنا بما أجمعوا عليه من التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح فأما الطائفة التي ذهبت الى ان العمل ليس من الايمان فيقال لهم ماذا أراد الله من العباد اذ قال لهم أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة الاقرار بذلك أو الاقرار والعمل فان قالت ان الله أراد الاقرار ولم يرد العمل فقد كفرت عند أهل العلم من قول ان الله لم يرد من العباد أن يصلوا ولا يؤتوا الزكاة وان قالت أراد منهم الاقرار والعمل قيل فاذا كان أراد منهم الأمرين جميعاً لم زعمتم انه يكون مؤمناً باحدهما دون الآخر وقد أرادهما جميعاً أرايتم لو أن رجلاً قال اعلم جميع ما أمر به الله ولا أقر به أيكون مؤمناً فان قالوا لا قيل لهم فان قال أقر بجميع ما أمر الله به ولا أعمل به أيكون مؤمناً فان قالوا نعم قيل ما الفرق فقد

زعمتم ان الله أراد الأمرين جميعاً فان جاز أن يكون بأحدهما مؤمناً اذا ترك الآخر جاز أن يكون بالآخر  
 اذا عمل به ولم يقر مؤمناً لا فرق بين ذلك فان احتج يقال لو أن رجلاً أسلم فأقر بجميع ما جاء به النبي  
 صلى الله عليه وسلم أيكون مؤمناً بهذا الاقرار قبل أن يجيء وقت عمل قيل له انما يطلق له الاسم  
 بتصديقه ان العمل عليه بقوله أن يعمل في وقته اذا جاء وليس عليه في هذا الوقت الاقرار بجميع  
 ما يكون به مؤمناً ولو قال أقر ولا أعمل لم يطلق عليه اسم الايمان قلت يعني الامام أبو نور رحمه الله  
 انه لا يكون مؤمناً الا اذا التزم بالعمل مع الاقرار والا فلو أقر ولم يلتزم بالعمل لم يكن مؤمناً وهذا  
 الاحتجاج الذي ذكره أبو نور هو دليل على وجوب الأمرين الاقرار والعمل وهو يدل على أن كلا  
 منهما من الدين وانه لا يكون مطيعاً لله ولا مستحقاً للثواب ولا ممدوحاً عند الله ورسوله الا بالأمرين  
 جميعاً وهو حجة على من يجعل الأعمال خارجة عن الدين والايمان جميعاً وأما من يقول انها من الدين  
 ويقول ان الفاسق مؤمن حيث أخذ ببعض الدين وهو الايمان عندهم وترك بعضه فهذا يحتج عليه  
 بشيء آخر لكن أبو نور وغيره من علماء السنة عامة احتجاجهم مع هذا الصنف وأحمد كان أوسع علماً  
 بالأقوال والحجج من أبي نور ولهذا انما حكى الاجماع على خلاف قول الكرامية ثم انه نوزع في النطق  
 على عاداته ولم يجزم بنفي الخلاف لكن قال لا أحسب أحداً يقول هذا وهذا في رسالته الى أبي عبد الرحيم  
 الجوزجاني ذكرها الخلال في كتاب السنة وهو أجمع كتاب يذكر فيه أقوال أحمد في مسائل الأصول  
 الدينية وان كان له أقوال زائدة على ما فيه كما ان كتابه في العلم أجمع كتاب يذكر فيه أقوال أحمد في  
 الأصول الفقهية قال المروزي رأيت أبا عبد الرحيم الجوزجاني عند أبي عبد الله وقد كان ذكره أبو  
 عبد الله فقال كان أبوه مرجئاً أو قال صاحب رأى وأما أبو عبد الرحيم فأثنى عليه وقد كان كتب الى  
 أبي عبد الله من خراسان يسأله عن الايمان وذكر الرسالة من طريقين عن أبي عبد الرحيم وجواب  
 أحمد بسم الله الرحمن الرحيم أحسن الله اليكما واليك في الأمور كلها وسألنا وإياك من كل شر برحمته  
 أناني كتابك تذكر فيه ما تذكر من احتجاج من احتج من المرجئة واعلم رحمك الله ان الخصومة في  
 الدين ليس من طريق أهل السنة وان تأويل من تأول القرآن بلا سنة تدل على معنى ما أراد الله منه  
 أو أثر عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعرف ذلك بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أو  
 عن أصحابه فهم شاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم وشهدوا تنزيهه وما قصه الله له في القرآن وما عني به وما  
 أراد به أخاص هو أم عام فأما من تأوله على ظاهره بلا دلالة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا  
 أحد من الصحابة فهذا تأويل أهل البدع لان الآية قد تكون خاصة ويكون حكمها حكماً عاماً ويكون  
 ظاهرها على العموم وانما قصدت لشيء بعينه ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو المعبر عن كتاب الله وما  
 أراد وأصحابه أعلم بذلك منا لمشاهدتهم الأمر وما أريد بذلك فقد تكون الآية خاصة أي معناها مثل قوله  
 تعالى (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) وظاهرها على العموم أي من وقع عليه اسم  
 ولد فله ما فرض الله فجاءت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يرث مسلم كافراً وروى عن النبي

صلى الله عليه وسلم وليس بالثابت الا انه عن أصحابه أنهم لم يورثوا قاتلاً فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المعبر عن الكتاب ان الآية انما قصدت للمسلم لا للكافر ومن حملها على ظاهرها لزمه أن يورث من وقع عليه اسم الولد كافراً كان أو قاتلاً وكذلك أحكام الوارث من الأبوين وغير ذلك مع أي كثير يطول بها الكتاب وانما استعملت الأمة السنة مع النبي صلى الله عليه وسلم ومن أصحابه الا من دفع ذلك من أهل البدع والخوارج وما يشبههم فقد رأيت الى ما خرجوا قلت لفظ الجمل والمطلق والعام كان في اصطلاح الأئمة كالشافعي وأحمد وأبي عبيد واسحاق وغيرهم سواء لا يريدون بالجمل ما لا يفهم منه معنى كما فسره به بعض المناخرين وأخطأ في ذلك بل الجمل ما لا يكفي وحده في العمل به وان كان ظاهره حقاً كما في قوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها) فهذه الآية ظاهرها ومعناها مفهوم ليست بما لا يفهم المراد به بل نفس مادلت عليه لا يكفي وحده في العمل فان المأمور به صدقة تكون مطهرة مزكية لهم وهذا انما يعرف ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا قال أحمد يحذر المتكلم في الفقه هذين الأصلين الجمل والقياس وقال أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس يريد بذلك أن لا يحكم بما يدل عليه العام والمطلق قبل النظر فيما يخصه ويقيده ولا يعمل بالقياس قبل النظر في دلالة النصوص هل تدفعه فان أكثر خطأ الناس تمسكهم بما يظنون من دلالة اللفظ والقياس فالأمور الظنية لا يعمل بها حتى يبحث عن المعارض بحيث يطمئن القلب اليه وإلا أخطأ من لم يفعل ذلك وهذا هو الواقع في المتمسكين بالظواهر والأقيسة ولهذا جعل الاحتجاج بالظواهر مع الاعراض عن تفسير النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه طريق أهل البدع وله في ذلك مصنف كبير وكذلك التمسك بالأقيسة مع الاعراض عن النصوص والآثار طريق أهل البدع ولهذا كان كل قول ابتدعه هؤلاء وهؤلاء قولاً فاسداً وانما الصواب من أقوالهم ما وافقوا فيه السلف من الصحابة والتابعين لهم باحسان وقوله تعالى (يوصيكم الله في أولادكم) سواء عاماً وهو مطلق في الأحوال يعمها على طريق البديل كما يعم قوله (فتحرير رقبة) جميع الرقاب لا يعمها كما يعم لفظ الولد للأولاد ومن أخذ بهذا لم يأخذ بما دل عليه ظاهر لفظ القرآن بل أخذ بما ظهر له مما سكت عنه القرآن فكان الظهور لسكوت القرآن عنه لا لدلالة القرآن على انه ظاهر فكانوا متمسكين بظاهر من القول لا بظاهر القول وعمدتهم عدم العلم بالنصوص التي فيها علم بما قيد والا تكمل ما بينه القرآن وأظهره فهو حق بخلاف ما يظهر للانسان لمعني آخر غير نفس القرآن يسمى ظاهر القرآن كاستدلالات أهل البدع من المرجئة والجهمية والخوارج والشيعة . قال أحمد وأما من زعم ان الايمان الاقرار فما تقول في المعرفة هل يحتاج الى المعرفة مع الاقرار وهل يحتاج أن يكون مصدقاً بما عرف فان زعم انه يحتاج الى المعرفة مع الاقرار فقد زعم انه من شيتين وان زعم انه يحتاج ان يكون مقراً ومصدقاً بما عرف فهو من ثلاثة أشياء وان جحد وقال لا يحتاج الى المعرفة والتصديق فقد قال قولاً عظيماً ولا أحسب أحداً يدفع المعرفة والتصديق وكذلك العمل مع هذه الاشياء . قلت أحمد وأبو ثور وغيرهما من الأئمة كانوا قد عرفوا أصل قول المرجئة وهو ان الايمان لا يذهب بعبه ويبقى

بعضه فلا يكون الا شيئاً واحداً فلا يكون ذا عدد اثنين أو ثلاثة فانه اذا كان له عدد أمكن ذهاب بعضه وبقاء بعضه بل لا يكون الا شيئاً واحداً ولهذا قالت الجهمية انه شيء واحد في القلب وقالت الكرامية انه شيء واحد على اللسان كل ذلك فرارا من تبعض الايمان وتعدده فلهمنا صاروا يناظرونهم بما يدل على انه ليس شيئاً واحداً كما قلتم فأبو ثور احتج بما اجتمع عليه فقهاء المرجئة من انه تصديق وعمل ولم يكن بلغه قول متكلميهم وجهميتهم أو لم يهد خلافهم خلافاً وأحمد ذكر انه لا بد من المعرفة والتصديق مع الاقرار وقال ان من جهد المعرفة والتصديق فقد قال قولاً عظيماً فان فساد هذا القول معلوم من دين الاسلام ولهذا لم يذهب اليه أحد قبل الكرامية مع ان الكرامية لا تنكر وجوب المعرفة والتصديق ولكن تقول لا يدخل في اسم الايمان حذراً من تبعضه وتعدده لانهم رأوا انه لا يمكن أن يذهب بعضه ويبقى بعضه بل ذلك يقتضى أن يجتمع في القلب ايمان وكفر واعتقدوا الاجماع على نفي ذلك كما ذكر هذا الاجماع الاشعري وغيره وهذه الشبهة التي أوقعتهم مع علم كثير منهم وعبادته وحسن اسلامه وايمانه ولهذا دخل في ارجاء الفقهاء جماعة هم عند الامة أهل علم ودين ولهذا لم يكفر أحد من السلف أحداً من مرجئة الفقهاء بل جعلوا هذا من بدع الاقوال والافعال لا من بدع العقائد فان كثيراً من النزاع فيها لفظي لكن اللفظ المطابق للكتاب والسنة هو الصواب فليس لاحد أن يقول بخلاف قول الله ورسوله لا سيما وقد صار ذلك ذريعة الى بدع أهل الكلام من أهل الارجاء وغيرهم الي ظهور الفسق فصار ذلك الخطأ اليسير في اللفظ سبباً خطأ عظيماً في العقائد والاعمال فلهمنا عظم القول في ذم الارجاء حتى قال ابراهيم النخعي لفتنتهم يعني المرجئة أخوف على هذه الامة من فتنة الازارقة وقال الزهري ما ابتدعت في الاسلام بدعة أضر على أهله من الارجاء وقال الاوزاعي كان يحيى بن أبي كثير وقتادة يقولان ليس شيء من الاهواء أخوف عندهم من الارجاء وقال شريك القاضي وذكر المرجئة فقال هم أحببت قوم حسبك بالرأفة خبئاً ولكن المرجئة يكذبون على الله وقال سفينان الثوري تركت المرجئة الاسلام أرق من ثوب سابري وقال قتادة أما حارث الارجاء بعد فتنة فرقة ابن الاشعث وسئل ميمون بن مهران عن كلام المرجئة فقال أنا أكبر من ذلك وقال سعيد بن جبير لذر الهمداني ألا تستحي من رأى أنت أكبر منه وقال أيوب السخيتاني أنا أكبر من دين المرجئة ان أول من تكلم في الارجاء رجل من أهل المدينة من بني هاشم يقال له الحسن وقال زاذان أتينا الحسن بن محمد فقلنا ما هذا الكتاب الذي وضعت وكان هو الذي أخرج كتاب المرجئة فقال لي يا أبا عمر لوددت اني كنت مت قبل أن أخرج هذا الكتاب أو أضع هذا الكتاب فان الخطأ في اسم الايمان ليس كالخطأ في اسم المحدث ولا كالخطأ في غيره من الاسماء اذ كانت أحكام الدنيا والآخرة متعلقة باسم الايمان والاسلام والكفر والنفاق وأحمد رضى الله عنه فرق بين المعرفة التي في القلب وبين التصديق الذي في القلب فان تصديق اللسان هو الاقرار وقد ذكر ثلاثة أشياء وهذا يحتمل شيئين يحتمل أن يفرق بين تصديق القلب ومعرفة القلب وهذا قول ابن كلاب والقلاسي والاشعري وأصحابه يفرقون بين

معرفة القلب وبين تصديق القلب فان تصديق القلب قوله وقول القلب عندهم ليس هو العلم بل نوعا  
آخر ولهذا قال أحمد هل يحتاج الي المعرفة مع الاقرار وهل يحتاج الي أن يكون مصدقا بما عرف فان  
زعم أنه يحتاج الي المعرفة مع الاقرار فقد زعم انه من شيتين وان زعم أنه يحتاج أن يكون مقرراً ومصدقا  
بما عرف فهو من ثلاثة أشياء فان جحد وقال لا يحتاج الي المعرفة والتصديق فقد أتى عظيمها ولا أحسب  
أمرأ يدفع المعرفة والتصديق والذين قالوا الايمان هو الاقرار فالأقرار باللسان يتضمن التصديق باللسان  
والمرجئة لم تختلف ان الاقرار باللسان فيه التصديق فعلم انه أراد تصديق القلب ومعرفة مع الاقرار  
باللسان الا أن يقال أراد تصديق القلب واللسان جميعاً مع المعرفة والاقرار ومراده بالاقرار الالتزام  
لا التصديق كما قال تعالي ( واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول  
مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا  
وانا معكم من الشاهدين ) فالميثاق المأخوذ على أنهم يؤمنون به وينصرونه وقد أمروا بهذا وليس  
هذا الاقرار تصديقاً فان الله تعالي لم يخبرهم بخبر بل أوجب عليهم اذا جاءهم ذلك الرسول أن  
يؤمنوا به وينصروه فصدقوا بهذا الاقرار والتزموه فهذا هو اقرارهم والانسان قد يقر  
للسول بمعنى انه يلتزم ما يأمر به مع غير معرفة ومن غير تصديق له بأنه رسول الله لكن لم يقل  
أحد من المرجئة ان هذا الاقرار يكون ايماناً بل لا بد عندهم من الاقرار الخبري وهو انه يقر له بأنه  
رسول الله كما يقر المقر بما يقر به من الحتموق ولفظ الاقرار يتناول الالتزام والتصديق ولا بد منها وقد  
يراد بالاقرار مجرد التصديق بدون التزام الطاعة والمرجئة تارة يجعلون هذا هو الايمان وتارة يجعلون  
الايمان التصديق والالتزام معا هذا هو الاقرار الذي يقوله فقهاء المرجئة انه ايمان والاولو قال أما أطيعه  
ولا أصدق أنه رسول الله أو أصدقه ولا التزم طاعته لم يكن مسلماً ولا مؤمناً عندهم واحمد قال لا بد  
مع هذا الاقرار أن يكون مصدقا وأن يكون عارفاً وأن يكون مصدقا بما عرف وفي رواية أخرى مصدقا  
بما أقر وهذا يقتضي أنه لا بد من تصديق باطن ويحتمل أن يكون لفظ التصديق عنده يتضمن القول  
والعمل جميعاً كما قد ذكرنا شواهد انه يقال صدق بالقول والعمل فيكون تصديق القلب عنده يتضمن  
انه مع معرفة قلبه أنه رسول الله قد خضع له وانقاد فصدقه بقول قلبه وعمل قلبه محبة وتعظيمها والاجرود  
معرفة قلبه أنه رسول الله مع الاعراض عن الاقياد له ولما جاء به اما حسداً واما كبراً واما لمحبة دينه  
الذي يخالفه واما لغير ذلك فلا يكون ايماناً ولا بد في الايمان من علم القلب وعمله فأراد احمد بالتصديق  
انه مع المعرفة به صار القلب مصدقاً له تابعاً له محباً له معظماً له فان هذا لا بد منه ومن دفع هذا عن أن  
يكون من الايمان فهو من جلس من دفع المعرفة من أن تكون من الايمان وهذا أشبه بأن يحمل عليه  
كلام احمد لان وجوب اقياد القلب مع معرفته ظاهر ثابت بدلائل الكتاب والسنة واجماع الأمة بل  
ذلك معلوم بالاضطرار من دين الاسلام ومن نازع من الجهمية في أن اقياد القلب من الايمان فهو كمن

نازع من الكرامية في أن معرفة القلب من الايمان فكان حمل كلام احمد على هذا هو المناسب لكلامه في هذا المقام . . . وأيضاً فان الفرق بين معرفة القلب وبين مجرد تصديق القلب الخالي عن الاقباد الذي يجعل قول القلب أمر دقيق وأكثر العقلاء ينكرونه وبتقدير صحته لا يجب على كل أحد أن يوجب شيئين لا يتصور الفرق بينهما وأما الناس لا يتصورون الفرق بين معرفة القلب وتصديقه ويقولون انما قاله ابن كلاب والاشعري من الفرق كلام باطل لاحقيقة له وكثير من أصحابه اعترف بعدم الفرق وعمدتهم من الحجة انما هو خبر الكاذب قالوا ففي قلبه خبر بخلاف علمه فدل على الفرق فقال لهم الناس ذلك بتقدير خبر وعلم ليس هو علماً حقيقياً ولا خبراً حقيقياً ولما أثبتوه من قول القلب المخالف للعلم والارادة انما يعود الى تقدير علوم وارادات لا الى جنس آخر يخالفها . . . ولهذا قالوا ان الانسان لا يمكنه أن يقوم بقلبه خبر بخلاف علمه وانما يمكنه أن يقول ذلك بلسانه وأما ان يقوم بقلبه خبر بخلاف ما يعلمه فهذا غير ممكن وهذا مما استدلوا به على أن الرب تعالى لا يتصور قيام الكذب بذاته لانه بكل شيء عليم ويمتنع قيام معني يضاد العلم بذات العالم والخبر النفساني الكاذب يضاد العلم فيقال لهم الخبر النفساني لو كان خلافاً للعلم لجاز وجود العلم مع ضده كما يقولون مثل ذلك في مواضع كثيرة وهي من أقوى الحجج التي يحتج بها القاضي ابو بكر وموافقوه في مسألة العقل وغيرها كلقاضي أبي يعلى وأبي محمد بن اللبان وأبي علي بن شاذان وأبي الطيب وأبي الوليد الباجي وأبي الخطاب وابن عقيل وغيرهم فيقولون العقل نوع من العلم فانه ليس بضد له فان لم يكن نوعاً منه كان خلافاً له ولو كان خلافاً لجاز وجوده مع ضد العقل وهذه الحجة وان كانت ضعيفة كما ضعفه الجمهور وأبو المعالي الجويني ممن ضعفها فان ما كان مستلزماً لغيره لم يكن ضداً له اذ قد اجتمعا وليس هو من نوعه بل هو خلاف له على هذا الاصطلاح الذي يقسمون فيه كل اثنين الى أن يكونا مثلين أو خلافين أو ضدين فاللزوم كالارادة مع العلم أو كالعلم مع الحياة ونحو ذلك ليس ضداً ولا مثلاً بل هو خلاف ومع هذا فلا يجوز وجوده مع ضد اللزوم فان ضد اللزوم يتنافيه ووجود الملزوم بدون اللزوم محل كوجود الارادة بدون العلم والعلم بدون الحياة فهذان خلافان عندهم ولا يجوز وجود أحدهما مع ضد الآخر كذلك العلم هو مستلزم للعقل فكل عالم عاقل والعقل شرط في العلم فليس مثلاً له ولا ضداً ولا نوعاً منه ومع هذا لا يجوز وجوده مع ضد العقل لكن هذه الحجة يقال لهم في العلم مع كلام النفس الذي هو الخبر فانه ليس ضداً ولا مثلاً بل خلافاً فيجوز وجود العلم مع ضد الخبر الصادق وهو الكاذب فبطل تلك الحجة على امتناع الكذب النفساني من العالم وبسط هذا له موضع آخر والمقصود هنا ان الانسان اذا رجع الى نفسه عسر عليه التفريق بين علمه بان الرسول صادق وبين تصديق قلبه تصديقاً مجرداً عن اقياد وغيره من أعمال القلب بانه صادق ثم احتج الامام أحمد على ان الأعمال من الايمان بحجج كثيرة فقال وقد سأل وقد عبد القيس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال شهادة أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول

الله واقام الصلاة وابتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا خمساً من المنعم فجعل ذلك كله من الايمان قال  
وقال النبي صلى الله عليه وسلم الحياء شعبة من الايمان وقال أكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً وقال ان  
البداية من الايمان وقال الايمان بضع وسبعون شعبة فأدناها امانة الأذى عن الطريق وأرفعها قول  
لا اله الا الله مع أشياء كثيرة منها أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان وما روى عن  
النبي صلى الله عليه وسلم في صفة المنافق ثلاث من كن فيه فهو منافق مع حجج كثيرة وما روى عن  
النبي صلى الله عليه وسلم في تارك الصلاة وعن أصحابه من بعده ثم ما وصف الله تعالى في كتابه من زيادة  
الايمان في غير موضع مثل قوله ( هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم )  
وقال ( ليستيقن الذين أتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايماناً ) وقال ( واذا تليت عليهم آياته زادتهم  
ايماناً ) وقال تعالى ( فنكم من يقول أياكم زاده هذه ايماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم ايماناً وهم يستبشرون )  
وقال ( انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله  
أرائك هم الصادقون ) وقال تعالى ( فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة نفلوا سيئهم ) وقال تعالى  
( فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ) وقال ( وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين  
له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ) قال أحمد ويلزمه أن يقول هو مؤمن  
باقراره وان أقر بالزكاة في الجملة ولم يجحد في كل مائة درهم خمسة انه مؤمن فيلزمه أن يقول اذا أقر ثم  
شد الزنار في وسطه وصلى للصليب وأتى الكنائس والبيع وعمل الكبائر كلها الا انه في ذلك مقر بالله  
فيلزمه أن يكون عنده مؤمناً وهذه الأشياء من أشنع ما يلزمهم قلت هذا الذي ذكره الامام أحمد من  
أحسن ما احتج الناس به عليهم جمع في ذلك جملاً يقول غيره بعضها وهذا الالتزام لا محيد لهم عنه ولهذا  
لما عرف متكلمهم مثل جهنم ومن وافقه انه لازم التزموه وقالوا لو فعل من الأفعال الظاهرة لم يكن بذلك  
كافراً في الباطن لكن يكون دليلاً على الكفر في أحكام الدنيا فاذا احتج عليهم بنصوص تقتضى انه  
يكون كافراً في الآخرة قالوا فهذه النصوص تدل على انه في الباطن ليس معه من معرفة الله شئ فانها  
عندهم شئ واحد نفلوا صريح المعقول وصرح الشرع وهذا القول مع فساده عقلاً وشرعاً ومع كونه  
عند التحقيق لا يثبت ايماناً فانهم جعلوا الايمان شيئاً واحداً لا حقيقة له كما قالت الجهمية ومن وافقهم  
مثل ذلك في وحدة الرب انه ذات بلا صفات وقالوا بان القرآن مخلوق وان الله لا يرى في الآخرة وما  
يقوله من وحدة الكلام وغيره من الصفات فقولهم في الرب وصفاته وكلامه والايمان به يرجع الى تعطيل  
محض وهذا قد وقع فيه طوائف كثيرة من المتأخرين المنتسبين الى السنة والفقهاء والحديث المتبعين  
للأئمة الأربعة المتعصبين للجهمية والمعتزلة بل وللمرجئة أيضاً لكن لعدم معرفتهم بالحقائق التي نشأت  
منها البدع يجمعون بين الضدين ولكن من رحمة الله بعباده المسلمين ان الأئمة الذين لهم في الأمة لسان  
صدق الأئمة الأربعة وغيرهم كمالك والثوري والأوزاعي والليث بن سعد وكالشافعي وأحمد واسحق  
وأبي عبيد وأبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد كانوا يتكفرون على أهل الكلام من الجهمية قولهم في القرآن

والايمان وصفات الرب وكانوا منفيين على ما كان عليه السلف من ان الله يرى في الآخرة وان القرآن كلام الله غير مخلوق وان الايمان لا بد فيه من تصديق القلب واللسان فلو شتم الله ورسوله كان كافراً باظناً وظاهراً عندهم كلهم ومن كان موافقاً لقول جهم في الايمان بسبب انتصار أبي الحسن لقوله في الايمان يبقى تارة يقول بقول السلف والائمة وتارة يقول بقول المتكلمين الموافقين لجهم حتى في مسألة سب الله ورسوله رأيت طاعة من الحنبلين والشافعيين والمالكيين اذا تكلموا بكلام الائمة قالوا ان هذا كفر باظناً وظاهراً واذا تكلموا بكلام أولئك قالوا هذا كفر في الظاهر وهو في الباطن يجوز أن يكون مؤمناً تام الايمان فان الايمان عندهم لا يتبعض ولهذا لما عرف القاضي عياض هذا من قول بعض أصحابه أنكروه ونصر قول مالك وأهل السنة وأحسن في ذلك وقد ذكرت بعض ما يتعلق بهذا في كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول وكذلك تجدهم في مسائل الايمان يذكرون أقوال الائمة والسلف ويبحثون بحثاً يناسب قول الجهة لان البحث أخذوه من كتب أهل الكلام الذين نصرنا قول جهم في مسائل الايمان والرازي لما صنف مناقب الشافعي ذكر قوله في الايمان وقول الشافعي قول الصحابة والتابعين وقد ذكر الشافعي انه اجماع من الصحابة والتابعين ومن ائمه استشكل قول الشافعي جداً لانه كان قد انعقد في نفسه شبهة أهل البدع في الايمان من الخوارج والمعتزلة والجهمية والكرامية وسائر المرجئة وهو ان الشيء المركب اذا زال بعض أجزائه لزم زواله كله لكن هو لم يذكر الا ظاهر شبهتهم والجواب عما ذكروه هو سهل فانه يسلم له ان الهيئة الاجتماعية لم تبق مجتمعة كما كانت لكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الأجزاء والشافعي مع الصحابة والتابعين وسائر السلف يقولون ان الذنب يقدح في كمال الايمان ولهذا نفى الشارع الايمان عن هرءلاء فذلك المجموع الذي هو الايمان لم يبق مجموعاً مع الذنوب لكن يقولون بقي بعضه اما أصله واما أكثره واما غير ذلك فيعود الكلام الى انه يذهب ببعضه ويبقى بعضه ولهذا كانت المرجئة تنفر من لفظ النقص أعظم من نفورها من لفظ الزيادة لانه اذا نقص لزم ذهابه كله عندهم ان كان متبعضاً متعدداً عند من يقول بذلك وهم الخوارج والمعتزلة وأما الجهمية فهو واحد عندهم لا يقبل التعدد فيثبتون واحداً لاحقيقة له كما قالوا مثل ذلك في وحدانية الرب ووحدانية صفاته عند من أثبتها منهم ومن المعجب ان الأصل الذي أوقعهم في هذا اعتقادهم انه لا يجتمع في الانسان بعض الايمان وبعض الكفر أو ما هو ايمان وما هو كفر واعتقدوا ان هذا متفق عليه بين المسلمين كما ذكر ذلك أبو الحسن وغيره فلاجل اعتقادهم هذا الاجماع وقعوا فيما هو مخالف للاجماع الحقيقي اجماع السلف الذي ذكره غير واحد من الائمة بل وصرح غير واحد منهم بكفر من قال بقول جهم في الايمان ولهذا نظائر متعددة يقول الانسان قولاً مخالفاً للنص والاجماع القديم حقيقة ويكون معتقداً انه متمسك بالنص والاجماع وهذا اذا كان مبلغ علمه واجتهاده فالثمة يثبته على ما أطاع الله فيه من اجتهاده ويفر له ما عجز عن معرفته من الصواب الباطن وهم لما توهموا ان الايمان الواجب على جميع الناس نوع واحد صار بعضهم يظن ان ذلك النوع من حيث هو لا يقبل التفاضل فقال لي مرة بعضهم الايمان من حيث

هو ايمان لا يقبل الزيادة والنقصان فقلت له قولك من حيث هو كمن يقول الانسان من حيث هو انسان والحيوان من حيث هو حيوان والوجود من حيث هو وجود والسواد من حيث هو سواد وأمثال ذلك لا يقبل الزيادة والنقصان فيثبت لهذه المسميات وجوداً مطلقاً مجرداً عن جميع القيود والصفات وهذا لاحقيقة له في الخارج وإنما هو شيء يقدره الانسان في ذهنه كما يقدر موجوداً لا قديماً ولا حادثاً ولا قائماً بنفسه ولا بغيره ويقدر انساناً لا موجوداً ولا معدوماً ويقول الماهية من حيث هي لا توصف بوجود ولا عدم والماهية من حيث هي شيء يقدره الذهن وذلك موجود في الذهن لاني الخارج وأما تقدير شيء لا يكون في الذهن ولا في الخارج متمتع وهذا التقدير لا يكون الا في الذهن كسائر تقدير الأمور المتمتعة مثل تقدير صدور العالم عن صانعين ونحو ذلك فان هذه المقدرات في الذهن فهكذا تقدير ايمان لا يتصف به مؤمن بل هو مجرد عن كل قيد وتقدير انسان لا يكون موجوداً ولا معدوماً بل ما ثم ايمان الا مع المؤمنين ولا ثم انسانية الا ما اتصف بها الانسان فكل انسان له انسانية تخصه وكل مؤمن له ايمان يخصه فالانسانية زيد تشبه انسانية عمرو وليست هي هي واذا اشتركوا في نوع الانسانية فعنى ذلك انهما يشبهان فيما يوجد في الخارج ويشتركان في أمر كلي مطلق يكون في الذهن • وكذلك اذا قيل ايمان زيد مثل ايمان عمرو فإيمان كل واحد يخصه فلو قدر ان الايمان يتماثل لكان لكل مؤمن ايمان يخصه وذلك الايمان مختص معين ليس هو الايمان من حيث هو بل هو ايمان معين وذلك الايمان يقبل الزيادة والذين ينفون التفاضل في هذه الامور يتصورون في أنفسهم ايمانا مطلقاً أو انساناً مطلقاً أو وجوداً مطلقاً مجرداً عن جميع الصفات المعينة له ثم يظنون ان هذا هو الايمان الموجود في الناس وذلك لا يقبل التفاضل ولا يقبل في نفسه التعدد اذ هو تصور معين قائم في نفس متصوره • ولهذا يظن كثير من هؤلاء ان الامور المشتركة في شيء واحد هي واحدة بالشخص والعين حتى انتهى الامر بطائفة من علمائهم علماء وعبادة الى ان جعلوا الوجود كذلك فتصوروا ان الموجودات مشتركة في مسمى الوجود وتصوروا هذا في أنفسهم فظنوه في الخارج كما هو في أنفسهم ثم ظنوا أنه الله فجعلوا الرب هو هذا الوجود الذي لا يوجد قط الا في نفس متصوره ولا يكون في الخارج وهكذا كثير من الفلاسفة تصوروا أعداداً مجردة وحقائق مجردة ويسمونها المثل الافلاطونية وزماناً مجرداً عن الحركة والمتحرك وبعداً مجرداً عن الاجسام وصفاتها ثم ظنوا وجود ذلك في الخارج وهؤلاء كلهم اشتبه عليهم ما في الازهان بما في الاعيان وهؤلاء قد يجعلون الواحد اثنين والاثنين واحداً فتارة يجيئون الى الامور المتعددة المتفاضلة في الخارج فيجعلونها واحدة أو متماثلة وتارة يجيئون الى ما في الخارج من الحيوان والمكان والزمان فيجعلون الواحد اثنين والمتفاسفة والجهمية وقعوا في هذا وهذا فجاءوا الى صفات الرب التي هي انه عالم وقادر فجعلوا هذه الصفة هي عين الاخرى وجعلوا الصفة هي الموصوفة • وهكذا القائلون بان الايمان شيء واحد وانه متماثل في بني آدم خلطوا في كونه واحداً وفي كونه متماثلاً كما خلطوا في أمثال ذلك من مسائل التوحيد والصفات والقرآن ونحو ذلك فكان غلط جهم وأتباعه في الايمان كغلطهم في الرب الذي يؤمن به المؤمنون وفي كلامه

وصفاته سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً وكذلك السواد والبياض يقبل الاشتداد والضعف بل عامة الصفات التي يتصف بها الموصوف تقبل التفاضل ولهذا كان العقل يقبل التفاضل والايجاب والتحرير يقبل التفاضل فيكون ايجاب أقوى من ايجاب وتحريم أقوى من تحريم وكذلك المعرفة التي في القلوب تقبل التفاضل على الصحيح عند أهل السنة وفي هذا كله نزاع فطائفة من المنتسبين الى السنة تنكر التفاضل في هذا كله كما يختار ذلك القاضي أبو بكر وابن عقيل وغيرهما . . . وقد حكى عن احمد في التفاضل في المعرفة روايتان وانكار التفاضل في هذه الصفات هي من جنس أصل قول المرجئة ولكن يقوله من يخالف المرجئة وهؤلاء يقولون التفاضل انما هو في الاعمال وأما الايمان الذي هو في القلوب فلا يتفاضل وليس الامر كما قاله بل جميع ذلك يتفاضل وقد يقولون ان أعمال القلوب تتفاضل بخلاف معارف القلب وليس الامر كذلك بل ايمان القلوب يتفاضل من جهة ما وجب على هذا ومن جهة ما وجب على هذا فلا يستوون في الوجوب وأمة محمد وان وجب عليهم جميعهم الايمان بعد استقرار الشرع فوجوب الايمان بالنبى الميعن موقوف على أن يبلغ العبد ان كان خبيراً وعلى أن يحتاج الى العمل به ان كان أصراً وعلى العلم ان كان عالماً والا فلا يجب على كل مسلم أن يعرف كل خبر وكل أمر في الكتاب والسنة ويعرف معناه ويعلمه فان هذا لا يقدر عليه أحد فالوجوب مما يتنوع الناس فيه ثم قدرهم في اداء الواجب متفاوتة ثم نفس المعرفة تختلف بالاجمال والتفصيل والقوة والضعف ودوام الحضور ومع الغفلة فليست المفصلة المستحضرة الثابتة التي ثبتت الله صاحبها بالقول الثابت كالمجملات التي غفل عنها واذا حصل له ما يريبه فيها وذكرها في قلبه ثم رغب الى الله في كشف الريب ثم أحوال القلوب وأعمالها مثل محبة الله ورسوله وخشية الله والتوكل عليه والصبر على حكمه والشكر له والانابة اليه واخلاص العمل له مما يتفاضل الناس فيها تفاضلاً لا يعرف قدره الا الله عز وجل ومن أنكر تفاضلهم في هذا فهو اما جاهل لم يتصوره واما معاند . . . قال الامام احمد فان زعموا أنهم لا يقبلون زيادة الايمان من أجل أنهم لا يدرون ما زيادته وانها غير محدودة فما يقولون في أنبياء الله وكتبه ورسله هل يقرون بهم في الجملة ويزعمون انه من الايمان فاذا قالوا نعم قيل لهم هل تجدونهم وتعرفون عددهم اليس انما يصيرون في ذلك الى الاقرار بهم في الجملة ثم يكفون عن عددهم فكذلك زيادة الايمان وبين أحمد أن كونهم لم يعرفوا منتهى زيادته لا يمنعهم من الاقرار بها في الجملة كما أنهم يؤمنون بالانبياء والكتب وهم لا يعرفون عدد الكتب والرسول وهذا الذي ذكره أحمد وذكره محمد بن نصر وغيرهما يبين أنهم لم يعلموا عدد الكتب والرسول وان حديث أبي ذر في ذلك لم يثبت عندهم وأما قول من سوى بين الاسلام والايمان وقال ان الله سمي الايمان بما سمي به الاسلام وسمى الاسلام بما سمي به الايمان فليس كذلك فان الله ورسوله قد فسر الايمان بانه الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبين أيضاً أن العمل بما أمر يدخل في الايمان ولم يسم الله الايمان بملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت اسلاماً بل انما سمي الاسلام الاستسلام له بقلبه وقصدته واخلاص الدين والعمل بما أمر به كالصلاة والزكاة خالصاً لوجهه فهذا هو

الذي ساء الله اسلاما وجملة ديناً وقال (ومن بدع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه) ولم يدخل فيما خص به الايمان وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله بل ولا عمل القلوب مثل حب الله ورسله ومحو ذلك فان هذه جعلها من الايمان والمسلم المؤمن يتصف بها وليس اذا انصف بها المسلم المؤمن يلزم أن تكون من الاسلام بل هي من الايمان والاسلام فرض والايمان فرض والاسلام داخل فيه فن أنى بالايمان الذي أمر به فلا بد أن يكون قد أتى بالاسلام المتناول لجميع الاعمال الواجبة ومن أتى بما سمي اسلاما لم يلزم أن يكون قد أتى بالايمان الا بدليل منفصل كما علم ان من أتى الله عليه بالاسلام من الانبياء وأتباعهم الى الحواريين كلهم كانوا مؤمنين كما كانوا مسلمين كما قال الحواريون (آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون) وقال (واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بي ورسولي قالوا آمنوا واشهد بأنا مسلمون) ولهذا أمرنا الله بهذا وبهذا في خطاب واحد كما قال (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الي ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكم الله وهو السميع العليم) وقال في الآية الأخرى (ومن بدع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) وهذا يقتضي أن كل من دان بغير دين الاسلام فعمله مردود وهو خاسر في الآخرة فيقتضي وجوب دين الاسلام وبطلان ماسواه لا يقتضي أن مسمى الدين هو مسمى الايمان بل أمرنا أن نقول آمنا بالله وأمرنا أن نقول ونحن له مسلمون فأمرنا بأثنين فكيف نجعلهما واحداً واذا جعلوا الاسلام والايمان شيئاً واحداً فلما أن يقولوا اللفظ مترادف فيكون هذا تكريراً محضاً ثم مدلول هذا اللفظ غير مدلول هذا اللفظ واما أن يقولوا بل أحد اللفظين يدل على صفة غير الصفة الأخرى كما في أسماء الله وأسماء كتابه لكن هذا لا يقتضي الأمر بهما جميعاً ولكن يقتضي أن يذكر تارة بهذا الوصف وتارة بهذا الوصف فلا يقول قائل قد فرض الله عليك الصلوات الخمس والصلوة المكتوبة وهذا هو هذا والمعطف بالصفات يكون اذا قصد بيان الصفات لما فيها من المدح أو الذم كقوله (سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى) لا يقال صل لربك الأعلى وربك الذي خلق فسوى وقال محمد بن نصر المروزي رحمه الله فقد بين الله في كتابه وسنة رسوله ان الاسلام والايمان لا يفتقان فن صدق بالله فقد آمن به ومن آمن بالله فقد خضع له وقد أسلم له ومن صام وصلى وقام بفرائض الله وانتهى عما نهى الله عنه فقد استكمل الايمان والاسلام المفترض عليه ومن ترك من ذلك شيئاً فلن يزول عنه اسم الايمان ولا الاسلام الا أنه أنقص من غيره في الاسلام والايمان من غير نقصان من الاقرار بأن الله حق وما قال حق لا باطل وصدق لا كذب ولكن ينقص الايمان الذي هو تعظيم لله وخضوع للهيبته والجلال والطاعة للمصدق به وهو الله فن ذلك يكون النقصان لامن اقرارهم بان الله حق وما قال صدق فيقال ماذا كره يدل على ان من أتى بالايمان الواجب فقد أتى بالاسلام ولكن حق هذا ليس فيه ما يدل على ان من أتى بالاسلام الواجب فقد أتى بالايمان فقوله من آمن بالله فقد خضع له وقد استسلم له حق لكن أي شيء

في هذا يدل على ان من أسلم لله وخضع له فقد آمن به وبملائكته وبكتبه ورسوله والبعث بعد الموت وقوله ان الله ورسوله قد بين ان الاسلام والايمان لا يفترقان ان أراد ان الله أوجبهما جميعاً ونهى عن التفريق بينهما فهذا حق وان أراد ان الله جعل مسمى هذا مسمى هذا فنصوص الكتاب والسنة تخالف ذلك وما ذكر قط نصاً واحداً يدل على اتفاق المسميين وكذلك قوله من فعل ما أمر به وانتهى عما نهى عنه فقد استكمل الايمان والاسلام فهذا صحيح اذا فعل ما أمر به باطناً وظاهراً ويكون قد استكمل الايمان والاسلام الواجب عليه ولا يلزم أن يكون إيمانه وإسلامه مساوياً للايمان والاسلام الذي فعله أولو العزم من الرسل كإخيليل وابراهيم ومحمد خاتم النبيين عليهما الصلاة والسلام بل كان معه من الايمان والاسلام ما لا يقدر عليه غيره ولم يؤمر به وقوله من ترك من ذلك شيئاً فلن يزول عنه اسم الاسلام والايمان الا انه انقص من غيره في ذلك فيقال ان أريد بذلك انه بقي معه شيء من الاسلام والايمان فهذا حق كما دلت عليه النصوص خلافاً للخوارج والمعتزلة وان أراد انه يطلق عليه بلا تقييد مؤمن ومسلم في سياق الثناء والوعد بالجنة فهذا خلاف الكتاب والسنة ولو كان كذلك لدخلوا في قوله (وعده الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار) وأمثال ذلك مما وعدوا فيه بالجنة بلا عذاب

•• وأيضاً فصاحب الشرع قد نفي عنهم الاسم في غير موضع بل قال قتل المؤمن كفر وقال لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض واذا احتج بقوله (وان طائفتان من المؤمنين اقاتلتوا) ونحو ذلك قيل هؤلاء انما سموا به مع التقييد بأنهم فعلوا هذه الامور ليدكر ما يؤمرون به هم وما يؤمر به غيرهم وكذلك قوله لا يكون النقصان من اقرارهم بان الله حق وما قاله صدق فيقال بل النقصان يكون في الايمان الذي في القلوب من معرفتهم ومن عمائمهم فلا تكون معرفتهم وتصديقهم بالله وأسمائه وصفاته وما قاله من أمر ونهى ووعد ووعد كعرفة غيرهم وتصديقه لامن جهة الاجمال والتفصيل ولا من جهة القوة والضعف ولا من جهة الذكر والغفلة وهذه الامور كلها داخله في الايمان بالله وما ارسل به رسوله وكيف يكون الايمان بالله وأسمائه وصفاته متماثلاً في القلوب أم كيف يكون الايمان بأنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وانه غفور رحيم عزيز حكيم شديد العقاب ليس هو من الايمان به فلا يكن مسلماً من يقول ان الايمان بذلك ليس من الايمان به ولا يدعي تماثل الناس فيه وأما ما ذكره من ان الاسلام ينقص كما ينقص الايمان فهذا أيضاً حق كما دلت عليه الاحاديث الصحيحة فان من نقص من الصلاة والزكاة أو الصوم أو الحج شيئاً فقد نقص من اسلامه بحسب ذلك ومن قال ان الاسلام هو الكلمة فقط وأراد بذلك انه لا يزيد ولا ينقص فقوله خطأ ورد الذين جعلوا الاسلام والايمان سواء انما يتوجه على هؤلاء فان قولهم في الاسلام يشبه قول المرجئة في الايمان •• ولهذا صار الناس في الايمان والاسلام على ثلاثة أقوال فالمرجئة يقولون الاسلام أفضل فانه يدخل فيه الايمان وآخرون يقولون الايمان والاسلام سواء وهم المعتزلة والخوارج وطائفة من أهل الحديث والسنة وحكاة محمد بن نصر عن جمهورهم وليس كذلك والقول الثالث ان الايمان أكمل وأفضل وهذا هو الذي دل عليه الكتاب والسنة في غير موضع وهو

المأثور عن الصحابة والتابعين لهم باحسان ثم هؤلاء منهم من يقول الاسلام مجرد القول والاعمال ليست من الاسلام والصحيح ان الاسلام هو الاعمال الظاهرة كلها واحمد انما منع الاستثناء فيه على قول الزهري هو الكلمة هكذا نقل الأثر والميموني وغيرهما عنه وأما على جوابه الآخر الذي لم يختر فيه قول من قال الاسلام الكلمة فيستثنى في الاسلام كما يستثنى في الايمان فان الانسان لا يجزم بأنه قد فعل كل ما أمر به من الاسلام واذا قال النبي صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وبني الاسلام على خمس فجزمه بأنه فعل الخمس بلا نقص كما أمر كجزمه بايمانه فقد قال تعالى ( ادخلوا في السلم كافة ) أى الاسلام كافة أى في جميع شرائع الاسلام وتعليل احمد وغيره من السلف ما ذكره في اسم الايمان يجزى في اسم الاسلام فاذا أريد بالاسلام الكلمة فلا استثناء فيه كما نص عليه احمد وغيره واذا أريد به فعل الواجبات الظاهرة كلها فلا استثناء فيه كالاستثناء في الايمان ولما كان كل من أتى بالشهادتين صار مسلماً متميزاً عن اليهود والنصارى تجزى عليه أحكام الاسلام التي تجزى على المسلمين كان هذا مما يجزم به بلا استثناء فيه فلهمذا قال الزهري الاسلام الكلمة وعلى ذلك وافقه احمد وغيره وحين وافقه لم يرد ان الاسلام الواجب هو الكلمة وحدها فان الزهري اجل من ان يخفى عليه ذلك ولهذا احمد لم يجب بهذا في جوابه الثاني خروفاً من ان يظن ان الاسلام ليس هو الا الكلمة وهذا ما قال الأثر لاحمد فاذا قال أنا مسلم فلا يستثنى قال نعم لا يستثنى اذا قال أنا مسلم قال فقلت له أقول هذا مسلم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وأنا أعلم أنه لا يسلم الناس منه فذكر حديث معمر عن الزهري قال فترى ان الاسلام الكلمة والايمان العمل فين أحمد أن الاسلام اذا كان الكلمة فلا استثناء فيها بحيث كان هو المفهوم من لفظ الاسلام فلا استثناء فيه ولو أريد بالايمان هذا كما يرد ذلك في مثل قوله فتحرير رقبة مؤمنة فانما أريد من أظهر الاسلام فان الايمان الذي علقته به أحكام الدنيا هو الايمان الظاهر وهو الاسلام فالمسعى واحمد في الاحكام الظاهرة ولهذا لما ذكر الأثر لاحمد احتجج المرجئة بقول النبي صلى الله عليه وسلم اعتقها فانها مؤمنة أجابه بأن المراد حكمها في الدنيا حكم المؤمنة لم يرد أنها مؤمنة عند الله تستحق دخول الجنة بلا نار اذا لقيته بمجرد هذا الاقرار وهذا هو المؤمن المطلق في كتاب الله وهو الموعود بالجنة بلا نار اذا مات على ايمانه ولهذا كان ابن مسعود وغيره من السلف يلزمون من شهد لنفسه بالايمان أن يشهد لها بالجنة يعنون اذا مات على ذلك فانه قد عرف أن الجنة لا يدخلها الا من مات مؤمناً فاذا قال الانسان أنا مؤمن قطعاً وأنا مؤمن عند الله قيل له فاقطع بأنك تدخل الجنة بلا عذاب اذا مات على هذا الحال فان الله أخبر أن المؤمنين في الجنة وأنكر احمد بن حنبل حديث ابن عميرة ان عبد الله رجع عن الاستثناء فان ابن مسعود لما قيل له ان قوما يقولون انا مؤمنون فقال أفلا سألتهمهم أفي الجنة هم وفي رواية أفلا قالوا نحن أهل الجنة وفي رواية قيل له ان هذا يزعم أنه مؤمن قال فاسأله أفي الجنة هو أو في النار فسأله فقال الله أعلم فقال له عبد الله فهلا وكلت الأولى كما وكلت الثانية من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال انا عالم فهو جاهل ومن قال هو في الجنة فهو في النار يروي عن عمر بن

الخطاب من وجوه مسالا من حديث قتادة ونعيم بن أبي هند وغيرهما . . . والسؤال الذي تورده  
المرجئة على ابن مسعود ويقولون ان يزيد بن عميرة أوردته عليه حتي رجع جعل هذا ان الانسان يعلم  
حاله الآن وما يدري ماذا يموت عليه وهذا السؤال صار طائفة كثيرة يقولون المؤمن هو من سبق في  
علم الله انه يحتم له بالايمان والكافر من سبق في علم الله انه كافر وانه لا اعتبار بما كان قبل ذلك وعلى هذا  
يجعلون الاستثناء وهذا أحد قولي الناس من أصحاب أحمد وغيرهم وهو قول أبي الحسن وأصحابه لكن  
أحمد وغيره من السلف لم يكن هذا مقصودهم وانما مقصودهم ان الايمان المطلق يتضمن فعل المأمورات  
فقوله أنا مؤمن كقوله أما ولي الله وأنا مؤمن تقي وأنا من الابرار ونحو ذلك وابن مسعود رضى الله عنه  
لم يكن يخفى عليه أن الجنة لا تكون الا لمن مات مؤمناً وان الانسان لا يعلم على ماذا يموت فان ابن مسعود  
أجل قدراً من هذا وانما أراد سلوه هل هو في الجنة ان مات على هذه الحال كأنه قال سلوه أياكون من  
أهل الجنة على هذه الحال فلما قال الله ورسوله أعلم قال أفلا وكلت الأولي كما وكلت الثانية يقول هذا  
التوقف يدل على أنك لا تشهد لنفسك بفعل الواجبات وترك المحرمات فانه من شهد لنفسه بذلك شهد  
لنفسه انه من أهل الجنة ان مات على ذلك ولهذا صار الذين لا يرون الاستثناء لأجل الحال الحاضر بل  
للموافاة لا يقطعون بان الله لا يقبل توبة تائب كما لا يقطعون بان الله تعالى يعاقب مذنباً فانهم لو قطعوا  
بقبول توبته لزمهم أن يقطعوا له بالجنة وهم لا يقطعون لأحد من أهل القبلة لا بجنة ولا نار الا من  
قطع له النص واذا قيل الجنة هي لمن أتى بالتوبة النصوح من جميع السيئات قالوا ولو مات على هذه  
التوبة لم تقطع له بالجنة وهم لا يستثنون في الاحوال بل يجزمون بأن المؤمن تام الايمان ولكن عندهم  
الايمان عند الله هو ما يوافي به فمن قطعوا له بأنه مات مؤمناً لا ذنب له قطعوا له بالجنة فلهذا لا يقطعون  
بقبول التوبة لثلاث بلزمهم أن يقطعوا بالجنة وأما أئمة السلف فانما لم يقطعوا بالجنة لأنهم لا يقطعون بأنه  
فعل المأمور وترك المحذور ولا انه أتى بالتوبة النصوح والا فهم يقطعون بأن من تاب توبة نصوحا قبل  
الله توبته . . . وجماع الامة ان الاسم الواحد ينفي ويثبت بحسب الاحكام المتعلقة به فلا يجب اذا أثبت أو  
نفي في حكم أن يكون كذلك في سائر الاحكام وهذا في كلام العرب وسائر الامم لأن المعنى مفهوم مثال  
ذلك المنافقين قد يجعلون من المؤمنين في موضع وفي موضع آخر يقال ما هم منهم قال الله تعالى ( قد  
يعلم الله المعوقين منكم والمفاليين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون بالبأس الا قليلا أشحة عليكم فاذا جاء الخوف  
رأيهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يفشي عليه من الموت فاذا ذهب الخوف ساقوكم بالسنة حداد  
أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً ) فهناك جعل هؤلاء  
المنافقين الخائفين من العدو الناكسين عن الجهاد الناهين لغيرهم النامين للمؤمنين منهم وقال في آية أخرى  
( ويخلفون بالله أنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا  
لولوا اليه وهم يجمعون ) وهؤلاء ذنبهم أخف فانهم لم يؤذوا المؤمنين لا بنبي ولا سلق بالسنة حداد  
ولكن حلفوا بالله أنهم من المؤمنين في الباطن بقلوبهم والا فقد علم المؤمنون أنهم منهم في الظاهر فكذبهم

الله وقال وما هم منكم وهناك قال قد يعلم الله المعوقين منكم فالخطاب لمن كان في الظاهر مسلماً مؤمناً بان منكم من هو بهذه الصفة وليس مؤمناً بل أحبط الله عمله فهو منكم في الظاهر لا الباطن . . . ولهذا لما استؤذن النبي صلى الله عليه وسلم في قتل بعض المنافقين قل لا يتحدث الناس ان محمداً يقتل أصحابه فانهم من أصحابه في الظاهر عند من لا يعرف حقائق الأمور وأصحابه الذين هم أصحابه ليس فيهم نفاق كالذين علموا سنته الناس وبلغوها اليهم وقتلوا المرتدين بعد موته والذين بايعوه تحت الشجرة وأهل بدر وغيرهم بل الذين كانوا منافقين غمار من الناس . . . وكذلك الانساب مثل كون الانسان أبا الآخر أو أخاه يثبت في بعض الاحكام دون بعض فانه قد ثبت في الصحيحين انه لما اختصم الي النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن أبي وقاص وعبد بن زمعة بن الاسود في ابن وليدة زمعة وكان عتبة بن أبي وقاص قد فجرها في الجاهلية وولدت منه ولداً فقال عتبة لآخيه سعد اذ قدمت مكة فانظر ابن وليدة زمعة فانه ابني فاخصم فيه هو وعبد بن زمعة الي النبي صلى الله عليه وسلم فقال سعد يارسول الله ابن أخي عتبة عهد الي أخي عتبة فيه اذا قدمت مكة انظر الي ابن وليدة زمعة فانه ابني ألا ترى يارسول الله شبهه بعتبة فقال عبد يارسول الله أخي وابن وليدة أبي ولد علي فراش أبي فرأي النبي صلى الله عليه وسلم شهاباً يبتأ بعتبة فقال هولك يا عبد بن زمعة الولد للفراش وللعاهر الحجر واحتجبي منه يا سودة لما رأى من شبهه اليين بعتبة فقد جعله النبي صلى الله عليه وسلم ابن زمعة لانه ولد علي فراشه وجعله أخاً لولده بقوله فهو لك يا عبد ابن زمعة وقد صارت سودة أخته يرثها وترثه لانه ابن أبيها زمعة وولد علي فراشه ومع هذا فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم أن تحتجب منه لما رأى من شبهه اليين بعتبة فانه قام فيه دليلان متعارضان الفراش والشبه والنسب في الظاهر لصاحب الفراش أقوى ولانها أمر ظاهر مباح والفجور أمر باطن لا يعلم ويجب ستره لا إظهاره كما قال للعاهر الحجر كما يقال بفيك الكنكك وبفيك الأنتب أي عليك أن تسكت عن اظهار الفجور فان الله يبغض ذلك ولما كان احتجاجها منه ممكناً من غير ضرر أمرها بالاحتجاب لما ظهر من الدلالة على انه ليس أختها في الباطن فتبين ان الاسم الواحد ينفي في حكم ويثبت في حكم فهو أخ في الميراث وليس بأخ في المحرمية وكذلك ولد الزنا عند بعض العلماء وابن الملاعنة عند الجميع الا من شذ ليس بولد في الميراث ونحوه وهو ولد في تحريم النكاح والمحرمية . . . ولفظ النكاح وغيره في الأمر يتناول الكمال وهو العقد والوطء كما في قوله ( وأنكحوا ما طاب لكم من النساء ) وقوله ( حتى تنكح زوجاً غيره ) وفي النهي يعي الناقص والكمال فينهي عن العقد مفرداً وان لم يكن وطء كقوله ( ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء ) وهذا لان الأمر مقصوده تحصيل المصلحة وتحصيل المصلحة انما يكون بالدخول كما لو قال اشتر لي طعاماً فالمقصود ما يحصل الا بالشراء والقبض والتناهي مقصوده دفع المفسدة فيدفع كل جزء منه لان وجوده مفسدة وكذلك النسب والميراث معلق بالكمال منه والتحريم معلق بأدنى سبب حتى الرضاع . . . وكذلك كل ما يكون له مبتدأ وكال ينفي تارة باعتبار انتفاء كاله ويثبت تارة باعتبار ثبوت مبدأه فلفظ الرجال يعي الذكور وان كانوا صغاراً في مثل قوله ( وان

كانوا اخوة رجلا ونساء فللدكر مثل حظ الأنثيين) ولا يع الصغار في مثل قوله (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) فان باب الهجرة والجهاد عمل يعمله القادرون عليه فلو اقتصر على ذكر المستضعفين من الرجال لظن ان الولدان غير داخلين لانهم ليسوا من أهله وهم ضعفاء فدكرهم بالاسم الخاص ليبيّن عذرهم في ترك الهجرة ووجوب الجهاد وكذلك الايمان له مبدأ وكال وظاهر وباطن فاذا علقته بالأحكام الدنيوية من الحقوق والحدود كحقوق الدم والمال والموارث والعقوبات الدنيوية علقته بظاهره لا يمكن غير ذلك إذ تعليق ذلك بالباطن متعذر وان قدر أحياناً فهو متعسر علماً وقدرة فلا يعلم ذلك علماً يثبت به في الظاهر ولا يمكن عقوبة من يعلم ذلك منه في الباطن وبهذين المثلين كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمتع من عقوبة المنافقين فان فيهم من لم يكن يعرفهم كما أخبر الله بذلك والذين كان يعرفهم لو عاقب بعضهم لغضب له قومه ولقال الناس ان محمداً يقتل أهله فكان يحصل بسبب ذلك نفور عن الاسلام اذ لم يكن الذنب ظاهراً يشترك الناس في معرفته ولما هم بعقوبة من يتخلف عن الصلاة منعه من في البيوت من النساء والذرية وأما مبدأه يتعلق به خطاب الأمر والنهي فاذا قال الله (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة) ونحو ذلك فهو أمر في الظاهر لكل من أظهره وهو خطاب في الباطن لكل من عرف من نفسه انه مصدق للرسول وان كان عاصياً وان كان لم يقم بالواجبات الباطنة والظاهرة وذلك انه ان كان لفظ الذين آمنوا يتناولهم فلا كلام وان كان لم يتناولهم فذلك لذنوبهم فلا تكون ذنوبهم مانعة من أمرهم بالحسنات التي ان فعلوها كانت سبب رحمتهم وان تركوها كان أمرهم بها وعقوبتهم عليها عقوبة على ترك الايمان والكافر يجب عليه أيضاً لكن لا يصح منه حتى يؤمن وكذلك المنافق الخص لا يصح منه في الباطن حتى يؤمن وأما من كان معه اول الايمان فهذا يصح منه لان معه اقرار في الباطن بوجوب ما أوجبه الرسول وتحريم ما حرمه وهذا سبب الصحة وأما كماله فيتعلق به خطاب الوعد بالجنة والنصرة والسلامة من النار فان هذا الوعد انما هو لمن فعل المأمور وترك المحذور ومن فعل بعضاً وترك بعضاً فينبأ على ما فعله ويعاقب على ما تركه فلا يدخل هذا في اسم المؤمن المستحق للحمد والثناء دون الذم والعقاب ومن نفي عنه الرسول الايمان فنفي الايمان في هذا الحكم لانه ذكر ذلك على سبيل الوعيد والوعيد انما يكون بنفي ما يقتضى الثواب ويدفع العقاب ولهذا ما في الكتاب والسنة من نفي الايمان عن أصحاب الذنوب فانما هو في خطاب الوعيد والذم لاني خطاب الأمر والنهي ولا أحكام الدنيا واسم الاسلام والايمان والاحسان هي أسماء ممدوحة مرغوب فيها لحسن العقاب لأهلها فبين النبي صلى الله عليه وسلم ان العقاب الحسنة لمن اتصف بها على الوجه الذي بينه ولهذا كان من نفي عنهم الايمان أو الايمان والاسلام جميعاً ولم يجعلهم كفاراً انما نفي ذلك في أحكام الآخرة وهو اثنان لم ينفه في أحكام الدنيا لكن المعتزلة ظنت انه اذا انتفى الاسم انتفت جميع أجزائه فلم يجعلوا معهم شيئاً من الايمان والاسلام فجعلوهم مخلدين في النار وهذا خلاف الكتاب والسنة واجماع السلف ولو لم يكن معهم شيء من الايمان والاسلام لم يثبت في حقهم

شيء من أحكام المؤمنين والمسلمين لكن كانوا كالمثقفين وقد ثبت بالكتاب والسنة والاجماع التفريق  
 بين المنافق الذي يكذب الرسول في الباطن وبين المؤمن المذنب فالمعتزلة سووا بين أهل الذنوب وبين  
 المنافقين في أحكام الدنيا والآخرة في نفي الإسلام والايان عنهم بل قد يثبتونه للمنافق ظاهراً وينفونه عن المذنب  
 باطناً وظاهراً فان قيل فاذا كان كل مؤمن مسلماً وليس كل مسلم مؤمناً الايمان الكامل كما دل عليه حديث  
 جبريل وغيره من الاحاديث مع القرآن وكما ذكر ذلك عمن ذكر عنه من السلف لان الاسلام الطاعات  
 الظاهرة وهو الاستسلام والانقياد لان الاسلام في الاصل هو الاستسلام والانقياد وهذا هو الانقياد  
 والطاعة والايان فيه معنى التصديق والطمأنينة وهذا قدر زائد فما تقولون فيمن فعل ما أمر الله وترك  
 ما نهى الله عنه مخلصاً لله تعالي باطنا وظاهراً أليس هذا مسلماً باطناً وظاهراً وهو من أهل الجنة واذا كان  
 كذلك فالجنة لا يدخلها الا نفس مؤمنة فهذا يجب ان يكون مؤمناً قلنا قد ذكرنا غير مرة انه لا بد ان  
 يكون معه الايمان الذي وجب عليه اذ لو لم يؤد الواجب لكان معرضاً للوعيد لكن قد يكون من الايمان  
 مالا يجب عليه اما لكونه لم يخاطب به أو لكونه كان عاجزاً عنه وهذا أولى لان الايمان الموصوف في  
 حديث جبريل والاسلام لم يكونا واجبيين في أول الاسلام بل ولا واجبا على من تقدم قبلنا من الامم  
 اتباع الانبياء أهل الجنة مع أنهم مؤمنون مسلمون ومع أن الاسلام دين الله الذي لا يقبل دينا غيره  
 وهو دين الله في الاولين والآخرين لأن الاسلام عبادة الله وحده لا شريك له بما أمر فقد تنوع  
 أوامره في الشريعة الواحدة فضلا عن الشرائع فيصير في الاسلام بعض الايمان بما يخرج عنه في وقت  
 آخر كالصلاة الى الصخرة كان من الاسلام حين كان الله أمره به ثم خرج من الاسلام لما نهى الله عنه  
 ومعلوم ان الخمس المذكورة في حديث جبريل لم تجب في أول الامر بل الصيام والحج وفرائض الزكاة  
 انما وجبت بالمدينة والصلاة الخمس انما وجبت ليلة المعراج وكثير من الاحاديث ليس فيها ذكر الحج  
 لتأخر وجوبه الى سنة تسع أو عشر على أصح القولين ولما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم كان من  
 اتبعه وآمن بما جاء به مؤمناً مسلماً واذا مات كان من أهل الجنة ثم انه بعد هذا زاد الايمان والاسلام  
 حتى قال تعالي (اليوم أكملت لكم دينكم) وكذلك الايمان فان هذا الايمان المفصل الذي ذكره في  
 حديث جبريل لم يكن مأموراً به في أول الامر لما أنزل الله سورة العلق والمدثر بل انما جاء هذا في السور  
 المدنية كالبقرة والنساء واذا كان كذلك لم يلزم أن يكون هذا الايمان المفصل واجباً على ما تقدم قبلنا  
 واذا كان كذلك فقد يكون الرجل مسلماً يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً ومعها الايمان الذي فرض  
 عليه وهو من أهل الجنة وليس معه هذا الايمان المذكور في حديث جبريل لكن هذا يقال معه ما أمر  
 به من الايمان والاسلام وقد يكون مسلماً يعبد الله كما أمره ولا يعبد غيره ويخافه ويرجوه ولكن لم  
 يخاص الى قلبه أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواه ولا أن يكون الله ورسوله والجهاد في سبيله  
 أحب اليه من جميع أهله وماله وأن يجب لأخيه ما يجب لنفسه وأن يخاف الله لا يخف غيره وأن لا يتوكل  
 الا على الله وهذه كلها من الايمان الواجب وليست من لوازم الاسلام فان الاسلام هو الاستسلام وهو

يتضمن الخضوع لله وحده والالتئاده والعبودية لله وحده وهذا - يتضمن خوفه ورجاءه وأما طهارة  
القلب بحبته وحده وأن يكون أحب إليه مما سواها وبالتوكل عليه وحده وبأن يحب لأخيه المؤمن  
ما يحب لنفسه فهذه من حقائق الايمان التي تختص به فن لم يتصف بها لم يكن من المؤمنين حقاً وان كان  
مسلماً وكذلك وجل قلبه اذا ذكر الله وكذلك زيادة الايمان اذا تليت عليه آياته . . فان قيل فقوات  
هذا الايمان من الذنوب أم لا قيل اذا لم يبلغ الانسان الخطاب الموجب لذلك لا يكون تركه من الذنوب  
اذا كان قادراً على ذلك وكثير من الناس أو أكثرهم ليس عندهم هذه التفاصيل التي تدخل في الايمان  
مع أنهم قائلون بالطاعة الواجبة في الاسلام واذا وقعت منهم ذنوب تابوا واستغفروا منها وحقائق الايمان  
التي في القلوب لا يعرفون وجوبها بل ولا انها من الايمان بل كثير ممن يعرفها منهم يظن أنها من التوابع  
المستحبة ان صدق بوجودها فالاسلام يتناول من أظهر الاسلام وليس معه شيء من الايمان وهو المنافق  
المخض ويتناول من أظهر الاسلام مع التصديق الجدل في الباطن ولكن لم يفعل الواجب كله لا من هذا  
ولا هذا وهم الفساق يكون في أحدهم شبهة نفاق ويتناول من أتى بالاسلام الواجب وما يلزمه من  
الايمان ولم يأت بتمام الايمان الواجب وهؤلاء ليسوا فساقا تاركون فریضة ظاهرة ولا مرتكبون محرماً  
ظاهراً لكن تركوا من حقائق الايمان الواجبة علماً وعملاً بالقلب يتبعه بعض الجوارح ما كانوا به مذمومين  
وهذا هو النفاق الذي كان يخافه السلف على نفوسهم فان صاحبه قد يكون فيه شبهة نفاق وبعد هذا  
ما ميز الله به المقربين على الابرار أصحاب اليمين من ايمان وتوابعه وذلك قد يكون من باب المستحبات  
وقد يكون أيضاً مما فضل به المؤمن ايمان واسلام مما وجب عليه ولم يجب على غيره ولهذا قال النبي صلى  
الله عليه وسلم من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك  
أضعف الايمان وفي الحديث الآخر ليس وراء ذلك من الايمان مثقال حبة خردل فان مراده انه لم يبق  
بعد هذا الانكار ما يدخل في الايمان حتى يفعله المؤمن بل الانكار بالقلب آخر حدود الايمان ليس  
مراده ان من لم ينكر ذلك لم يكن معه من الايمان حبة خردل ولهذا قال ليس وراء ذلك فعل المؤمنين  
ثلاث طبقات وكل منهم فعل الايمان الذي يجب عليه لكن الاول لما كان أقدرهم كان الذي يجب عليه  
أكمل مما يجب على الثاني وكان ما يجب على الثاني أكمل مما يجب على الآخر وعلم بذلك ان الناس يتفاضلون  
في الايمان الواجب عليهم بحسب استطاعتهم مع بلوغ الخطاب اليهم كلهم

﴿ فصل ﴾ وأما الاستثناء في الايمان بقول الرجل أنا مؤمن ان شاء الله فلناس فيه على ثلاثة  
أقوال منهم من يوجبهم ومنهم من يحرمهم ومنهم من يجوز الامرين باعتبارين وهذا أصح الأقوال فالذين  
يحرمونه هم المرجئة والجهمية ونحوهم ممن يجعل الايمان شيئاً واحداً يعلمه الانسان من نفسه كالتصديق  
بالرب ونحو ذلك مما في قلبه فيقول أحدهم أنا أعلم اني مؤمن كما أعلم اني تكلمت بالشهادتين وكما أعلم اني  
قرأت الفاتحة وكما أعلم اني أحب رسول الله وانى أبغض اليهود والنصارى فقولي أنا مؤمن كقولي أنا  
مسلم وكقولي تكلمت بالشهادتين وقرأت الفاتحة وكقولي أنا أبغض اليهود والنصارى ونحو ذلك من

الامور الحاضرة التي أنا أعلمها وأقطع بها وكانه لا يجوز أن يقال أنا قرأت الفاتحة ان شاء الله كذلك لا يقول أنا مؤمن ان شاء الله لكن اذا كان يشك في ذلك فيقول فعلته ان شاء الله قالوا فمن استثنى في ايمانه فهو شاك فيه وسموهم الشكاكة . . . والذين أوجبوا الاستثناء لهم مأخذان أحدهما ان الايمان هو مامات عليه الانسان والانسان انما يكون عند الله مؤمناً وكافراً باعتبار الموافاة وما سبق في علم الله انه يكون عليه وما قبل ذلك لا عبرة به قالوا والايمان الذي يتعقبه الكفر فيموت صاحبه كافراً ليس بايمان كالصلاة التي يفسدها صاحبها قبل الكمال وكالصيام الذي يفطر صاحبه قبل الغروب وصاحب هذا هو عند الله كافر لعلمه بما يموت عليه وكذلك قالوا في الكفر وهذا المأخذ مأخذ كثير من المتأخرين من السكلاية وغيرهم ممن يريد أن ينصر ما اشتهر عن أهل السنة والحديث من قولهم أنا مؤمن ان شاء الله ويريد مع ذلك ان الايمان لا يتفاضل ولا يشك الانسان في الموجود منه وانما يشك في المستقبل وانضم الى ذلك انهم يقولون محبة الله ورضاه وسخطه وبغضه قديم ثم هل ذلك هو الارادة أم صفات أخر لهم في ذلك قولان وأكثر قدمائهم يقولون ان الرضا والسخط والغضب ونحو ذلك صفات ليست هي الارادة كما ان السمع والبصر ليس هو العلم وكذلك الولاية والعداوة هذه كلها صفات قديمة أزلية عند أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب ومن انبعه من المتكلمين ومن اتباع المذاهب من الحنبلية والشافعية والمالكية وغيرهم قالوا والله يحب في أزله من كان كافراً اذا علم انه يموت مؤمناً فالصحة ما زالوا محبوبين لله وان كانوا قد عبدوا الاصنام مدة من الدهر وابليس ما زال الله يبغضه وان كان لم يكفر بعد وهذا على أحد القولين لهم فالرضا والسخط يرجع الى الارادة والارادة تطابق العلم فالمعنى ما زال الله يريد أن يثيب هؤلاء بعد ايمانهم ويعاقب ابليس بعد كفره وهذا معنى صحيح فان الله يريد أن يخلق كلما علم أن سيخلقه وعلى قول من يثبها صفات أخر يقول هو أيضا محبة تابع لمن يريد أن يثيبه فكل من أراد انايته فهو يحبه وكل من أراد عقوبته فانه يبغضه وهذا تابع للعلم وهؤلاء عندهم لا يرضى عن أحد بعد أن كان ساخطاً عليه ولا يفرح بتوبة عبد بعد أن تاب عليه بل ما زال يفرح بتوبته والفرح عندهم اما الارادة واما الرضا والمعنى ما زال يريد انايته أو يرضى عما يريد انايته وكذلك لا يقضب عندهم يوم القيامة دون ما قبله بل غضبه قديم اما بمعنى الارادة واما بمعنى آخر فهو هؤلاء يقولون اذا علم ان الانسان يموت كافراً لم يزل مردياً لعقوبته فذلك الايمان الذي كان معه باطل لا فائدة فيه بل وجوده كعدمه فليس هذا بمؤمن أصلاً واذا علم انه يموت مؤمناً لم يزل مردياً لانايته وذلك الكفر الذي فعله وجوده كعدمه فلم يكن هذا كافراً عندهم أصلاً فهو هؤلاء يستنون في الايمان بناء على هذا المأخذ وكذلك بعض محققهم يستنون في الكفر مثل أبي منصور الماتريدي فان ما ذكره مطرد فيهما ولكن جماهير الأئمة على انه لا يستثنى في الكفر والاستثناء فيه بدعة لم يعرف عن أحد من السلف ولكن هو لازم لهم . . . والذين فرقوا من هؤلاء قالوا نستثنى في الايمان رغبة الى الله في أن يثبتنا عليه الى الموت والكفر لا يرغب فيه أحد لكن يقال اذا كان قولك مؤمناً كقولك في الجنة فأنت تقول عن الكافر هو كافر ولا تقول هو في النار الا معلقاً بموته على الكفر فدل على انه كافر في الحال

قطعاً وان جاز أن يصير مؤمناً كذلك المؤمن وسواء أخبر عن نفسه أو عن غيره فلو قيل عن يهودي أو نصراني هذا كافر قال ان شاء الله اذا لم يعلم انه يموت كافراً وعند هؤلاء لا يعلم أحد أحد مؤمناً الا اذا علم انه يموت عليه وهذا القول قاله كثير من أهل الكلام أصحاب ابن كلاب ووافقهم على ذلك كثير من أتباع الأئمة لكن ليس هذا قول أحد من السلف لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم ولا كان أحد من السلف الذين يستثنون في الإيمان يعلمون بهذا لا أحمد ولا من قبله وما أخذ هذا القول طرده طائفة ممن كانوا في الأصل يستثنون في الإيمان اتباعاً للسلف وكانوا قد أخذوا الاستثناء عن السلف وكان أهل الشام شديد بن علي المرجئة وكان محمد بن يوسف الفريابي صاحب الثوري مرابطاً بعسقلان لما كانت معمورة وكانت من خيار ثغور المسلمين ولهذا كان فيها فضائل لفضيلة الرباط في سبيل الله وكانوا يستثنون في الإيمان اتباعاً للسلف واستثنوا أيضاً في الأعمال الصالحة كقول الرجل صليت ان شاء الله ونحو ذلك بمعنى القبول لما في ذلك من الآثار عن السلف ثم صار كثير من هؤلاء بأخرة يستثنون في كل شيء فيقول هذا ثوبي ان شاء الله وهذا حبل ان شاء الله فاذا قيل لأحدهم هذا لا شك فيه قال نعم لا شك فيه لكن اذا شاء الله أن يغيره غيره فيريدون بقولهم ان شاء الله جواز تغييره في المستقبل وان كان في الحال لا شك فيه كأن الحقيقة عندهم التي لا يستثنى فيها ما لم يتبدل كما يقوله أولئك في الإيمان ان الإيمان ما علم الله انه لا يتبدل حتى يموت صاحبه عليه لكن هذا القول قاله قوم من أهل العلم والدين باجتهاد ونظر وهوؤلاء الذين يستثنون في كل شيء تلقوا ذلك عن بعض أتباع شيخهم وشيخهم الذي ينتسبون اليه يقال أبو عمرو عثمان بن مرزوق لم يكن ممن يرى هذا الاستثناء بل كان في الاستثناء على طريقة من كان قبله ولكن أحدث ذلك بعض أصحابه بعده وكان شيخهم منتسباً الى الامام أحمد وهو من اتباع عبد الوهاب بن الشيخ أبي الفرج وأبو الفرج من تلامذة القاضي أبي يعلى وهؤلاء كلهم وان كانوا منتسبين الى الامام أحمد فهم يوافقون ابن كلاب على أصله الذي كان أحمد ينكره على الكلابية وأمر بهجر الحارث المحاسبي من أجله كما وافقه على أصله طائفة من أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة كأبي المعالي الجويني وأبي الوليد الباجي وأبي منصور الماتريدي وغيرهم وقول هؤلاء في مسائل متعددة من مسائل الصفات وما يتعلق بها كسألة القرآن هل هو سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته أم القرآن لازم لذاته وقولهم في الاستثناء مبنى على ذلك الأصل وكذلك بناء الأشعري واتباعه عليه لان هؤلاء كلهم كلابية يقولون ان الله لم يتكلم بمشيئته وقدرته ولا يرضى ولا يقض على أحد بعد إيمانه وكفره ولا يفرج بثوبة الثائب بعد توبته ولهذا وافقوا السلف على ان القرآن كلام الله غير مخلوق ثم قالوا انه قديم لم يتكلم به بمشيئته وقدرته ثم اختلفوا بعد هذا في القديم أهو معنى واحد أم حروف قديمة مع تعاقبها كما بسطت أقوالهم وأقوال غيرهم في مواضع أخره وهذه الطائفة المتأخرة تنكر أن يقال قطعاً في شيء من الأشياء مع غلوهم في الاستثناء حتى صار هذا اللفظ منكراً عندهم وان قطعوا بالمعنى فيجزمون بان محمداً رسول الله وان الله ربهم ولا يقولون قطعاً وقد اجتمع بي طائفة منهم فأنكرت عليهم ذلك وامتنعت من فعل مطلوبهم حتى يقولوا قطعاً وأحضروا لي كتاباً فيه

أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى أن يقول الرجل قطعاً وهي أحاديث موضوعة مختلفة قد  
افترها بعض المتأخرين . . . والمقصود هنا ان الاستثناء في الايمان لما علك مثل تلك العلة طرد أقوام تلك  
العلة في الأشياء التي لا يجوز الاستثناء فيها بإجماع المسلمين بناء على ان الأشياء الموجودة الآن اذا كانت في  
علم الله تتبدل أحوالها فيستثنى في صفاتها الموجودة في الحال ويقول هذا صغير ان شاء الله لان الله قد  
يجعله كبيراً ويقول هذا مجنون ان شاء الله لان الله قد يجعله عاقلاً ويقول للمرتد هذا كافر ان شاء الله  
لامكان أن يتوب وهو لاء الذين استثنوا في الايمان بناء على هذا المأخذ ظنوا هذا قول السلف وهو لاء  
وأمثالهم من أهل الكلام ينصرون ما ظهر من دين الاسلام كما ينصر ذلك المعتزلة والجهمية وغيرهم من  
المتكلمين فينصرون اثبات الصانع والنبوة والمعاد ونحو ذلك وينصرون مع ذلك ما ظهر من مذاهب أهل  
السنة والجماعة كما ينصر ذلك الكلابية والكرامية والأشعرية ونحوهم فينصرون ان القرآن كلام الله  
غير مخلوق وان الله يرى في الآخرة وان أهل القبلة لا يكفرون بالذنب ولا ينجذون في النار وان النبي  
صلى الله عليه وسلم له شفاعاة في أهل الكبائر وان فتنة القبر حق وعذاب القبر حق وحوض نبيتنا صلى  
الله عليه وسلم في الآخرة حق وأمثال ذلك من الأقوال التي شاع انما من أصول أهل السنة والجماعة كما  
ينصرون خلافة الخلفاء الاربعة وفضيلة أبي بكر وعمر ونحو ذلك . . . وكثير من أهل الكلام في كثير مما  
ينصروه لا يكون عارفاً بحقيقة دين الاسلام في ذلك ولا ما جاءت به السنة ولا ما كان عليه السلف فينصر  
ما ظهر من قولهم بغير المأخذ التي كانت مأخذهم في الحقيقة بل بمأخذ آخر قد تلقاها عن غيرهم من أهل  
البدع فيقع في كلام هؤلاء من التناقض والاضطراب والخطأ ما ذم به السلف مثل هذا الكلام وأهله  
فان كلامهم في ذم مثل هذا الكلام كثير والكلام المذموم هو المخالف للكتاب والسنة وكل ما خالف  
الكتاب والسنة فهو باطل وكذب فهو مخالف للشرع والعقل وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً فهو لاء لما  
اشهر عندهم عن أهل السنة انهم يستثنون في الايمان ورأوا ان هذا لا يمكن الا اذا جعل الايمان هو  
ما يموت العبد عليه وهو ما يوافي به العبد ربه ظنوا ان الايمان عند السلف هو هذا فصاروا يحكون هذا  
عن السلف وهذا القول لم يقل به أحد من السلف ولكن هؤلاء حكموه عنهم بحسب ظنهم لما رأوا ان  
قولهم لا يتوجه الا على هذا الاصل وهم يدعون ان مانصروه من أصل جهم في الايمان هو قول المحققين  
والنظار من أصحاب الحديث ومثل هذا يوجد في الايمان كثيراً في مذاهب السلف التي خالفها بعض النظار  
وأظهر حجته في ذلك ولم يعرف حقيقة قول السلف فيقول من عرف حجة هؤلاء دون السلف أو  
من يعظهم لما يراه من تميزهم عليه هذا قول المحققين وقال المحققون ويكون ذلك من الأقوال الباطلة  
الخالفة للعقل مع الشرع وهذا كثيراً ما يوجد في كلام بعض المبتدعين وبعض الملحدين ومن آتاه الله علماً  
وايماناً علم انه لا يكون عند المتأخرين من التحققي الا ما هو دون تحقيق السلف لان العلم ولا في العمل  
ومن كان له خبرة بالنظريات والعقليات وبالعمليات علم ان مذهب الصحابة دائماً أرجح من قول من  
بعدهم وانه لا يتدع أحد قولاً في الاسلام الا كان خطأ وكان الصواب قد سبق اليه من قبله قال أبو

القاسم الانصاري فيما حكاه عن أبي اسحق الاسفرائيني لما ذكر قول أبي الحسن وأصحابه في الإيمان وصحح انه تصديق القلب قال ومن أصحابنا من قال بالموافاة وشرط في الإيمان الحقيقي ان يوافي ربه به ويحتم عليه ومنهم من لم يجعل ذلك شرطاً فيه في الحال قال الانصاري لما ذكر ان معظم أئمة السلف كانوا يقولون الإيمان معرفة بالقلب وقرار باللسان وعمل بالجوارح قال الاكثر من هؤلاء على القول بالموافاة ومن قال بالموافاة فانما يقوله فيمن لم يرد الخبر بأنه من أهل الجنة وأما من ورد الخبر بأنه من أهل الجنة فانه يقطع على إيمانه كالعشرة من الصحابة ثم قال والذي اختاره المحققون ان الإيمان هو التصديق وقد ذكرنا اختلاف أقوالهم في الموافاة وان ذلك هل هو شرط في صحة الإيمان وحقيقته في الحال وكونه معتدا عند الله به وفي حكمه فمن قال ان ذلك شرط فيه يستثنون في الاطلاق في الحال لا انهم يشكون في حقيقة التوحيد والمعرفة لكنهم يقولون لا يدري أي الإيمان الذي نحن مؤمنون به في الحال هل هو معتد به عند الله على معنى انا ننتفع به في العاقبة ونجتني من ثماره فاذا قيل لهم أمؤمنون أنتم حقاً أو تقولون ان شاء الله أو تقولون نرجو فيقولون نحن مؤمنون ان شاء الله يعنون بهذا الاستثناء تفويض الامر في العاقبة الى الله سبحانه وتعالى وانما يكون الإيمان إيماناً معتداً به في حكم الله اذا كان ذلك علم الفوز وآية النجاة واذا كان صاحبه والعياذ بالله في حكم الله من الاشقياء يكون إيمانه الذي يحل به في الحال عارية قال ولا فرق عند الصائرين الى هذا المذهب بين أن يقول أنا مؤمن من أهل الجنة قطعاً وبين أن يقول أنا مؤمن حقاً قلت هذا انما يجيء على قول من يجعل الإيمان متناً ولا لاداء الواجبات وترك المحرمات فمن مات على هذا كان من أهل الجنة وأما على قول الجهمية والمرجئة وهو القول الذي نصره هؤلاء الذين نصروا قول جهنم فانه يموت على الإيمان قطعاً ويكون كامل الإيمان عندهم وهو مع هذا عندهم من أهل الكبراء الذين يدخلون النار فلا يلزم اذا وافي بالإيمان أن يكون من أهل الجنة وهذا اللازم لقولهم يدل على فساده لان الله وعد المؤمنين بالجنة وكذلك قالوا لا سيما والله سبحانه يقول (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات) الآية قال فهؤلاء يعني القائلين بالموافاة جعلوا الثبات على هذا التصديق والإيمان الذي وصفناه الى العاقبة والوفاء به في المال شرطاً في الإيمان شرعاً لا لغة ولا عقلاً قال وهذا مذهب سلف أصحاب الحديث والأكثرين قال وهو اختيار الامام أبي بكر بن قورك وكان الامام محمد بن اسحق ابن خزيمة يغلو فيه وكان يقول من قال أنا مؤمن حقاً فهو مبتدع وأما مذهب سلف أصحاب الحديث كابن مسعود وأصحابه والثوري وابن عيينة وأكثر علماء الكوفة ويحيى بن سعيد القطان فيما يرويه عن علماء أهل البصرة وأحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة فكانوا يستثنون في الإيمان وهذا متواتر عنهم لكن ليس في هؤلاء من قال أنا أستثنى لاجل الموافاة وان الإيمان انما هو اسم لما يوافي به العبد ربه بل صرح أئمة هؤلاء بأن الاستثناء انما هو لان الإيمان يتضمن فعل الواجبات فلا يشهدون لانفسهم بذلك كما لا يشهدون لها بالبر والتقوى فان ذلك مما لا يعلونه وهو تزكية لانفسهم بلا علم كما سند كرا أقوالهم ان شاء الله في ذلك وأما الموافاة فما غامت أحداً من السلف على بها الاستثناء ولكن كثير من المتأخرين

يعلم بها من أصحاب الحديث من أصحاب أحمد ومالك والشافعي وغيرهم كما يعلم بها نظارهم كأبي الحسن الأشعري وأكثر أصحابه لكن ليس هذا قول سلف أصحاب الحديث ثم قال فان قال قائل اذا قلتم ان الايمان المأمور به في الشريعة هو ما وصفتموه بشرائط وليس ذلك متلقى من اللغة فكيف يستقيم قولكم ان الايمان لغوى قلنا الايمان هو التصديق لغة وشرعا غير ان الشرع ضم الى التصديق أوصافا وشرائط محمومها يصير مجزيا مقبولا كما قلنا في الصلاة والصوم والحج ونحوها والصلاة في اللغة هو الدعاء غير أن الشرع ضم اليها شرائط فيقال هذا يذاق ما ذكره في مسمى الايمان فانهم اسما زعموا انه في اللغة التصديق والشرع لم يغيره أوردوا على أنفسهم فان قيل أليس الصلاة والحج والزكاة معدولة عن اللغة مستعملة في غير مذهب أهلها قلنا قد اختلف العلماء في ذلك والصحيح انها مقررة على استعمال أهل اللغة ومبقة على مقتضياتها وليست منقولة الا انها زيد فيها أمور فلو سلمنا لاخصم كون هذه الالفاظ منقولة أو محمولة على وجه من الحجاز بدليل مقطوع به فعليه اقامة الدليل على وجود ذلك في الايمان فانه لا يجب ازالة ظواهر القرآن بسبب ازالة ظاهر منها فيقال أتم في الاستثناء جعلتم الشرع زاد فيه وجعلتموه كالصلاة والزكاة مع انه لا يمكن أحدا أن يذكر من الشرع دليلا على ان الايمان لا يسمى به الا الموافقة به وبتقدير ذلك فمعلوم ان دلالة الشرع على ضم الاعمال اليه أكثر وأشهر فكيف لم تدخل الاعمال في مسماء شرعا وقوله لا بد من دليل مقطوع به عنه جوابان أحدهما النقص بالموافاة فانه لا يقطع فيه الثاني لا نسلم بل نحن نقطع بأن حب الله ورسوله ونحو ذلك داخل في مسمى الايمان في كلام الله ورسوله أعظم مما يقطع ببعض أفعال الصلاة والصوم والحج كمسائل النزاع ثم أبو الحسن وابن فورك وغيرهما من القائلين بالموافاة وهم لا يجمعون الشرع ضم اليه شيئا بل عندهم كل من سلبه الشرع اسم الايمان فقد فقد من قلبه التصديق قال ومن أصحابنا من لم يجعل الموافاة على الايمان شرطا في كونه ايمانا حقيقيا في الحال وان جعل ذلك شرطا في استحقات الثواب عليه وهذا مذهب المعتزلة والكرامية وهو اختيار أبي اسحق الاسفرائيني وكلام القاضي يدل عليه قل وهو اختيار شيخنا أبي المعالي فانه قال الايمان ثابت في الحال قطعاً لاشك فيه ولكن الايمان الذي هو علم الفوز وآية النجاة ايمان الموافاة فاعتني السلف به وقرنوه بالاستثناء ولم يقصدوا الشك في الايمان الناجز قال ومن صار الى هذا يقول الايمان صفة يشق منها اسم المؤمن وهو المعرفة والتصديق كما أن العالم يشق من العلم فاذا عرفت ذلك من نفسى قطعت به كما قطعت بأني عالم وعارف ومصديق فان ورد في المستقبل مايزيله خرج اذ ذاك عن استحقات هذا الوصف ولا يقال تبينا انه لم يكن ايمانا مأمورا به بل كان ايمانا مجزيا فتعير وبطل وليس كذلك قوله أنا من أهل الجنة فان ذلك مغيب عنه وهو مرجو قال ومن صار الى القول الاول يتمسك بأشياء منها أن يقال الايمان عبادة العمر وهو كطاعة واحدة فيتوقف صحة أولها على سلامة آخره كما يقول في الصلاة والصيام والحج قالوا ولا شك انه لا يسمى في الحال ولياً ولا شهيداً ولا مرضياً عند الله وكذلك الكافر لا يسمى في الحال عدو الله ولا شقياً إلا على معنى انه تجرى عليه أحكام الاعداء في

الحال لظهاره من نفسه علامتهم قلت هذا الذي قالوه انه لاشك فيه هو قول ابن كلاب والاشعري  
وأصحابه ومن وافقهم من أصحاب أحمد ومالك والشافعي وغيرهم وأما أكثر الناس فيقولون بل هو  
إذا كان كافراً فهو عدو الله ثم إذا آمن واتي صار ولياً لله قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي  
وعدوكم أولياء تلقون إليهم) الى قوله (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منه مودة والله قدير  
والله غفور رحيم) وكذلك كان فان هؤلاء أهل مكة الذين كانوا يعادون الله ورسوله قبل الفتح  
آمن أكثرهم وصاروا من أولياء الله ورسوله وابن كلاب وأتباعه بنوا ذلك على ان الولاية صفة قديمة  
لذات الله هي الارادة والحبة والرضا ونحو ذلك فمنعناها ارادة ثابتة بعد الموت وهذا المعنى تابع لعلم الله  
فمن علم انه يموت مؤمناً لم يزل ولياً لله لانه لم يزل الله صريداً لادخاله الجنة وكذلك العداوة  
وأما الجمهور فيقولون الولاية والعداوة وان تضمنت محبة الله ورضاه وبغضه وسخطه فهو سبحانه يرضي  
عن الانسان ويحبه بعد أن يؤمن ويعمل صالحاً وانما يسخط عليه ويفضبه بعد أن يكفر كما قال تعالى  
(ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه) فأخبر أن الاعمال أسخطته وكذلك قال (فلمسا  
أسفونا انتقمنا منهم) قال المفسرون أغضبونا وكذلك قال الله تعالى (وان تشكروا يرضه لكم) وفي  
الحديث الصحيح الذي في البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى  
من عادي لي ولياً فقد ابرزني بالحاربة وما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي  
يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي  
يبطش بها ورجله التي يمشى بها في سمي يسمع وفي يبصر وفي يبطش وفي يمشي ولئن سألتني لأعطينه ولئن  
استعذتني لأعيننه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت  
وأكره مساءته ولا بد له منه فأخبر أنه لا يزال يتقرب اليه بالنوافل حتى يحبه ثم قال فاذا أحببته  
كنت كذا كنت كذا وهذا بين في أن حبه لعبده بعد أن يأتي بمحابه والقرآن قد دل على مثل  
ذلك قال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فقوله يحببكم جواب الامر في قوله فاتبعوني  
وهو بمنزلة الجزاء مع الشرط ولهذا جزم وهذا ثواب عملهم وهو اتباع الرسول فأنابهم على ذلك بأن أحبه  
وجزاء الشرط وثواب العمل ومسبب السبب لا يكون الا بعده لا قبله وهذا كقوله تعالى ( ادعوني  
أستجب لكم) وقوله تعالى (يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به يفر لكم من ذنوبكم ويخرجكم من غداً  
اليم) وقوله تعالى (اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم) ومثل هذا  
كثير وكذلك قوله (فأتوا اليهم عهدهم الي مدتهم ان الله يحب المتقين) وقوله (لم تقولون ما لا  
تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان  
مرصوص) وكانوا قد سأله لو علمنا أي العمل أحب الي الله لعلمناه وقوله (ان الذين كفروا ينادون  
لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الي الايمان فكفرون) فهذا يدل على ان حبه ومقتة جزاء  
لعملهم وانه يحبهم اذا اتقوا وقاتلوا ولهذا رغبهم في العمل بذلك كما يرغبهم بسائر ما يعدهم به وجزاء العمل

بعد العمل وكذلك قوله ( اذ تدعون الى الايمان فتكفرون ) فانه سبحانه يمتهم اذ يدعون الى الايمان فيكفرون  
ومثل هذا قوله ( لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة  
عليهم وأثنى عليهم قريبا ) فقوله لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك بين أنه رضى عنهم هذا الوقت  
فان حرف اذ ظرف لما مضى من الزمان فعلم انه ذاك الوقت رضى عنهم بسبب ذلك العمل وأثنى عليهم  
والمسبب لا يكون قبل سببه والموقت بوقت لم يكن قبل وقته واذا كان راضيا عنهم من جهة فهذا الرضى  
الخاص الحاصل بالبيعة لم يكن الا حينئذ كما ثبت في الصحيح انه يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة هل رضىتم  
فيقولون يا ربنا وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيتكم ما هو أفضل  
من ذلك فيقولون يا ربنا وأي شيء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده  
أبدأ وهذا يدل على أنه في ذلك الوقت حصل لهم هذا الرضوان الذي لا يتعقبه سخط أبدا ودل على أن  
غيره من الرضوان قد يتعقبه سخط وفي الصحيحين في حديث الشفاعة يقول كل من الرسل ان ربي قد  
غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله وان يغضب بعده مثله وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم  
من غير وجه انه قال لله أشد فرحاً بتوبة عبده من رجل أضل راحلته بأرض دوية مهلكة عليها طعامه  
وشرابه يطلبها فلم يجدها فاضطجع ينتظر الموت فلما استيقظ اذا دابته عليها طعامه وشرابه وفي رواية  
كيف تجدون فرحاً بها قالوا عظيم يا رسول الله قال لله أشد فرحاً بتوبة عبده من هذا راحلته وكذلك  
ضحك الى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة وضحك الى الذي يدخل الجنة آخر الناس  
ويقول أسخر بي وأنت رب العالمين فيقول لا ولكنى على ما أشاء قادر وكل هذا في الصحيح وفي دعاء  
التنوير تولني فيمن توليت والقديم لا يتصور طلبه وقد قال تعالى ( إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو  
يتولى الصالحين وقال ( والله ولي المتقين ) فهذا التولى لهم جزاء صلاحهم وتقواهم ومسبب عنه فلا  
يكون متقدماً عليه وان كان انما صاروا صالحين ومتقين بمشيئته وقدرته وفضله واحسانه لكن تعلق بكونهم  
متقين وصالحين فدل على ان هذا التولى هو بعد ذلك مثل كونه مع المتقين والصالحين بنصره وتأييده  
ليس ذلك قبل كونهم متقين وصالحين وهكذا الرحمة قال صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن  
بفضل رحمة ارحوا من في الارض يرحمكم من في السماء قال الترمذي حديث صحيح وكذلك قوله ( ان  
تشكروا يرضه لكم ) علق الرضاء به تعليق الجزاء بالشرط والمسبب بالسبب والجزاء انما يكون بعد الشرط  
وكذلك قوله ( لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمين ) يدل على انه يشاء ذلك فيما بعد وكذلك  
قوله ( انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ) فاذا ظرف لما يستقبل من الزمان فدل على انه  
اذا أراد كونه قال له كن فيكون وكذلك قوله ( وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ) فيبين فيه انه سيري  
ذلك في المستقبل اذا عملوه . . . ولما أخذ الثاني في الاستثناء ان الايمان المطلق يتضمن فعل ما أمر الله به  
عبده كله وترك المحرمات كلها فاذا قال الرجل أنا مؤمن بهذا الاعتبار فقد شهد لنفسه بأنه من الابرار  
المتقين القائلين بفعل جميع ما أمروا به وترك ما نهوا عنه فيكون من أولياء الله وهذا من تزكية اللسان

لنفسه وشهادته لنفسه بما لا يعلم ولو كانت هذه الشهادة صحيحة لكان ينبغي له أن يشهد لنفسه بالجنة  
ان مات على هذه الحال ولا أحد يشهد لنفسه بالجنة فشهادته لنفسه بالايمان شهادته لنفسه بالجنة اذامات  
على هذه الحال وهذا ما أخذ عامة السلف الذين كانوا يستثنون وان جوزوا ترك الاستثناء بمعنى آخر كما  
سند كره ان شاء الله تعالى . قال الخلال في كتاب السنة حدثنا سليمان بن الاشعث يعني ابا داود السجستاني  
قال سمعت ابا عبد الله احمد بن حنبل قال له رجل قيل لي مؤمن أنت قلت نعم هل على في ذلك شيء  
هل الناس الا مؤمن وكافر فغضب احمد وقال هذا كلام الارجاء قال الله تعالى ( وآخرون مرجون  
لأمر الله ) من هؤلاء ثم قال احمد أليس الايمان قولاً وعملاً قال له الرجل بلى قال فثبتنا بالقول قل نعم  
قال فثبتنا بالعمل قال لا قال فكيف تعيب أن يقول ان شاء الله ويستثنى . قال أبو داود أخبرني أحمد بن  
أبي شريح ان أحمد بن حنبل كتب اليه في هذه المسألة ان الايمان قول وعمل فثبتنا بالقول ولم نجبي بالعمل  
فنهضتني في العمل ذكر الخلال هذا الجواب من رواية الفضل بن زياد وقال زاد الفضل سمعت ابا  
عبد الله يقول كان سليمان بن حرب يحمل هذا على التقبل يقول نحن نعمل ولا ندرى يتقبل منا أم لا قلت  
والتقبل متعلق بفعله كما أمر فكل من اتقى الله في عمله ففعله كما أمر فقد تقبل منه لكن هو لا يجزم بالقبول  
لعدم جزمه بكامل الفعل كما قال تعالى ( والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة ) قالت عائشة يارسول الله أهو  
الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر ويخاف فقال لا يا بنت الصديق بل هو الرجل يصلي ويصوم ويتصدق  
ويخاف أن لا يتقبل منه وروى الخلال عن أبي طالب قال سمعت ابا عبد الله يقول لا نجد بدءاً من الاستثناء  
لانهم اذا قالوا مؤمن فقد جاء بالقول فانما الاستثناء بالعمل لا بالقول وعن اسحق بن ابراهيم قال سمعت ابا  
عبد الله يقول اذهب الى حديث ابن مسعود في الاستثناء في الايمان ان الايمان قول وعمل والعمل الفعل فقد  
ثبتنا بالقول ونخشى أن نكون فرطنا في العمل فيعجبني أن يستثنى في الايمان بقول أنا مؤمن ان شاء الله قال  
وسمعت ابا عبد الله وسئل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون الاستثناء ههنا على  
أى شيء يقع قال على البقاع لا يدري أي دفن في موضع الذي سلم عليه أم في غيره وعن الميموني انه سأل ابا  
عبد الله عن قوله ورأيه في مؤمن ان شاء الله قال أقول مؤمن ان شاء الله ومؤمن أرجو لانه لا يدري  
كيف البراءة للأعمال على ما افترض عليه أم لا ومثل هذا كثير في كلام أحمد وأمثاله وهذا مطابق لما  
تقدم من ان المؤمن المطلق هو القائم بالواجبات المستحق للجنة اذا مات على ذلك وان المفرد بترك  
المأمور أو فعل المحذور لا يطلق عليه انه مؤمن وان المؤمن المطلق هو البر التقي ولى الله فاذا قال أنا  
مؤمن قطعاً كان كقوله أنا بر تقي ولى الله قطعاً وقد كان أحمد وغيره من السلف مع هذا يكرهون  
سؤال الرجل لغيره مؤمن أنت ويكرهون الجواب لان هذه بدعة أحدثها المرجئة ليحتجوا بها  
لقولهم فان الرجل يعلم من نفسه انه ليس بكافر بل يجهد قلبه مصداقاً بما جاء به الرسول فيقول أنا مؤمن  
فيثبت ان الايمان هو التصديق لانك تجزم بانك مؤمن ولا تجزم بانك فعلت كل ما أمرت به فلما علم  
السلف مقصدهم صاروا يكرهون الجواب أو يفصلون في الجواب وهذا لان لفظ الايمان فيه اطلاق

وتقييد فكانوا يجيبون بالإيمان المقيد الذي لا يستلزم أنه شاهد فيه لنفسه بالكمال ولهذا كان الصحيح أنه يجوز أن يقال أنا مؤمن بلا استثناء إذا أراد ذلك لكن يلجئ أن يقرب كلامه بما يبين أنه لم يرد الإيمان المطلق الكامل ولهذا كان أحمد يكره أن يجيب على المطلق بلا استثناء يقدمه وقال المروزي قيل لأبي عبد الله نقول نحن المؤمنون فقال نقول نحن المسلمون وقال أيضاً قلت لأبي عبد الله نقول إنا مؤمنون قال ولكن نقول إنا مسلمون ومع هذا فلم ينكر على من ترك الاستثناء إذا لم يكن قصده قصد المرجئة أن الإيمان مجرد القول بل تركه لما يعلم أن في قلبه إيماناً وإن كان لا يجزم بكمال إيمانه قال الخلال أخبرني أحمد بن أصرم المزني أن أبا عبد الله قيل له إذا سألت الرجل فقال مؤمن من أنت قال سوء الك أي بدعة لا يشك في إيمانه أو قال لا تشك في إيماننا قال المزني وحفظي أن أبا عبد الله قال أقول كما قال طاوس آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله وقال الخلال أخبرني حرب بن اسمعيل وأبو داود قال أبو داود سمعت أحمد قال سمعت سفيان يعني ابن عيينة يقول إذا سئل مؤمن من أنت لم يجب ويقول سوء الك أي بدعة ولا أشك في إيماني وقال إن قال إن شاء الله ليس يكره ولا يداخل الشك فقد أخبر عن أحمد قال لا تشك في إيماننا وإن السائل لا يشك في إيمان المسؤل وهذا أبغ وهو إنما يجزم بأنه مقرر مصدق بما جاء به الرسول لا يجزم بأنه قائم بالواجبات فعلم أن أحمد وغيره من السلف كانوا يجزمون ولا يشكون في وجود ما في القلب من الإيمان في هذه الحال ويجملون الاستثناء عائداً إلى الإيمان المطابق المتضمن فعل المأمور ويحتجون أيضاً بجواز الاستثناء فيما لا يشك فيه وهذا مأخذ ثان وإن كنا لا نشك في ما في قلوبنا من الإيمان فالاستثناء فيما يعلم وجوده قد جاءت به السنة لما فيه من الحكمة وعن محمد بن الحسن بن هارون قال سألت أبا عبد الله عن الاستثناء في الإيمان فقال نعم الاستثناء على غير معنى شك مخافة واحتياطاً للعمل وقد استثنى ابن مسعود وغيره وهو مذهب الثوري قال الله تعالى (لندخلن المسجد الحرام إن شاء الله) وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه اني لأرجو أن أكون أتقاكم لله وقال في الميت وعليه يبعث إن شاء الله فقد بين أحمد أنه يستثنى مخافة واحتياطاً للعمل فإنه يخاف أن لا يكون قد كمل المأمور به فيحتاج بالاستثناء وقال على غير معنى شك يعني من غير شك مما يعلمه الإنسان من نفسه والا فهو يشك في تكميل العمل الذي خاف أن لا يكون كمله فيخاف من نقصه ولا يشك في أصله قال الخلال وأخبرني محمد بن أبي هارون أن حبيش بن سندی حدثهم في هذه المسئلة قال أبو عبد الله قول النبي صلى الله عليه وسلم حين وقف على المقابر فقال وأنا إن شاء الله بكم لاحقون وقد نعتت إليه نفسه وعلم أنه صائر إلى الموت وفي قصة صاحب القبر عليه حيين وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم اني اختبأت دعوتي وهي نائلة إن شاء الله من لا يشرك بالله شيئاً وفي مسئلة الرجل النبي صلى الله عليه وسلم أحدنا يصبح جنباً يصوم فقال اني أفعل ذلك ثم أصوم فقال انك لست مثلنا أنت قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال والله اني لأرجو أن أكون أحشاكم لله وهذا كثير وأشبهاهه على اليقين قال ودخل عليه شيخ فسأله عن الإيمان فقال له قول وعمل يزيد وينقص فقال له أقول مؤمن إن شاء الله

قال نعم فقال له أنهم يقولون لي إنك شك قال بئس ما قالوا ثم خرج فقال ردوه فقال أليس يقولون الإيمان قول وعمل يزيد وينقص قال نعم قال هؤلاء يستثنون قال له كيف يا أبا عبد الله قال قل لهم زعمتم أن الإيمان قول وعمل فالقول قد أتيت به والعمل لم تأتوا به فهذا الاستثناء لهذا العمل قيل له يستثنى في الإيمان قال نعم أقول أنا مؤمن أن شاء الله استثنى على اليقين لا على الشك ثم قال قال الله (لندخلن المسجد الحرام أن شاء الله آمنين) فقد أخبر الله تعالى أنهم داخلون المسجد الحرام فقد بين أحمد في كلامه أنه يستثنى مع يتيقنه بما هو الآن موجود فيه يقوله بلسانه وقلبه لا يشك في ذلك ويستثنى ليكون العمل من الإيمان وهو لا يتيقن أنه أكمله بل يشك في ذلك فنفى الشك وأثبت اليقين فيما يتيقنه من نفسه وأثبت الشك فيما لا يعلم وجوده وبين أن الاستثناء مستحب لهذا الثاني الذي لا يعلم هل أتى به أم لا وهو جائز أيضاً لما يتيقنه فلو استثنى لنفس الموجود في قلبه جاز كقول النبي صلى الله عليه وسلم والله إنني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وهذا أمر موجود في الحال ليس بمستقبل وهو كونه أخشانا فإنه لا يرجو أن يصبر أخشانا لله بل هو يرجو أن يكون حين هذا القول أخشانا لله كما يرجو المؤمن إذا عمل عملاً أن يكون الله تقبله منه ويخاف أن لا يكون تقبله منه كما قال تعالى (والذين يؤمنون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون) وقال النبي صلى الله عليه وسلم هو الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه والقبول هو أمر حاضر أو ماض وهو يرجوه ويخافه وذلك أن ماله عاقبة مستقبله محمودة أو مذمومة والإنسان يجوز وجوده وعدمه يقال أنه يرجوه وأنه يخافه فتعلق الرجاء والخوف بالحاضر والماضي لأن عاقبته المطلوبة والمكروهة مستقبلية فهو يرجو أن يكون الله يقبل عمله فيثيبه عليه فيرحمه في المستقبل ويخاف أن لا يكون يقبله فيحرم ثوابه كما يخاف أن يكون الله قد سخط عليه في مهيئته فيعاقبه عليها وإذا كان الإنسان يسيء فيما يطلبه كتاجر أو يريد أرسله في حاجته يقضيها في بعض الأوقات فإذا مضى ذلك الوقت يقول أرجو أن يكون فلان قد قضى ذلك الأمر وقضاؤه ماضٍ لكن ما يحصل لهذا من الفرح والسرور وغير ذلك من مقاصده مستقبله ويقول الإنسان في الوقت الذي جرت عادة الحاج بدخولهم إلى مكة أرجو أن يكونوا دخلوا ويقول في سرية بعثت إلى الكفار نرجو أن يكون الله قد نصر المؤمنين وغنمهم ويقال في نيل مصر عند وقت ارتفاعه نرجو أن يكون قد سعد النيل كما يقول الحاضر في مصر مثل هذا الوقت نرجو أن يكون النيل هذا العام نبلاً مرتفعاً ويقال لمن له أرض يحب أن تمطر إذا مطرت بعض النواحي أرجو أن يكون المطر عاماً وأرجو أن يكون قد مطرت الأرض الفلانية وذلك لأن المرجو هو ما يفرح بوجوده ويسره وهذا يتعلق بالعلم والعلم بذلك مستقبله فإذا علم أن المسلمين انتصروا والحاج قد دخلوا أو المطر قد نزل فرح بذلك وحصل به مقاصد أخر له وإذا كان الأمر بخلاف ذلك لم يحصل ذلك المحبوب المطلوب فيقول أرجو وأخاف لأن المحبوب والمكروه متعلق بالعلم بذلك وهو مستقبل وكذلك المطلوب بالإيمان من السعادة والنجاة هو أمر مستقبل فيستثنى في الحاضر بذلك لأن المطلوب به مستقبل ثم كل مطلوب مستقبل متعلق بمشيئة الله وإن جزم بوجوده لأنه

لا يكون مستقبلاً إلا بمشيئة الله فقولنا يكون هذا ان شاء الله حق فانه لا يكون الا ان شاء الله والشك واللفظ ليس فيه الا التعليق وليس من ضرورة التعليق الشك بل هذا بحسب علم المتكلم فتارة يكون شاكاً وتارة لا يكون شاكاً فلما كان الشك يصحها كثيراً لعدم علم الانسان بالعواقب ظن الظان ان الشك داخل في معناها وليس كذلك فقوله ( لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله ) لا يتصور فيه شك من الله بل ولا من رسوله المخاطب والمؤمنين ولهذا قال تعلب هذا استثناء من الله وقد علمه والخلق يستمنون فيما لا يعلمون وقال أبو عبيدة وابن قتيبة ان ان بمعنى اذ أي اذ شاء الله ومقصودهم بهذا تحقيق الفعل بان كما يتحقق مع اذ والا فاذ ظرف توقيت وان حرف تعليق فان قيل فالعرب تقول اذا احمر البسر فأتني ولا تقول ان احمر البسر قيل لان المقصود هنا توقيت الايمان بحين احمره فأتنا بالظرف المحقق ولفظ إن لا يدل على توقيت بل هي تعليق محض تقتضى ارتباط الفعل الثاني بالأول ونظير ما نحن فيه أن يقولوا البسر يحمر ويطيب ان شاء الله وهذا حق فهذا نظير ذلك فان قيل فطائفة من الناس فروا من هذا المعنى وجعلوا الاستثناء لأمر مشكوك فيه فقال الزجاج لتدخلن المسجد الحرام أي أمركم الله به وقيل الاستثناء يعود الى الامن والخوف أي لتدخلنه آمنين فأما الدخول فلا شك فيه وقيل لتدخلن جميعكم أو بعضكم لانه علم ان بعضهم يموت فلا استثناء لانهم لم يدخلوا جميعهم قيل كل هذه الاقوال وقع أصحابها فيما فروا منه مع خروجهم عن مدلول القرآن فخر فوه تحريفاً لم ينتفعوا به فان قول من قال أي أمركم الله به هو سبحانه قد علم هل يأمرهم أو لا يأمرهم فعلمه بانه سيأمرهم بدخوله كعلمه بان سيأمرهم بدخولهم فعلقوا الاستثناء بما لم يدل عليه اللفظ وعلم الله متعلق بالمظهر والمضمر جميعاً وكذلك آمنهم وخوفهم هو يعلم أنهم يدخلون آمنين أو خائفين وقد أخبر أنهم يدخلون آمنين مع علمه بانهم يدخلون آمنين فكلها لم يكن فيه شك عند الله بل ولا عند رسوله وقول من قال جميعهم أو بعضهم يقال المعلق بالمشيئة دخول من أريد باللفظ فان كان أراد الجميع فالجميع لا بد أن يدخلوه وان أريد الاكثر كان دخولهم هو المعلق بالمشيئة وما لم يرد لا يجوز أن يعلق بان وانما علق بان ماسيكون وكان هذا وعداً مجزوماً به ولهذا لما قال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية ألم تكن تحدثنا أنا أتى البيت ونطوف به قال بلى أقلت لك انك تأتبه هذا العام قال لا قال فأنك آتبه ومطوف به فان قيل لم لم يعلق غير هذا من مواعيد القرآن قيل لان هذه الآية نزلت بعد مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية وكانوا قد اعتمروا ذلك العام واجتهدوا في الدخول فصدتهم المشركون فرجعوا وبهم من الأثم ما لا يعلمه الا الله فكانوا منتظرين لتحقيق هذا الوعد ذلك العام اذ كان النبي صلى الله عليه وسلم وعدهم وعداً مطلقاً وقد روى انه رأى في المنام قائلاً يقول ( لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله ) فأصبح فحدث الناس برؤياه وأمرهم بالخروج الى العمرة فلم تحصل لهم العمرة ذلك العام فنزلت هذه الآية ووعدهم بما وعدهم به الرسول من الامر الذي كانوا يظنون حصوله ذلك العام وكان قول ان شاء الله هنا تحقيقاً لدخوله وان الله يحقق ذلك لكم كما يقول الرجل فيما عزم على أن يفعله لا محالة والله لا يفعلن كذا ان شاء الله لا يقوله لشك في وادته

وعزمه بل تحقيقاً لعزمه وارادته فانه يخاف اذا لم يقل ان شاء الله أن ينقض عزمه ولا يحصل ماطلبه كما  
في الصحيحين ان سليمان عليه السلام قال والله لأطوفن الليلة على مائة امرأة كل منهن تأتي بفارس يقاتل  
في سبيل الله فقتل له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امرأة جاءت بشق رجل قال  
النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون فهو  
اذا قال ان شاء الله لم يكن لشك في طلبه وارادته بل لتحقيق الله ذلك له اذا الأمور لا تحصل الا بمشيئة  
الله فاذا تألى العبد عليه من غير تعليق بمشيئته لم يحصل مراده فانه من تألى على الله يكذبه ولهذا يروي  
لا أتممت لمقدر أمراً وقيل لبعضهم بما اذا عرفت ربك قل بفسخ العزائم ونقض الهمم وقد قال تعالى  
( ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غداً الا ان يشاء الله ) فان قوله لأفعلن فيه معنى الطلب والخبر  
وطلبه جازم وأما كون مطلوبه يقع فهذا يكون ان شاءه وطلبه للفعل يجب أن يكون من الله بحوله وقوته  
ففي الطلب عليه أن يطلب من الله وفي الخبر لا يخبر الا بما علمه الله فاذا جزم بلا تعليق كان كالتألى على  
الله فيكذبه الله فالسلم في الأمر الذي هو عازم عليه ومريد له وطالب له طلباً لا تردد فيه يقول ان شاء  
الله لتحقيق مطلوبه وحصول ما أقسم عليه لكونه لا يكون الا بمشيئة الله لا لتردد في ارادته والرب  
تعالى مريد لإنجاز ما وعدهم به ارادة جازمة لا مثنوية فيها وما شاء فعل فانه سبحانه ما شاءه كان وما لم  
يشأ لم يكن ليس كالعبد الذي يريد ما لا يكون ويكون ما لا يريد فقوله سبحانه ان شاء الله تحقق ان  
ما وعدهم به يكون لا محالة بمشيئتي واراقتي فان ما شئت كان وما لم أشأ لم يكن فكان الاستثناء هنا لقصد  
التحقيق لكونهم لم يحصل لهم مطلوبهم الذي وعدوا به ذلك العام وأما سائر ما وعدوا به فلم يكن كذلك  
ولهذا تنازع الفقهاء فيمن أراد باستثنائه في اليمين هذا المعنى هل يكون مستثنياً به أم تلزمه الكفارة اذا  
حدث بخلاف من ترددت ارادته فانه يكون مستثنياً بلا نزاع والصحيح انه يكون في الجميع مستثنياً لعموم  
المشيئة ولان الرجل وان كانت ارادته للمخلوق به جازمة فقد علقه بمشيئة الله فهو يجزم بارادته له  
لا يجزم بحصول مراده ولا هو أيضاً مريد له بتقدير أن لا يكون فان هنا تمييز لا ارادة فهو انما التزمه  
اذا شاء الله فاذا لم يشأه لم يلزمه بيمينه ولا حلف انه يكون وان كانت ارادته له جازمة فليس كما أريد  
التزم باليمين فلا كفارة عليه وقد تبين بما ذكرناه ان قول القائل ان شاء الله يكون مع كمال ارادته في  
حصول المطلوب وهو يقوفاً لتحقيق المطلوب لاستعانته بالله في ذلك لا لشك في الارادة هذا فيما يحلف  
عليه ويريده كقوله تعالى ( لتدخلن المسجد الحرام ) فانه خبر عما أراد الله كونه وهو عالم بان سيكون  
وقد علقه بقوله ان شاء الله فكذلك ما يخبر به الانسان عن مستقبل أمره مما هو جازم بارادته وجازم  
بوقوعه فيقول فيه ان شاء الله لتحقيق وقوعه لا للشك لاني ارادته ولا في العلم بوقوعه ولهذا يذكر  
الاستثناء عند كمال الرغبة في المعاق ووقوع ارادة الانسان له فتبني خواطر الخوف تعارض الرجاء فيقول  
ان شاء الله لتحقيق رجاء مع علمه بان سيكون كما يسأل الله ويدعوه الأمر الذي قد علم انه يكون كما كان  
النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر قد أخبرهم بمصارع المشركين ثم هو بعد هذا يدخل الى العريش

يستقيت ربه ويقول اللهم أنجز لي ما وعدتني لان العلم بما يقدره لا ينافي أن يكون قدره بأسباب والدعاء من أعظم أسبابه كذلك رجاء رحمة الله وخوف عذابه من أعظم الأسباب في النجاة من عذابه وحصول رحمته والاستثناء بالمشيئة يحصل في الخبر المحض وفي الخبر الذي معه طلب فالأول اذا حلف على جملة خبرية لا يقصد به حصاً ولا منعاً بل تصديقاً أو تكذيباً كقوله والله ليكون كذا ان شاء الله أو لا يكون كذا والمستثنى قد يكون طاملاً بان هذا يكون أو لا يكون كما في قوله لتدخلن فان هذا جواب غير محذوف والثاني ما فيه معنى الطلب كقوله والله لأفعلن كذا أو لا أفعله ان شاء الله فالصيغة صيغة خبر ضمنها الطلب ولم يقل والله اني لمريد هذا ولا عازم عليه بل قال والله ليكون فاذا لم يكن فقد حثت لوقوع الأمر بخلاف ما حلف عليه فحث فاذا قال ان شاء الله فانما حلف عليه بتقدير ان يشاء الله لا مطلقاً ولهذا ذهب كثير من الفقهاء الى انه متى لم يوجد المحلوف عليه حثت أو متى وجد المحلوف عليه انه لا يفعله حثت سواء كان ناسياً أو مخطئاً أو جاهلاً فانهم لحظوا ان هذا في معنى الخبر فاذا وجد بخلاف خبره فقد حثت وقال الآخرون بل هذا مقصوده الحث والمنع كالأمر والنهي ومتى نهي الانسان عن شئ ففعله ناسياً أو مخطئاً لم يكن مخالفاً فكذلك هذا قال الأولون فقد يكون في معنى التصديق والتكذيب كقوله والله ليقعن المطر أو لا يقع وهذا خبر محض ليس فيه حث ولا منع ولو حلف على اعتقاده فكان الأمر بخلاف ما حلف عليه حثت وبهذا يظهر الفرق بين الحلف على الماضي والحلف على المستقبل فان اليمين على الماضي غير منعقدة فاذا أخطأ فيها لم يلزمه كفارة كالغموس بخلاف المستقبل وليس عليه أن يستثنى في المستقبل اذا كان فعله قال تعالى ( زعم الذين كفروا ان لن يعثوا قل بل يربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير ) فأمره أن يقسم على ما سيكون وكذلك قوله ( وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بل يربى لتأتينكم ) كما أمره أن يقسم على الحاضر في قوله ( ويستنبؤنك أحق هو قل أي وربى انه لحق ) وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لينزلن فيكم ابن مريم حكماً عدلاً واماماً مقسطاً وقال والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيما قتل ولا المقتول فيما قتل وقال هلك كسرى أو لمهلكن كسرى ثم لا يكون كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لئنفقن كنوزهما في سبيل الله وكلاهما في الصحيح فأقسم صلوات الله وسلامه عليه على المستقبل في مواضع كثيرة بلا استثناء والله سبحانه وتعالى أعلم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

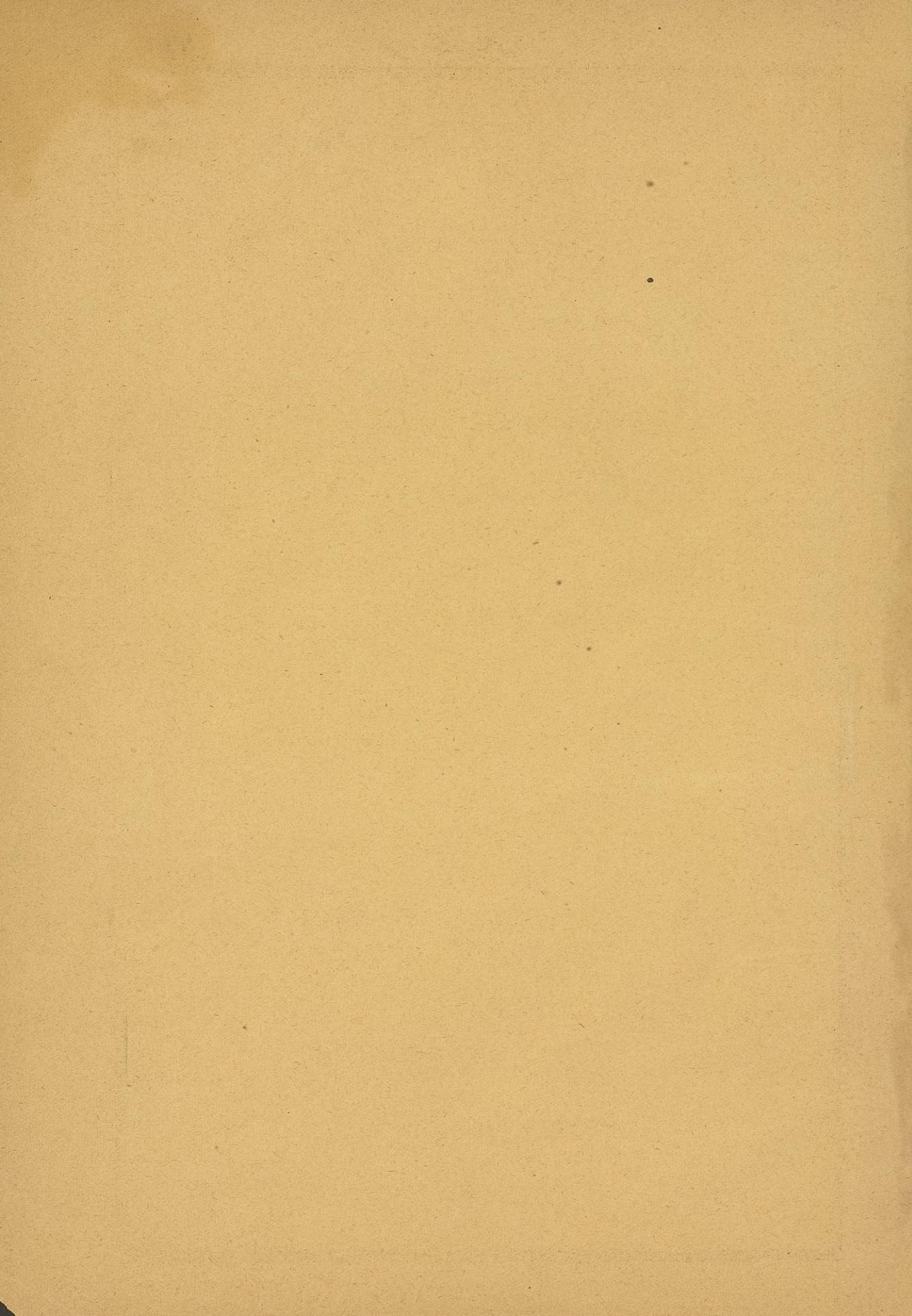
## ﴿ فهرس كتاب الايمان ﴾

	صفحة
خطبة الكتاب	٢
مطلب تفريق النبي صلى الله عليه وسلم بين الاسلام والايمان	٢
مطلب في بيان علم معنى المؤمن والمسلم والمهاجر	٣
كلام الحسن البصري في حسن الخلق	٣
مطلب في أن الايمان يذكر تارة مفرداً ويقرن تارة بالاسلام والعمل الصالح	٥
مطلب في أن الاعمال ان نفي الايمان عند عدمها كانت واجبة والا كانت مستحبة	٥
مطلب في بيان قوله تعالى ( أولئك هم المؤمنون حقا ) بعد ذكر الأعمال الخمسة	٧
مطلب في أن العلم علما علم القلب وعلم اللسان	٩
مطلب في أن خشوع الجسد تبع لخشوع القلب	١١
مطلب في أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر	١٢
فصل وقد جاءت أحاديث تنازع الناس في نحتها مثل قوله لا صلاة الا بوضوء وبين الحق فيها	١٢
مطلب في أنه ينبغي أن يقدر كلام الله ورسوله قدرهما والنهي عن النواويل فيهما من غير علم مرادها	١٤
مطلب فيما يدل على أن اجماع المؤمنين حجة	١٥
مطلب في أن حب الانصار آية الايمان وبغضهم آية النفاق	١٦
مطلب في أن المعاصي منها ما هو كفر ومنها ما هو فسوق ومنها ما هو عصيان	١٧
مطلب في أن الله ميز بين خطاب المؤمنين وخطاب عموم الناس	١٨
فصل المعصية اذا أطلقت تناولت الكفر والفسوق	٢٠
فصل ولفظ الصالح والشهيد والصديق يتناول النبيين عند الاطلاق	٢٢
فصل وظلم النفس اذا أطلق تناول جميع الذنوب	٢٤
مطلب فيما ورد من الوعيد في حق مانع الزكاة	٢٦
مطلب في معنى قوله تعالى ( اتخذوا احوارهم ورهبانهم ارباباً )	٢٨
مطلب فيما يجوز من التقليد وما لا يجوز	٢٨
مطلب في أن عبيد المال والرجال يعذبون أقل من عذاب المشركين	٢٩
مطلب في أنه لم يذهب أحد الى أن للعالم خالقين متماثلين حق المجوس القائلين بالاصلين النور والظلمة	٣٠
مطلب في بيان معنى الشفاعة	٣١
فصل ومن هذا الباب لفظ الصلاح والفساد	٣٣
فصل في أن دلالة الايمان على الاعمال حقيقة لا مجاز	٣٤

	حيفه
مطلب تقسيم اللفظ الى حقيقة ومجاز اصطلاح حادث بعد القرون الثلاثة	٣٥
مطلب في ابطال المجاز في اللغة	٣٦
مطلب في تعليم الله آدم الاسماء وبيان معنى ذلك	٣٧
مطلب في أن الله ورسوله لم يدع شيئاً من القرآن والحديث الا بين معناه	٤٢
مطلب في رد ما زعموا من أفاظ القرآن أنه مجاز	٤٣
فصل وأبو الحسن الاشعري نصر قول جهم في الايمان	٤٨
مطلب في ذكر مذاهب الناس في الايمان وبيان الحق منها	٤٩
مطلب في معنى قول الاخطل أن الكلام لفي الفؤاد وإنما	٥٦
مطلب في ابطال قول الجهمية والكرامية في الايمان	٥٧
كلام أبي المعالي في الايمان وشرح أقوال الناس فيه	٥٩
مذهب الاشعري في أن الجهل ببعض الصفات هل يكون جهلاً بالموصوف أم لا	٦٠
فصل في حجة من نصر قول جهم في الايمان كالفاضي أبي بكر	٦٢
فصل وما يدل من القرآن على أن الايمان المطلق مستلزم للأعمال	٦٤
فصل وأما اذا قيد الايمان بقرن بالاسلام أو بالعمل الصالح	٦٥
مطلب في تفسير قوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته) وأقوال السلف فيها	٦٧
مطلب في أن أقوال السلف في الايمان متفقة وان اختلفت ظواهرها	٦٨
فصل وعطف الشيء على الشيء في القرآن وسائر الكلام يقتضى مغايرة بين المتعاطفين مع اشتراكهما في الحكم	٦٩
مطلب رد ما قيل في أن العطف قد يكون لاختلاف المتعاطفين لفظاً فقط	٧١
فصل فلفظ الايمان اذا أطلق في القرآن يرادف لفظ البر	٧١
فصل وهذا النوع من نمط أسماء الله	٧٤
مطلب ومن هنا يظهر خطأ قول جهم في الايمان	٧٥
فصل الوجه الثاني من غلط المرجئة	٨١
مطلب ومن حجج المرجئة قول النبي صلى الله عليه وسلم في الجارية أعتقها فانها مؤمنة	٨٤
مطلب والنفاق شعب كثيرة	٨٥
فصل واذا كان الايمان المطلق يتناول جميع ما أمر به لزم تكفير أهل الذنوب	٨٩
مطلب في أن الايمان يزيد وينقص	٩٠
فصل وزيادة الايمان من وجوه	٩٢
فصل وقد أثبت في القرآن اسلاماً بلا إيمان	٩٤
مطلب في أن نفي الايمان المطلق لا يستلزم النفاق	٩٦
مطلب في حقيقة الفرق بين الايمان والاسلام	١٠٥
مطلب في تفسير قوله تعالى (أدخلوا في السلم كافة)	١٠٦

صحيحة

- ١١٣ مطلب فيما يعرض للانسان من الشك والوسوسة
- ١١٤ فصل واذا عرف تفسير الالفاظ الواردة في القرآن والحديث من جهة النبي عليه الصلاة والسلام لم يحتج في ذلك الى الاستدلال
- ١١٦ مطلب في ابطال ما يقال أن لفظ الايمان مرادف للتصديق
- ١١٩ مطلب اختلف الناس هل في اللغة أسماء شرعية نقلها الشارع عن مسماها في اللغة
- ١٢١ مطلب اتفق الناس على كفر من ترك الشهادات واختلفوا في التكفير بترك الاركان الاربعة
- ١٢٢ مطلب القلوب اربعة
- ١٢٢ مطلب في أنه قد يجتمع في القلب ايمان ونفاق
- ١٢٣ مطلب في نقل اجماع الصحابة والتابعين على أن الايمان قول وعمل
- ١٢٤ ذكر من قال ان الايمان قول وعمل من علماء الافاق
- ١٢٥ مطلب في أن الانسان قد يكون فيه ايمان وكفر وان من الكفر ما لا ينقل عن الملة
- ١٢٦ فصل ومما يسأل عنه أنه اذا كان ما أوجبه الله
- ١٢٧ فصل واستدلوا على أن الايمان هو ما ذكره بالآيات
- ١٣١ مطلب في أن من الكفر كفوفاً لا ينقل عن الملة
- ١٣١ مطلب في تفسير قوله تعالى [ الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم
- ١٣٣ مطلب حكاية قول المعتزلة في الايمان واثبات المنزلة بين المنزلتين
- ١٣٦ » في أن من الايمان ما لا يدم تاركه عنه العجز عند
- ١٣٧ » حديث انما الدنيا لاربعة رجل آتاه الله علماً ومالا
- ١٣٨ » في أن التفاضل بأعمال القلوب لا بأعمال الجوارح وفي أن أهل الكبر ايمانهم ناقص
- ١٤١ » في أن اسم المسلمين يجري على المنافقين لانهم استسلموا ظاهراً
- ١٤٢ » في انكار المعتزلة والجوارح والكفرامية أن يجتمع في العبد ايمان ونفاق والرد عليهم في ذلك
- ١٤٤ » في ذكر أصل جامع تبني عليه معرفة النصوص
- ١٤٨ » الناس في الايمان والاسلام على ثلاث مراتب
- ١٤٩ » الاسلام في قول احمد بن حنبل يحتمل روايتين
- ١٥١ » في حديث لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن
- ١٥٢ » في ابطال احتجاج من احتج لان الاسلام والايمان واحد بقوله تعالى [ قالت الاعراب آمننا ]
- ١٥٣ » في احتجاج محمد بن نصر على أن الاعمال من الاسلام
- ١٥٥ » في الكلام على القدر
- ١٥٨ » صورة كتاب احمد بن حنبل من خراسان الى أبي عبد الله
- ١٦٠ » في ان الارزاء من بدع الاقوال لا من بدع العقائد
- ١٦٨ » الناس في الاسلام على ثلاثة أقوال
- ١٧٤ فصل في الاستثناء في الايمان (تم الفهرس)











COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU59575484

ME06517

Kitab al-iman.

